مصطفى بكري

داعش

الحقيقة والوهم

الوطن

مصطفى بكري

داعش

الحقيقة والوهم



العنوان

داعـــش

الحقيقــة والوهـــم

تأليف

مصطفــى بكـــري

الوطن

27 شارع محيي الدين أبو العز - الدقي - الجيزة.
تليفون 33331000 (202+) فاكس 37615198 (202+)

ينايـــــر 2105

الترقيم الدولي: 978-977-14-5225-6
رقم الإيداع: 2014/25924

داعـــش
الحقيقة والوهم

إهداء

إلى مصر

الحاضر والماضي والمستقبل

مقدمة

تعود جذور الفكر السلفي الجهادي إلى أول خلاف حدث في فجر الإسلام، بين الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ومعاوية بن أبي سفيان في أعقاب قضية التحكيم بينهما، والذي أفضى إلى إنهاء عهد الخلافة ليحل بدلاً منه عصر التوريث.

منذ هذا الوقت ظهر ما سُمِّي بفكر «الخوارج»،حيث انطلق هذا الفكر من رؤية سياسية مغايرة ومعارضة لمبدأ التحكيم من الأساس، وكان من رأيهم «أن التحكيم سيقود إلى نهاية عهد الخلافة»،مما دعاهم إلى رفض حكم معاوية بن أبي سفيان وتكفير الإمام علي بن أبي طالب هو ومَنْ أيدوه في فكرة التحكيم من الأئمة والدعاة.

غير أن هذا الفكر وجد له أنصارًا في كل مكان وزمان منذ هذا الوقت، حيث اعتُبر ابن تيمية (661 - 728 هـ) عماد هذا الفكر المتطرف، وأصبحت فتاواه بمثابة الأساس الفقهي لجماعات التطرف والعنف الأصولي في العديد من البلدان العربية والإسلامية.

ويُنظَـر إلى تنظيم «داعش» في العراق وسـوريا باعتباره من أكثر هذه التنظيمات تشـددًا وتطرفًا، بما في ذلـك تنظيم «القاعدة» الذي خرج منه «أبـو مصعب الزرقـاوي»، والـذي يُعَـدُّ بمثابة الأب الشرعـي لتنظيم «داعش».

لقد سـعى الخوارج والأمويون وغيرهما إلى اسـتخدام كافة أساليب القهـر والترهيب وارتكاب المجـازر الجماعية، إما بهـدف توطيد أركان حكمهم أو فرض ثقافتهم العقائدية بحد السيف، وكل ذلك كان يجري تحت راية القتال في سبيل الله وشريعته.

إن الملاحَظ في كل هذه الحروب والمواجهات هو اسـتدعاء نصوص الديـن والأحاديث النبوية وتوظيفها وفقًا للحسـابات السياسـية، وهو نفـس مـا ينطبق على تنظيـم «داعش» الذي أضاف على ذلك اسـتدعاء روايـة نهايـة العـالم بخـروج المسـيح عليـه السـلام وكذلـك معركـة «هرمجدون»،بالضبـط كما حدث مـع جهيمان العتيبي الذي هاجم الحرم المكي في نوفمبر1979 ، بادعاء أنه «المهدي المنتظر».

هكـذا قـدَّم «أبو بكـر البغدادي» نفسـه في صـورة «المخلِّص» الذي سيحرر العالم بسيفه، مستندًا في ذلك إلى روايات تاريخية ودينية متعددة، فباسـم الشريعة الإلهية أقام المذابح والمجازر واستخدم أساليب السحل والعبودية، وباسـم الحرب على المرتدين امتدت أنهار الدماء من تكريت والموصل بالعراق إلى الرقة وحلب وإدلب وحمص في سوريا.

إن الحروب التي تستند إلى الذرائع الدينية والطائفية تبقى دومًا هي الأكثر عنفًا ودموية في التاريخ البشري، ذلك أنه في اللحظة التي تتوقف فيها لغة الحوار، تشحذ الأطراف جميعها أسلحتها الفتاكة لخوض حرب ضروس بلا هوادة، وكل ذلك باسم الشريعة الإلهية.

وفي العصور الوسطى كانت الحروب الصليبية والحروب بين الكاثوليك والبروتستانت وغيرها، هي خير مثال على ذلك، حيث سقط عشرات الألوف من القتلى الذين قضوا باسم «الإله».

وإذا كانت «داعش» قد أشهرت سلاح «الشريعة الإلهية» بزعم أن السماء منحتهم التصريح المطلق لشن حرب مقدسة ضد من تسميهم بالكفرة والمرتدين، فإن الثقافة التي أصبحت سائدة بين عناصر هذا التنظيم هي ثقافة الدم والانتقام بلا حدود.

لقد أذاعت شبكة «فوكس نيوز» الأمريكية فيديو لأحد قيادات «داعش» في العراق يُدعى «أبا موسى» في شهر أغسطس 2014 يقول فيه: «أتعهد لله الواحد الأحد بأن أفرض شريعته بحد السيف».

ويقول في نفس الفيديو: «لقد أمرنا الله بقتال التركمان والشيعة والإزيديين وطرد المسيحيين المستوطنين في الشرق الأوسط منذ ألفي عام؛ ذلك لأنهم كفار مرتدون، وأعداء لله والدين والإنسانية، وما عليهم إلا الدخول في الإسلام أو الهرب أو أن يُقتَّلوا».

إن ذلـك هـو الـذي دعـا مـؤرخ الحـروب الدينيـة الفرنـسي «دوني كروزيـه» إلى أن يعقـد مقارنـة بين سـلوك «داعش» وسـلوك المحاربين في المجـزرة الفرنـسية التـي سُـمِّيت تاريخيًّا بمجـزرة «سـان بارتليمي» عـام1572 م، وذُبح خلالها ما يقرب من 30 ألف بروتسـتانتي على يد السلطات الكاثوليكية والعناصر الدينية المتطرفة بأوامر من الملك شارل التاسع ووالدته.. حيث لم يفرق القتلة بين طفل وعجوز أو امرأة.

ويرى «كروزيه» أن هناك تشـابهًا كبيرًا بين طريقة التفكير والسـلوك والمصطلحـات التـي اسـتخدمها جنـود الحـروب الصليبيـة في القـرن السادس عشر وبين جنود «داعش»؛ فكلاهما يضم مقاتلين على قدر من الاحتراف في حمل السلاح وعلى قدر من التشدد الديني أيضًا.

وقـال: «لقـد كان الجنـود الصليبيون بعد اسـتيلائهم عـلى مدينة ما واسـتتباب الأمـر لهـم فيهـا يدعـون إلى قتل مَـنْ يسـمونهم بالأنجاس والشـياطين»،وهو نفـس ما فعلـه مقاتلو داعش مـع الإزيديين في جبل سنجار بشمال العراق بحجة أنهم عبدة الشيطان».

ويشـير «كروزيه» إلى صورة أخرى في سـياق المقارنـة، إذ يقول: «في الحـروب الصليبية ومن أجل إيصال الجنود لدرجة التعصب، كان لابد أن يخطـب فيهم رجل مفوَّه يتمتـع بالكاريزما، ففي باريس وقف القس فرانسـوا بيكار في العام 1552م مناديًا في حشـد من الجنود بأن المسـيح عـلى وشـك الظهور، ومـن أجـل التعجيل بذلـك يجب محاربـة أولئك المسلمين المهرطقين الذين لا يؤمنون بألوهيته».

وعلى نفس النهج يسير أبو بكر البغدادي، إذ يقدم نفسه باعتباره خليفة المسلمين وسيدًا ينحدر من سلالة النبوة، ويلقب نفسه بـ«أمير المؤمنين»،ويربط طاعته بطاعة الله بترديد مقولة «أطيعوني ما أطعت الله فيكم» في كل خطبة من خطب صلاة الجمعة أسبوعيًّا.

ويقول «كروزيه»: «كما فعل الكاثوليك بسحل جثث البروتستانت في سان بارتليمي يفعل مقاتلو داعش في المدن التي يستولون عليها، ويزيدون على ذلك بتفجير أماكن عبادات أصحاب الديانات الأخرى. إنها سان بارتليمي على الطريقة الداعشية».

لقد قامت «داعش» بنشر واستغلال صورة لطفل من بوليفيا بعين واحدة، وراحوا يروِّجون في محاولة لتجنيد المزيد من الشباب بأن هذا الطفل هو «المسيخ الدجال» الذي يأتي في آخر الزمان.

لقد نشرت مواقع أمريكية عديدة قصة هذا الطفل الذي وُلد مشوهًا لأسباب جينية وصحية مختلفة، إلا أن «داعش» راحت تبث الذعر بين الشباب وتطالبهم بسرعة اللحاق بقطار الآخرة قبل فوات الأوان.

ويقوم التنظيم بالترويج لحلم الخلافة على أوسع نطاق إعلامي محاولاً بذلك إعادة إنتاج التاريخ بأحداثه ووقائعه، بل حتى عندما أصدر صحيفة «دابق» فقد كان يهدف إلى نسبتها لمعركة «مرج دابق»، التي انتصر فيها السلطان سليم الأول على قنصوه الغوري بالقرب من حلب وبموجبها فُتحت الشام.

لقد استطاعت «داعش» استقطاب الشباب والنساء من أصحاب نزعـات العنف والتطرف ليكونوا فاعلـين أصليين في لعبة الدم والموت التي باتت تجذب البعض من الساخطين والمرضى النفسيين والباحثين عـن العيـش داخـل مجتمعـات تمنحهـم الحـق في الخروج عـن المألوف والسعي إلى بنـاء عالم آخر مختلف عن صـورة الحياة التي عاشـوها في مجتمعاتهم.

إن مثال الضابط السابق بالشرطة «أحمد الدروي» الذي كان مرشحًا لعضويـة البرلمان المـصري، هو خير دليـل على هذا النمط من السـلوك النشـاز الـذي يدفـع هـؤلاء إلى المـضي قُدمًا نحـو طريق العنـف والدم بلا هوادة.

لقد فشـل «الـدروي» في الحصول على عضويـة البرلمان المصري عام 2012، رغم الأموال الضخمة التي قام بصرفها على دعايته الانتخابية، ثم اكتشـف في وقـت لاحق أنه مصـاب بمرض صداع مزمـن أدى إلى مضاعفـات صحيـة خطيرة، فسـافر إلى أمريكا لإجـراء عملية جراحية ومنهـا إلى تركيـا، ثـم إلى سـوريا حيث تـولى منصب القائد العسـكري لجماعة جند الخلافة الإرهابية باللاذقية.

وبعدهـا بفترة مـن الوقت بايع «الدروي» أبا بكـر البغدادي وانضـم إلى «داعـش»، وقُتـل في عمليـة انتحارية، بعـد أن عيَّنه البغـدادي قائدًا عسكريًّا للتنظيم في تكريت.

وعندما نشر «أبو مصعب المصري» القيادي في تنظيم «داعش» خبر مقتل الدروي في شهر أكتوبر الماضي، كانت الصدمة كبيرة لكل من عرفوه، ولم يظن أحد منهم ولو للحظة أن هذا الرجل «الهادئ الصامت دائمًا» يمكن أن يتحول إلى مشروع «انتحاري وإرهابي» يقتل بلا رحمة ودون وازع من دين أو ضمير.

إن نفس الظاهرة تمتد أيضًا إلى النساء الغربيات اللاتي يتدفقن إلى ساحة القتال ويعلنَّ انضمامهن لـ«داعش»،رغم كافة الظروف القمعية التي تعانيها النساء في دولة «داعش».

وتفسر الباحثة البريطانية في شئون الإرهاب «كاترين براون» هذه الظاهرة بالقول: «إنه توجد عدة أسباب تدفع النساء للانضمام إلى داعش، من بينها أن تنظيم داعش يمثل يوتوبيا سياسية، وأن قيادات داعش يعرضون أسلوب حكمهم بطريقة رومانسية، كما أن غالبيتهن يسافرن بهدف المغامرة والمشاركة في بناء دولة الخلافة ليصبحن شريكات في هذا المشروع الجديد، أمهات الدولة وزوجات المجاهدين».

ومن توظيف الدين لتحقيق الأجندات السياسية، عبر آليات القتل والموت والدمار، إلى الحلم الذي راود هذه التنظيمات الإرهابية على مدى عقود طويلة من الزمن، وتحديدًا منذ تأسيس جماعة الإخوان «المسلمين» في عام 1928 ، لمواجهة الحركة الوطنية ضد المحتل الإنجليزي والتي كان لها دويها أثناء ثورة 1919 وفي أعقابها.

كان الحلـم هو تأسـيس كيان سـياسي خـاص بهم، على مسـاحة من الأرض والسـكان، يخضـع لسـيطرتهم ويطبـق على أرضـه مشروعهم السـياسي والعقائدي، ويتجسد فيه حلم «الخلافة» التي سقطت في عام 1924.

جـاءت «داعش» لتشـكِّل عنوان هذا الحلم، فقـد وُلدت في ظروف غامضـة، ونجحت فجـأة في اقتطاع مسـاحة من الأرض مـن جغرافية سـوريا والعراق بطريقـة وسرعة أثارت الشـكوك، وطرحت علامات الاسـتفهام، فقد نجحت بمقتضى ذلك في تأسـيس ما أسمته بـ«الدولة الإسـلامية في العراق»،ثـم تطـور المشروع إلى «الدولـة الإسـلامية في العراق وبلاد الشـام»، ثـم إلى «الدولة الإسـلامية»،ومُنحت البيعة من عناصر التنظيم لأبي بكر البغدادي خليفة «للمسلمين»!!

إن نشـأة «داعـش» وتطورهـا السريـع وامتلاكهـا لآليـات الحـرب المتقدمـة، كانـت ولا تـزال محل جدل شـديد، ومثـار اهتـمام كبير لدى أجهـزة الاسـتخبارات، التـي أدركت أن صناعـة هذا التنظيـم مرتبطة بأجندات إقليمية ودولية.

لقـد كانت تركيا من أولى الدول التي أشـير إليهـا باعتبارها الدولة الحاضنـة «للتنظيـم» والتـي وفـرت كافـة أنـواع الدعـم اللوجيسـتي، ودربـت عناصره وفتحت الطريق أمام مرور آلاف الأجانب للانضمام إلى التنظيم في سوريا والعراق.

لقـد كان من أهداف تركيا التي وقفـت وراء دعمها واحتضانها لهذا التنظيـم تحقيـق الحلم بعودة النفوذ التركي إلى المنطقة مجددًا بعد الفشـل الكبير الـذي منيـت بـه السياسـة التركيـة في سـوريا ومصر عـلى وجه التحديد.

لقد فشلت تركيا في إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد، كما أن سقوط حكـم الإخوان بعد ثـورة الثلاثين مـن يونية في مصر، وضـع الحكومة التركيـة أمـام مأزق شـديد، ودفـع إلى انحسـار الحلم التركـي في عودة النفوذ والدور الإقليمي من جديد.

كانـت تركيا مسـتغدة للتحالف مع الشـيطان من أجـل البحث عن صيغة لتعويض الفشل الذي منيت به السياسة الخارجية خلال السنوات الثـلاث الماضية، فلجأت إلى خيـار «داعش» بهدف تحقيق أهدافها، وفي نفـس الوقـت المشـاركة في إعادة رسـم خارطـة المنطقة علَّهـا تنجح في إقامـة منطقة عازلة تمكنها من لجم مطالب الأكراد في دولة مسـتقلة على حدودهـا، وفي نفـس الوقت اسـتعادة ولاية الموصل إلى حـدود الدولة التركية من جديد.

لقد أدركت تركيا أن تحقيق الحلم باسـتعادة الموصل مرتبط بتقسـيم العراق وإقامة دولة سنية على الحدود، وهو أمر تستطيع «داعش» تحقيقه على الأرض من خلال سـيطرتها على مسـاحة واسعة من أراضي سوريا والعراق.

إن المتابـع للمتغـيرات الحادثة في مسـار السياسـة الخارجيـة التركية باتجاه العراق يستطيع التوقف أمام عدد من الملاحظات المهمة، أبرزها: حـدوث انقـلاب في الموقـف التركي الـذي كان يدعو دومًـا إلى وحدة العراق، إلى موقف آخر مغاير يدفع إلى التقسيم وتمزيق الكيان الوطني، وكذلـك الحال أيضًا قيـام تركيا بتوقيـع اتفاقات بترولية مع كردسـتان العراق دون مراجعة الحكومة العراقية المركزية.

وإلى جانـب تركيا فإن «إسرائيل» والولايـات المتحدة وقطر أطراف لديهـا أجنداتها السياسـية التي لا تخفـى على أحد مـن وراء صناعة هذا التنظيـم، وامتـداد نفـوذه الواسـع في المنطقـة، ذلك أن للـدول الثلاث مصلحـة مبـاشرة في إسـقاط نظام الأسـد وتفتيـت الكيانـات الوطنية لحساب مشروع الشرق الأوسط الجديد.

أمـا إيـران، التـي أدركـت أن «داعـش» يشـكل خطرًا عـلى نفوذها ومصالحها، فقد تحركت بحذر شديد ولم تبد ردًّا فوريًّا على الرسالة التي بعـث بها الرئيس الأمريكي بـاراك أوباما إلى المرشـد العام الإيراني علي خامئنـي يطالبـه فيها بضرورة التدخل العسـكري المبـاشر على الأرض العراقية لمواجهة «داعش».

صحيـح أن إيـران لم يكن لهـا يد في صناعة «داعـش»، على عكس ما يـردده الداعـون إلى إسـقاط نظام الأسـد في سـوريا إلا أن الحقائق على الأرض تشير إلى وجود علاقة غير مباشرة بين الطرفين تقوم على أساس

التحالف المصلحي، حيث يسعى كل طرف إلى تحقيق مصالحه الأمنية والاستراتيجية دون حاجة إلى عقد اتفاقيات مباشرة بينهما.

يبقى الحديث إذن عن هذا التناقض في الموقف الأمريكي، فبالرغم من أن كافة المؤشرات لا تستبعد وجود دور أمريكي فاعل في نشأة تنظيم «داعش» كما هو الحال سابقًا مع القاعدة ـ فإن الحيرة تكتنف المرء أمام هذا الحشد الذي سعت الولايات المتحدة إلى تكوينه تحت شعار «التحالف الدولي لمواجهة إرهاب داعش».

إن الأمر يعود في تقديري إلى نتائج هذا الاجتماع المهم والخطير الذي عقدته ما سمي بـ«الخلوة الدبلوماسية الأمريكية» في شهر يونية 2014، والتي أصدر الرئيس أوباما قرارًا بتشكيلها لبحث الإجابة عن السؤال الأكثر إلحاحًا: «كيف تتعامل أمريكا مع الوضع الجديد في الشرق الأوسط في ضوء نمو حركات التطرف والإرهاب وفي مقدمتها داعش»؟!

لقد جرى تشكيل الخلوة الأمريكية برئاسة وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة «كونداليزا رايس» وضمت وزراء الخارجية السابقين «جيمس بيكر، مادلين أولبرايت، هيلاري كلينتون، كولن باول» وأيضًا وزير الخارجية الحالي جون كيري وعددًا من مستشاري الأمن القومي والمخابرات الأمريكية السابقين، في حين تولت سوزان رايس مستشارة الأمن القومي متابعة أعمال هذه اللجنة.

وبعـد عدة جلسـات أصـدرت اللجنة توصياتهـا، التـي كان لها أثر كبير في تحرك الإدارة الأمريكية والسـعي نحو تشـكيل التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب.

لقد تناولت «الخلوة» ثلاثة عناوين مهمة هي:

١ ـ التغيير في مصر وسقوط حكم الإخوان.

٢ ـ الوضع في سوريا والعراق في ضوء التطورات الجديدة.

٣ ـ إيران النووية.

وجاءت توصيات «الخلوة» حول العناوين الثلاثة على قدر كبير من الأهمية، وأهـم ما فيها أنها تضمنـت المطالبة بمراجعة أخطاء السياسـة الأمريكيـة التـي وقعت فيهـا إدارتا بوش الابـن وأوبامـا في إدارة هذه الملفات.

وبعيـدًا عـن الملفـين المـصري والإيـراني، فقـد تضمنـت توصيات «الخلوة» بشـأن سـوريا والعراق انتقادات حادة للسياسـة الأمريكية في التعامل مع هذا الشـأن ومن بينها القول حرفيًّا: «لقد أثبتت سياستنا في الفـترة القصيرة الماضية أننا لم نكن على علـم ودراية بكل تحركات قوى التغيـير في المنطقة، فما يحدث في العراق الآن كنا ننظر له على أنه من فعل مجموعات إرهابية تابعة للقاعدة، وتناسينا طيلة الفترة الماضية أن تنظيم القاعـدة الذي عمـل في العراق أصبح من الصعب اجتثاثه؛ لأن عوامل

كثيرة ساعدت على نمو هذا التنظيم وخلق بيئة حاضنة له في صفوف الشعب العراقي تحميه وتمده بالدعم بل وتتحالف معه».

وقال التقرير: «لقد تعامينا عن واقع العراق، ونظرنا للنظام القائم هناك على أنه نظام حليف ويعمل وفق أجندتنا، وهذا ما كان ينفيه الواقع، فتأثير إيران في المعادلة العراقية أصبح أكثر من دورنا وتأثيرنا هناك.

لقد أهملنا طيلة الفترة الماضية شرائح واسعة من الشعب العراقي وقواه التي ساعدتنا وتحالفت معنا في إسقاط نظام صدام حسين وتناسيناها، ودعمنا نظامًا مارس القهر والاستبداد على هذه الشرائح والقوى، فلم يكن أمامها في النهاية وبعد أن سُدَّت كل الأبواب في وجه مطالبها سوى التحالف مع القاعدة حتى ولو كان هذا التحالف شيطانيًّا.

لقد أضعنا عدة فرص تاريخية لبناء نظام ديمقراطي في العراق، بل على العكس من ذلك دعمنا الاستبداد والتطرف وتوافقنا عن قصد أو بغير قصد مع الأجندة الإيرانية في العراق».

وقال التقرير: «إن هذا سيكون له ثمن كبير بالنسبة لأمريكا، فلن نكون قادرين على إعادة توحيد وحشد الشعب العراقي ضد الإرهاب مرة أخرى، ولهذا يجب علينا أن نعيد النظر في كل سياساتنا باتجاه العراق، وأن نعترف أن سياساتنا هناك كانت فاشلة، وأنها ستكون سببًا في تقسيمه».

أما بالنسبة للموضوع السوري فقد قال التقرير: «لقد كان هناك إقرار بفشـل السياسة الأمريكية في سوريا لأنها ارتكزت على آراء وتصورات بعض الحلفاء في المنطقة، واقتنعت الإدارة الأمريكية بها دون أن تدرس الواقع السوري جيدًا».

وقـال التقريـر: «لقد كان عـلى الإدارة الأمريكية أن تـرى أن الواقع السـوري مختلـف تمامًا عن الأوضـاع في أماكن أخرى سـواء في ليبيا أو تونـس أو مصر أو اليمن أو العراق، فالخصوصية السـورية لم تكن محل تركيـز من قِبلنا، أما حلفاء سـوريا فلم نُقِمْ لهم وزنًا في حسـاباتنا إلى أن فوجئنا بمدى صلابة حلفهم واستعداده للذهاب إلى أبعد مدى.

لقـد كانـت السياسـة الأمريكيـة في سـوريا سياسـة فاشـلة بامتياز، فالإدارة الأمريكية كانت تنتظر سـقوط النظام لحظـة بلحظة كالأنظمة التي سبقته في بلاد أخرى».

وقـال التقريـر: «إن هـذه السياسـة لم تعتمد عـلى الرؤيـة الأمريكية الخالصـة، بـل كانـت تتأثر بالـدول المحيطـة بسـوريا خصوصًـا تركيا وإسرائيـل وبعض دول الخليج، فتعاملـت الولايات المتحدة مع الواقع السـوري على أنه في حكم المنتهي حتمًا، والمسـألة مجرد وقت، وأن هناك وضعًا سوريًّا جديدًا سيخلف هذا النظام على الأرض قريبًا»!!

وقال التقرير: «لقد ردد الرئيس أوباما خلال عام تصريحات صحفية لا حصر لها تشـير إلى أن نظام بشـار الأسـد قد أصبحت أيامه معدودة،

مع أن كل الدلائل كانت تشير إلى عكس ذلك، مما كان له بالغ الأثر في هز مصداقية الولايات المتحدة أمام الرأي العام».

وقال التقرير: «يجب ألا نكون مسرورين للواقع السوري الجديد القائم حاليًا، فهو في المحصلة نظام معادٍ ومهدد لأمريكا وحلفائها ومصالحها، ذلك أن الطرفين المشتبكين الآن في سوريا هما خصمان لدودان للولايات المتحدة، وقد عجزنا عن تكوين وتأسيس قوى مدنية ديمقراطية معتدلة تشكل أساس التحرك في سوريا، بل على العكس من ذلك لقد انجررنا وراء سياسة الحلفاء في المنطقة، فساعدنا قوى الإرهاب على تنظيم نفسها ودعمناها بكل ما نملك».

وقال التقرير: «من الآن علينا أن نقرر، من هو الأكثر خطورة، هل هو نظام بشار الأسد أم نظام أيمن الظواهري والقاعدة وداعش والنصرة؟!».

وقال التقريرس: «إن الواقع القائم في سوريا الآن لا يشكل خطرًا على النظام السوري، بل أصبح هذا الخطر يشكل تهديدًا على دول الجوار جميعًا، خاصة إسرائيل والأردن ولبنان ودول الخليج، وإن هذا الإرهاب سيتمدد إلى هذه الدول آجلاً أو عاجلاً إذا لم نكن قادرين على إعادة التوازن في سياساتنا هناك».

وقال التقرير: «إن ما يحدث في سوريا والعراق يهدد أولاً الأردن، الذي ستحيط به عناصر الإرهاب وداعش تحديدًا من محورين أساسيين،

وسيكون مـن الصعب على الأردن الصمود والمواجهـة إذا لم نُعِدْ تقييم سياساتنا هناك.

أما إسرائيل فستكون مضطرة للتدخل بنفسها وبدون قرار أمريكي؛ لأن وجودها سيصبح مهددًا في حال إجراء أي تغيير في الأردن.

كـما أن آبـار النفـط في دول الخليـج ستسـقط كاملـة في يـد هـؤلاء الإرهابيين إذا ما تمكنوا من الوصول إليها في دول الخليج، مما سـتترتب عليه آثار خطيرة في العالم بأسره».

لقـد تـم رفـع هـذه التوصيـات إلى الرئيـس الأمريكـي في أعقـاب التطورات الخطيرة التي شـهدتها العراق وسـوريا بعد هجوم «داعش» المفاجئ على الموصل في 10 يونية2014 ، وبعد مناشــدة خادم الحرمين الملـك عبـدالله بـن عبدالعزيز للرئيـس أوبامـا سرعة التحـرك لمواجهة الإرهاب الذي كاد يعصف بأمن واستقرار دول المنطقة.

وبعد أن اطلع الرئيس أوباما على هذا التقرير ودراسة الواقع الجديد في ضـوء الانتصـارات المفاجئـة التي حققهـا مقاتلو «داعـش»، أصدر تعليماتـه لوزير الخارجية الأمريكي جون كيري بالقيام بجولة في المنطقة في النصف الأخير من شهر يونية2014 ، لم يستطع فيها إقناع الأطراف المعنية ببناء تحالف دولي لمواجهة الإرهاب، إلا أنه ومع تصاعد الأوضاع عـاد مرة أخـرى إلى المنطقة، وتمكن من إقنـاع الرافضين وتم عقد مؤتمر جدة في 12 سبتمبر2014 .

وإذا كان مؤتمر «جدة» قد أعلن بشكل واضح وصريح حشد كافة الإمكانات السياسية والعسكرية الدولية والإقليمية في مواجهة «داعش» فإن مسار الحملة العسكرية يطرح العديد من علامات الاستفهام أبرزها: الموقف مما يجري في «عين العرب» السورية «كوباني»؛ حيث تحاصر «داعش» الأكراد في هذه المنطقة منذ 16 سبتمبر الماضي بينما يكتفي التحالف الدولي بتوجيه بعض الضربات غير المؤثرة على قوات «داعش» التي تحتل نسبة كبيرة من أراضي المدينة وقراها المختلفة.

إن التساؤلات التي تطرح نفسها حول نشأة تنظيم «داعش» ومساراته وأهدافه الحقيقية وتحالفاته المختلفة، ومواقف الأطراف الدولية والإقليمية منه سوف تبقى ولفترة طويلة مثار حوار وجدل بين المحللين والمعنيين، بل والرأي العام أيضًا.

من هنا يأتي هذا الكتاب الذي حاولتُ من خلاله الإجابة على بعض التساولات المطروحة في الشارع؛ من خلال قراءة الواقع بأبعاده المختلفة؛ سعيًا إلى فك طلاسم الكثير من علامات الاستفهام.

مصطفى بكري

القاهرة: نوفمبر 2014

من الزرقاوي إلى البغدادي!!

وُلد إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي، المشهور إعلاميًّا وشعبيًّا باسم «أبي بكر البغدادي»، في مدينة سامراء العراقية عام 1971، وترجع أصوله إلى منطقة ديالى شرق العراق، وهو ينتمي إلى عشيرة السامرائي، إلا أنه عاش طفولته في سامراء التي توصف بأنها معقل السنة في شمال بغداد.

قضى البغدادي سنواته الأولى في بغداد، ودرس في الجامعة وحصل على الماجستير والدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالأعظمية، ثم تزوج بعد أن أنهى الدكتوراه في عام2000 ، وبعد أقل من عام وُلد ابنه الأول.

لقد بدأ حياته ربًّا لأسرة بسيطة، وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق في عام2003 ، لم يُظهر البغدادي في البداية أي عداء للغزاة الجدد، إلا أن حدثًا ما شكَّل متغيرًا في موقفه من الأحداث التي كانت تشهدها العراق في هذا الوقت.

لقـد وقـع خلاف بينـه وبين صاحـب المسـجد المحلي، والـذي كان هـو أيضًـا صاحب المنـزل الذي يعيـش فيه البغـدادي، بعـد أن طلب صاحب المسـجد من أبي بكر البغدادي الانضمام إلى الحزب الإسـلامي في العـراق، إلا أن البغـدادي كان يـرى أن الأحزاب تمثل دنسًـا وتحديًا لحكـم الله وشريعته، فرفض الانضمام، وقد حدثت المشـادة العنيفة بين الطرفـين والتي وصلت إلى حد التشـابك بالأيدي وفقًا لروايات بعض مَنْ عاصروا هذه الأحداث.

ويصفـه أحمد الدباش، قائد «الجيش الإسـلامي» الذي قاتلت قواته جنبًا إلى جنب مع داعش بأن «البغدادي كان شـخصًا هادئًا يمضي وقته وحيدًا أثناء ملازمته له في الجامعة الإسلامية».

كان والده الشـيخ عواد من وجهاء عشـيرة «البويدري» التي قيل إن أصولها تعود إلى «قريش»، وقد ظهر كقطب للسلفية الجهادية ومن أبرز شيوخها في محافظَتَي ديالى وسامراء.

لقـد بدأ أبو بكر البغدادي نشـاطه الديني مـن جامع أحمد بن حنبل، ثـم قام بتأسـيس خلايا جهاديـة صغيرة ارتكبـت عددًا مـن العمليات الإرهابية، ثم أنشأ تنظيمًا أسماه «جيش أهل السنة والجماعة».

وقد جرى اعتقاله في أحد السـجون الأمريكية بالعراق والذي يطلق عليه معسكر «بوكا»، وقيل إنه تم تجنيده خلال فترة السجن ليلعب دورًا مهمًّا في أوساط الجماعات الإرهابية المتشددة فيما بعد.

وبحلول عام 2005 كان أبو بكر البغدادي قد انتقل إلى بلدة القائم، حيث قام بإصدار أحكام بالإعدام على الكثير من المواطنين المحليين، وشارك في تنفيذها بنفسه، بعد أن سقطت هذه المنطقة في قبضة هذه الجماعات المتطرفة.

وتقول إحدى وثائق وزارة الدفاع الأمريكية: «إن أبا دعاء - وهذه كنيته - كان يعمد إلى الترهيب والتعذيب وقتل المدنيين في مدينة (القائم) على الحدود الغربية للعراق مع سوريا، وكان يقوم بخطف أفراد وعائلات بأكملها، يحاكمهم ويعدمهم علنًا».

لقد ثارت في العراق تساؤلات كثيرة في هذا الوقت حول حقيقة العلاقة بين أبي بكر البغدادي وأجهزة الاستخبارات الأمريكية التي كانت موجودة على أرض العراق، غير أن الشهادة التي أدلى بها «إدوارد سنودن» الموظف السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكي كشفت أن «أبي بكر البغدادي» تم تدريبه من قِبل الـ«سي.آي.إيه» عندما كان معتقلاً في عام 2004، حتى أصبح موظفًا في وكالة الاستخبارات الأمريكية، وتلقى تدريبات خاصة جنبًا إلى جنب مع عناصر أخرى من نفس التنظيم.

ويقول «سنودن» الهارب إلى روسيا - «إن أمريكا وبريطانيا وإسرائيل تعاونت معًا لخلق منظمة مسلحة قادرة على جذب المتطرفين من مختلف دول العالم إلى الالتقاء في مكان واحد، حول استراتيجية يُطلَق عليها

«عش الدبابير» من أجل حماية إسرائيل وخلق تنظيم «سـني» متطرف ومعادٍ لجميع الجهات الأخرى بالمنطقة».

وكان يُنظر لهذا العمل، كما يرى «سندون»، على «أنه الحل الوحيد لحماية إسرائيل وخلق عدو خارج حدودها يستطيع مهاجمة الدول العربية المعادية لإسرائيل»!!

وهـو ما يفسر عدم وجود أي خطـة لدى «داعش» للعداء أو القتال مع إسرائيل.

كان أبـو مصعب الزرقاوي، أو «أحمد فاضـل نزال الخلايلة» المولود بمدينة الزرقاء الأردنية، يُعَدُّ واحدًا من أكثر الشخصيات التي أثرت في فكر ومسيرة أبي بكر البغدادي.

وفي عـام 1989 سـافر أحمـد الخلايلة إلى أفغانسـتان، حيث شـارك في القتـال ضد قوات الاتحاد السـوفيتي. وأمضى هناك ثلاث سـنوات، وهناك أطلق على نفسه اسم «أبو مصعب الزرقاوي».

حيث كان قد انضم إلى جماعة «التوحيد والهجرة» السـلفية المتطرفة، وتتلمذ على يد زعيمها أبو محمد المقدسي.

وعندما عاد إلى الأردن عام 1993 ، بعد أن قررت الجماعة الإرهابية نقـل التجربة إليها، كان جهاز المخابـرات العامة الأردنية يتابع خطواته وسـعيه إلى بنـاء التنظيم والتحضـير للقيام بعمليات عنف واسـعة ضد منشآت أردنية وأجنبية في البلاد، ونجح في هذا الوقت في تأسيس أول

تنظيم جهادي سلفي في الأردن عُرف إعلاميًا باسم «بيعة الإمام»، أو «تيار الموحدين» وكان من أهدافه: تكفير النظام الحاكم، والكفر بالمشاركة السياسية كوسيلة من وسائل التغيير، فتم القبض عليه وتقديمه للمحاكمة عام 1994، حيث صدر ضده حكم بالسجن خمسة عشر عامًا، وصدرت أحكام أخرى ضد بعض المتطرفين الذين أُلقي القبض عليهم معه ومنهم أبو محمد المقدسي، وعصام البرقاوي وسميح زيدان وأبو قتيبة المجالي.

وداخل السجن حدثت خلافات في سبل المواجهة مع الأنظمة الحاكمة بين محمد المقدسي وأبي مصعب الزرقاوي، حيث كان الزرقاوي يرفض أية محاولات للتغيير السلمي، وكان يرى أن الحل في العنف المسلح ومحاربة مَنْ كان يسميهم بالكفرة والمرتدين.

كان الزرقاوي يعلن أن برنامجه هو المجموع المفصل في قول النبي ﷺ: «بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده»، ويقول: «لا نؤمن بالسياسة على الطريقة المعهودة عند بعض الجماعات ذات التوجه الحزبي والتي ترفع الإسلام شعارًا لها، ثم تراها داخلة في البرلمانات وتشارك الطغاة في إشغال المناصب التي تحتكم لغير شرع الله، كما أن المشاريع السياسية لبعض الجماعات فيها متاهات مريرة ومخالفات كثيرة، ولهم تطبيقات منحرفة بعيدة كل البعد عن الدين».

وبعـد قضائـه عـدة سـنوات في السـجون، كان الزرقـاوي، واحدًا ممـن شـملهم قـرار العفـو الصـادر مـن العاهـل الأردني الملك حسـين فتـم الإفـراج عنه، ليغادر بعدهـا إلى منطقة «بيشـاور» على الحدود بين باكسـتان وأفغانسـان حيث تولى في عام 2000 الإشراف على معسـكر لتدريب القاعدة.

دخل الزرقاوي العراق بشـكل غير شرعي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، والتحق بمعسـكر تدريب في شـمال العراق مـع جماعة «أنصار الإسـلام»، ثم شـارك بعد ذلك في تأسـيس تنظيم «التوحيد والجهاد في بـلاد الرافديـن» وفي أكتوبر عام 2004 بايع الزرقاوي أسـامة بن لادن وبعدها بدأ في تأسيس تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين».

ومنـذ هذا الوقت بـدأ الزرقاوي يظهـر في العديد من التسـجيلات يعلن مسـئوليته عن الهجمات والتفجـيرات التي كان يقوم بها في مناطق مختلفة من العراق.

وفي عام 2004 ، ذبح أبو مصعب الزرقاوي أحد الرهائن الأمريكيين في العـراق ويدعي «يوجين أرمسـترونج»، وذلك بجزِّ عنقه بسـكين في فيديو مصور قامت جماعة التوحيد والجهاد بنشره على الإنترنت.

وقـد رصـدت الولايـات المتحدة مبلـغ 10 ملايـين دولار لمن يدلي بأيـة معلومات تقود إلى اعتقالـه، ومن العراق أرسـل الزرقاوي خلايا مسـلحة تقـوم بعمليـات نوعيـة في الأردن، ونجـم عن ذلك ما سُـمِّي

بتفجيرات عمان2005 ، التي استهدفت ثلاثة فنادق رئيسية، ومثلت أكبر تحدٍّ للمملكة.

سعى أبو مصعب الزرقاوي إلى جمع فصائل التنظيمات الجهادية المتصارعة في إطار إعلان ما سُمِّي بـ«مجلس شورى المجاهدين» في العراق الذي تم الإعلان عنه في 15 يناير 2006، وفي هذا الوقت تم اختيار أبو عمر البغدادي أميرًا للمجلس الذي ضم كلاًّ من تنظيمات قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، وجيش الطائفة المنصورة، وسرايا أنصار التوحيد، وسرايا الجهاد الإسلامي، وسرايا بلاد الرافدين، وسرايا الغرباء، إضافة إلى كتائب الأهوال وجيش أهل السنة والجماعة..

في صباح 7 يونيو 2006 ، أعلن رئيس الحكومة العراقية – في هذا الوقت – نوري المالكي عن مقتل أبو مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين»، وفي هذا الوقت تم انتخاب أبي حمزة المهاجر، الملقب بـ «أبي أيوب المصري» أميرًا للتنظيم في منتصف أكتوبر 2006.

■■■

أبو حمزة المهاجر:

لم يأتِ اختيار أبي حمزة المهاجر أو «أبي أيوب المصري» من فراغ، فالرجل له تاريخ إرهابي طويل يؤهله لقيادة التنظيم

وفي الخامس عشر من شهر يونيو 2006، أعلن الجنرال «ويليام كالدويل» المتحدث باسم الجيش الأمريكي في العراق - في مؤتمر صحفي أن «أبا أيوب المصري» هو في الحقيقة «أبو حمزة المهاجر»، وأنه أصبح زعيمًا لتنظيم القاعدة في العراق بعد مقتل «أبي مصعب الزرقاوي»، وعرض الجنرال «كالدويل» صورة لزعيم القاعدة الجديد، وقال «إن الجيش الأمريكي يلاحق هذا الرجل، وإنه تم رصد خمسة ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض عليه».

في هذا الوقت وعقب نشر صورة «أبي أيوب المصري» أعلنت مصادر أمنية مصرية أن صاحب هذه الصورة هو الإخواني السابق والقيادي في جماعة الجهاد «محمد فؤاد حسن السيد هزاع، الشهير بالشيخ شريف هزاع».

وكان من المثير للاهتمام أن تعلن الجهات الأمنية أن هزاع لا يزال نزيلاً في سجن استقبال طرة منذ سبع سنوات ولم يخرج من السجن أصلاً حتى يذهب إلى العراق، وأن المعلومات الخاصة به تقول إنه من مواليد شبين الكوم بمحافظة المنوفية وإنه مسجون برقم قيد4512 وفصيلة دمه (B) ويحمل بطاقة أحوال مدنية رقم 3716 المنوفية وصادرة بتاريخ 26 مايو 1990.

وقد أشارت المصادر الأمنية إلى أن محمد فؤاد حسن السيد هزاع، الشهير بشريف هزاع، كان عضوًا في تنظيم «الإخوان» ثم انتقل إلى التيار السلفي وبعدها انضم إلى التنظيمات الجهادية التي التقى بعدد

مـن قياداتهـا في أفغانسـتان، ثـم عاد إلى مـصر حتى تم القبـض عليه في أغسطس 1999، وتم توجيه الاتهام إليه بالانضمام إلى تنظيم «العائدين من ألبانيـا» وتم تقديمه للمحاكمة العسـكرية، حيـث قضت المحكمة ببراءتـه، فصدر قرار باعتقاله، وظل يتنقل بين السـجون المصرية إلى أن استقر به الحال في سجن استقبال طرة.

بعـد نشر خـبر مقتله في العـراق، ملحقًا بصورته الحقيقية، أرسـلت زوجته «أم بلال» بيانًا مكتوبًا إلى الصحافة ووسـائل الإعلام أبدت فيه دهشتها من الأنباء التي تقول إن زوجها قد قُتل في العراق، وأكدت أنه لا يزال في سجنه وأنه لا صحة للأنباء التي تقول إنه قُتل في العراق وقد كان يقود تنظيمًا إرهابيًا في العراق.

وقالت «أم بلال» في البيان المنسوب إليها إن زوجها يعاني انسدادًا في شرايين القلب وارتفاعًا في ضغـط الدم والتهابًا في الغضاريف بالعمود الفقري، وهو لا يستطيع الحركة، وحالته حرجة للغاية.

غير أن المفاجأة الخطيرة جاءت من اليمن، جاءت على لسـان الزوجة اليمنية «حسناء .ع.ح» التي اكتشفت أن زوجها «أبا أيوب المصري» يحمل جواز سـفر باسم محمد فؤاد حسن السيد هزاع، بالرغم من أنه تزوجها في صنعاء عام 1998 بجواز سفر يحمل اسم «يوسف حداد لبيب».

إن الأغـرب مـن كل ذلك أنه ليـس محمد هزاع ولا يوسـف لبيب، ولكن اتضح أن اسمه الحقيقي هو عبدالمنعم عز الدين علي البدوي من

مواليد محافظة سوهاج في صعيد مصر عام1968 ، وقد تدرج في المواقع القياديـة في تنظيم الجهاد، ثم انضـم إلى تنظيم القاعدة في اليمن وأصبح مـن قيادات التنظيم في العـراق، ثم أميرًا لمجلس شـورى التنظيم، وتم اختياره خليفة لأبي مصعب الزرقاوي بالإجماع في يوليو 2006.

وقـد نجا أبو حمزة المهاجر أو «أبو أيوب المـصري» من محاولة لقتله، حيث تمكنت القوات الأمريكية والعراقية من قتل الشـخص الذي كان مرافقًا لـ«أبي حمزة المهاجر» وتمكن من الهرب، في حين تم اعتقال زوجته اليمنية «حسـناء»، وبعدها انتقل إلى الفلوجة لفترة قصيرة ثم إلى منطقة «زوبع» في «أبو غريب».

بعـد إعلان قيام «الدولـة الإسـلاميـة في بلاد العراق» تحت رئاسـة «أبي عمـر البغدادي»، تم اختيار أبي حمزة المهاجـر وزيرًا للحرب ونائبًا أول لرئيـس دولة العراق الإسـلامية، بعد أن سـبق لـه أن أعلن مبايعته لأبي عمـر البغـدادي زعيـم تنظيم القاعـدة في بلاد الرافديـن، ليحدث بذلك اندماج كامل بين تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين مع التنظيم الذي يقوده أبو عمر البغدادي تحت مسمى «الدولة الإسلامية في العراق».

وقد استطاع أبو عمر البغدادي أن يعيد بناء قواعد التنظيم وأن ينشر دعوته في العديد من مناطق العراق المختلفة، وقد ارتكب في هذا الوقت مجازر إرهابية بشعة ضد معارضيه وفي مناطق أخرى متعددة في العراق.

في عام 2007 انتقل أبو حمزة المهاجر «أبو أيوب المصري» إلى منطقة الثرثار الصحراوية التي تقع على مسافة لا تزيد على عشرة كيلومترات من تكريت، وظل يتنقل في أكثر من منزل إلى أن رصدته المخابرات الأمريكية وكان يختبئ في أحد المنازل مع «أبي عمر البغدادي» فقامت بشن عملية مشتركة مع القوات العراقية يوم الإثنين 10 إبريل 2010، وبعد اشتباكات عنيفة واستدعاء للطائرات تم قصف المنزل، وأسفرت المعركة عن مقتل «أبي عمر البغدادي» زعيم «الدولة الإسلامية في العراق» ومعه أبو حمزة المهاجر «أبي أيوب المصري»، وبعد عرض صورهما صدر بيان من الجيش الأمريكي قال فيه: «إن مقتل هذين الإرهابيين قد يشكل ضربة قاصمة للقاعدة في العراق.

في هذا الوقت قامت السلطات العراقية باعتقال «حسناء اليمنية» زوجة أبي حمزة المهاجر، وأولاده الثلاثة محمد ومريم وفاطمة، ثم أفرجت عن الأبناء، لكنَّ الحكومة رفضت الإفراج عن حسناء اليمنية، إلا بعد تدخل الخارجية اليمنية والعديد من المنظمات الحقوقية، بعد أن أثبتت أن حسناء لم تكن تعرف حتى مجرد الاسم الحقيقي للرجل الذي تزوجها بوثائق مزورة وأنجبت منه أطفالاً نسبتهم إلى أب يعيش باسم وهمي.

لقد قُتل أبو حمزة المهاجر ولكن ظل سره مثار علامات استفهام في هذا الوقت، كيف تحول عبدالمنعم بدوي إلى يوسف حداد لبيب المدرس في صنعاء ثم إلى محمد فؤاد حسن السيد هزاع الشهير بالشيخ يوسف

هزاع وتنقل بين عدة دول بهذا الاسم، ليصل به الأمر بعد ذلك إلى قيادة تنظيم القاعدة في العراق تحت اسم حمزة المهاجر «أبي أيوب المصري»؟!

لقـد جـاءت الإجابـة عـلى لسـان «إبراهيـم محمـد صالـح البنـاء» القيـادي البارز بتنظيـم القاعدة في اليمن، والذي كشـف الحقيقة كاملة في التحقيقـات التي أجرتها معه السـلطات اليمنية في يـوم الأربعاء 25 أغسطس 2010 في أعقاب القبض عليه مباشرة.

لقد اعـترف إبراهيم صالح بأنه اسـتقبل عبدالمنعم بدوي في اليمن، بعـد أن وصل إليها هاربًا من مصر بجواز سـفر باسـم «يوسـف حداد لبيـب»، وكان مسئولاً عـن تدريبـه، وهـو مـن رشـحه لقيـادة تنظيم القاعـدة في العراق بحكم قربه من الرجل الثاني في التنظيم العالمي أيمن الظواهري في هذا الوقت.

وقـد تـولى عبدالمنعم البدوي بعـد ذلك تدريب الوافدين، واشـترك مـع إبراهيـم البنَّـاء في تأسـيس جناح مخابـرات الجماعة، وقـال البناء في التحقيقات إنه اسـتطاع مع عبدالمنعم بدوي أن يعدا جيشًا قويًّا، خاصة فصيـل المخابـرات الذي ظل يقـود إلى أن تولى قيـادة التنظيم في العراق خلفًا لأبي مصعب الزرقاوي.

وعندما سأله المحقق عن عبدالمنعم بدوي وهل هو أبو أيوب المصري قائـد تنظيم القاعـدة في العراق، قـال إبراهيم البنَّاء: نعم اسـمه الأصلي كان عبدالمنعـم عز الدين علي البدوي وكنيته الحقيقية أبو الدرداء، وقبل

أن يسـافر إلى أفغانسـتان عام 2000 قمت بتزوير جواز سـفر له باسـم «أبو أيوب المصري» الحقيقي.. وقد انتحل عبدالمنعم اسمه وكنيته أيضًا.

وقال: «في عام 1996 عندما تكاسل أحمد النجار عن قيادة الجماعة، ولم يحقق النتائج المرجوة، قام أيمن الظواهري بإقصائه وأمر بترحيله إلى «تيرانا في ألبانيا» وأقام بمنطقة «روبابرزول»، وأسـند قيادة التنظيم إليَّ، ووقتها أعددت له جواز سفر باسم أحمد رجب محمد فودة وسافر ومعه عدد من الشباب، وقمت أيضًا بتزوير جوازات سفرهم وانضموا جميعًا إلى الجماعة في ألبانيا.

سأله المحقق.. وماذا فعلت بعد أن توليت قيادة الجماعة في اليمن؟

فأجـاب : «اتحدنـا أنـا وعبدالمنعم وأسسـنا الجماعة عـلى نهج منظم جـدًّا، وبدأنـا في التغلغل بين القبائـل في اليمن، وكوَّنا شـبكة علاقات لا بـأس بهـا بمشـايخ القبائل البدويـة، خاصة الحوثيين، وكنـا نبيع لهم السـلاح ونسـتعين بهم في تدبير المأوى لأفراد الجماعة، ثم التنظيم حتى وقت قريب، وأيضًا تمكَّنَّا من ضم عدد كبير جدًّا من أبناء القبائل اليمنية والمجاهدين الهاربين من سلطات الأمن».

وكشـف إبراهيـم البنَّـاء أن عبدالمنعـم غـادر اليمـن ومعـه محمـد الظواهري، واسـتقرا في أفغانسـتان قبـل أن يغادرا إلى العـراق، وقال: «إن عبدالمنعـم هـو المرجع المعلومـاتي عن التنظيم وأن أسـامة بن لادن وأيمـن الظواهري كانا يسـتقيان معلوماتهما من عبدالمنعم بدوي ومحمد

الظواهـري، وإن عبدالمنعـم كان مديرًا للفصيل المخابـراتي لكافة فروع التنظيم في العالم، وإنه لهذا السـبب رشحه ودعمه لدى أيمن الظواهري لتولي قيادة التنظيم خلفًا للزرقاوي.

■■■

بعد الإعلان رسميًّا عن مقتل أبي عمر البغدادي، تم في 16 مايو 2010 توجيه الدعوة على الفور إلى مجلس شورى الدولة الإسـلامية في العـراق لانتخـاب قيادة جـديـدة، فجـرى انتخـاب «أبي بكر البغـدادي» عضو مجلس شورى التنظيم أميرًا والناصر لدين الله سليمان وزيرًا للحرب.

لقـد كانـت مهمة أبي بكر البغدادي قبل أن يتـولى موقعه الجديد هي تسـهيل انضمام العناصر الإرهابية المتطرفة إلى التنظيم، خاصة العناصر القادمة من سوريا والمملكة العربية السعودية.

وكان «البغدادي» يتولى بنفسه الإشراف على عمليات خطف الأفراد والمجموعـات المخالفة لأفكار التنظيم، وكان يُخضعهم للمحاكمة أمام «المحكمـة الإسـلامية» أو «المحكمـة الشرعيـة» التـي كانـت في أغلب الأحيـان تُصدر أحكامهـا بالإعدام فيأمـر «البغـدادي» بتنفيذها علنًا؛ لبث الخوف بين المواطنين.

وبعد أن سـطع نجمه في عام 2010 وقـام بعمليات إرهابية كان لها تأثيرهـا الكبير على الأرض في العـراق، لفت الأنظار وأصبح يُنظر إليه على أنه يشكل خطرًا كبيرًا على الأوضاع.

في نهاية عام2011 ، كانت حركات التمرد ضد الرئيس السوري بشار الأسد قد بدأت تشهد تطورًا غير مسبوق، وبدا أن المؤامرة تهدف إلى إسقاط النظام وإسقاط الدولة السورية وتقسيمها إلى دويلات طائفية وعرقية.

في هذا الوقت كانت ما سُمِّيت بـ«الثورة السورية» قد حظيت باهتمام واسع في أوساط مقاتلي «الدولة الإسلامية في العراق»، وبدأت أعداد من السوريين تهرب في الخفاء وتمضي إلى سوريا للانضمام لحركات التمرد.

كان العقيد حجي بكر ـ وهو من ضباط الجيش العراقي في زمن صدام حسين ـ هو اليد اليمنى لأبي بكر البغدادي في هذا الوقت وقبل أن يلقى مصرعه في يناير 2014 في سوريا.

لقد نصح «أبو بلال» - وهذه هي كنيته ـ «أبا بكر البغدادي» بأن يتخذ إجراءات حاسمة تحول دون تسرب المقاتلين الواحد تلو الآخر إلى سوريا، مما يهدد استمرار «الدولة الإسلامية في العراق» بكامل قوتها.

وقد أصدر أبو بكر البغدادي في هذا الوقت قرارًا يقضي بأن أي شخص يغادر إلى سوريا يُعتبر منشقًّا وخارجًا على نظام الدولة.

ومع تزايد حدة العنف في سوريا، ازداد الغليان داخل مقاتلي «الدولة الإسلامية في العراق»، فنصح العقيد حجي بكر أمير الدولة «أبا بكر البغدادي» بأن يلجأ إلى فكرة تشكيل مجموعة من غير العراقيين تشارك في الحرب ضد نظام بشار الأسد.

وقد تم اختيار «محمد الجولاني»، أحد كبار مساعدي «أبي بكر البغدادي»، ليتولى قيادة هذه المجموعة، خاصة أنه سوري الجنسية.

وبالفعل سـافر محمد الجولاني إلى سوريا وبدأ تشكيل «جبهة النصرة لأهل الشـام» بسـتة أفراد من المقاتلين، ثم بدأ الكثيرون ينضمون إليها مـع بداية الإعلان، وقد أثار ذلك قلق «أبي بكر البغدادي»، خاصة بعد أن راح اسم «محمد الجولاني» يزاحم اسمه، وبدأ المقاتلون من السعودية وليبيا وتونس والجزائر والمغرب واليمن والخليج يتدفقون للانضمام إلى صفوف الجبهة.

في هـذا الوقت قـدَّم العقيد حجي بكر نصيحة أخـرى إلى «أبي بكر البغـدادي» طالبـه فيها بوضع حـد لتسرب المقاتلـين إلى داخل الحدود السـورية والانضـمام إلى «جبهـة النـصرة»، وقبـل أن يُصـدر البغدادي قـراره بحل «جبهة النصرة» وإعلان قيام «الدولة الإسـلامية في العراق والشـام» بثلاثـة أسـابيع، بعث بالعقيـد حجي بكر إلى سـوريا للبدء في تشـكيل فصيـل منـاوئ لتوجهـات ومواقـف «محمد الجـولاني» يكون مستعدًّا لمواجهته حال رفضه الانصياع لتعليمات «أبي بكر البغدادي».

وقـد نجـح العقيد حجي بكر، خـلال أيام معـدودة، في جذب قادة تحت سـلطتهم نحو قرابة ألف مقاتـل وأخبرهم سرًّا بوقت إعلان حل «جبهة النصرة» حتى يكونوا مستعدين للمواجهة.

وأبلـغ العقيـد حجـي بكـر بقية قـادة جبهـة النصرة بوجـود الأمير أبي بكر البغدادي في سوريا حتى يهيئهم لتقبُّل قرار الحل والمبايعة.

وفي التاسـع من إبريل 2013 بثَّت شـبكة «شموخ الإسلام» رسالة صوتيـة مـن «أبي بكر البغـدادي» يعلن فيهـا دمج «جبهـة النصرة» مع «دولة العراق الإسلامية في العراق والشام» تحت مسمى «داعش».

كان الخـبر صادمًـا لمحمـد الجولاني أمـير «جبهة النـصرة» والمقربين منـه، فثـاروا وأعربوا عن غضبتهـم ورفضهم لهذا القـرار الذي قيل إن البغدادي اتخذه دون التشاور معهم.

كانت مدينة الرقة السـورية قد سـقطت منذ فترة تحت حكم العديد من الفصائل السـورية المسـلحة، حيـث تواجدت عـلى أرضها «جبهة النصرة» و«حركة أحرار الشام الإسلامية» وفصائل أخرى.

وبعـد الإعـلان عـن الدولة الإسـلامية بايع القسـم الأكبر مـن «جبهة النـصرة» أبـا بكر البغدادي، وشـكلوا على الفـور النواة الأسـاسـية لتنظيم «داعـش» في هـذه المنطقـة، ومـع بدايـة شـهر يوليـو 2013 بـدأ التنظيم بمواجهات عسكرية مع بقية الفصائل وسعى إلى تفكيكها والقضاء عليها.

وفي الأول من أغسطس 2013 ، استطاع التنظيم أن ينتصر على «لواء أحفاد الرسـول» في معركة اسـتمرت 13 يومًا، وبتاريخ 13 أغسطس، نجح التنظيم في تفجير سـيارة مفخخة داخـل مقر اللواء أدت إلى مقتل وإصابـة العـشرات، مما دفع العديـد من التنظيمات الأخـرى إلى الهجرة

والانسـحاب مـن الرقـة، التي سـيطر عليهـا تنظيم «داعـش» وفرض سـطوته عليها واتخذها عاصمة للدولة الإسـلامية بعـد أن طهَّرها تمامًا من كافة القوى الأخرى في 12 يناير 2014.

بعد ذلك قامت «داعش» بإعدام الآلاف من السكان والمقاتلين، كما قام التنظيم باعتقال أكثر من 1200 من أبناء المدينة.

وبعـد أن انحـاز أيمـن الظواهري زعيـم تنظيم القاعـدة إلى موقف «جبهـة النصرة» ورفض قرار أبي بكر البغدادي بضم الجبهة إلى «الدولة الإسـلامية في العراق» وإضافة اسم الشام إلى الدولة، كان رد البغدادي حاسـمًا وقويًّا، إذ أذاع رسـالة صوتيـة تم بثها في مايـو 2013 اتهم فيها أيمن الظواهري بارتكاب مخالفات شرعية، وقال في رسالته «إني خُيِّرت بين حكم ربي وحكم الظواهري فاخترت حكم ربي».

وفي يونيو 2013 بثَّت مواقع التواصل الاجتماعي رسالة للظواهري طالـب فيهـا بأن يعمـل كل تنظيم في مقـر نشـأته، وأن يتوقف الخلاف الناشب بين التنظيمين في العراق وسوريا.

كما أصدر بيانًا أذاعته قناة «الجزيرة» في 8 نوفمبر 2013 دعا فيه إلى إلغاء قيام «الدولة الإسـلامية في العراق والشـام» وقصرها على العراق فقط، كما أكد دعمه لـ«جبهة النصرة» بزعامة محمد الجولاني، وقال إن الجبهة لا تزال فرعًا لتنظيم القاعدة في سوريا، وليست فرعًا للدولة الإسلامية «داعش».

وقد تضمن التسـجيل الصوتي لأيمـن الظواهري قوله: «تُلغى دولة العراق والشام الإسلامية ويستمر العمل باسم دولة العراق الإسلامية»،

كما قال: «إن جبهة النصرة لأهل الشـام تُعَدُّ فرعًا مسـتقلًا لجماعة قاعدة الجهـاد تتبع القيـادة العامة»، وقـال: «إن الولاية المكانيـة لدولة العراق الإسلامية هي العراق، والولاية لجبهة النصرة لأهل الشام هي سوريا».

لقد أعلن «الظواهري» عن غضبه الشـديد وقال: «لقد أخطأ الشيخ أبوبكـر البغـدادي بإعـلان دولـة العـراق والشـام الإسـلامية دون أن يستأمرنا أو يستشيرنا، بل دون إخطارنا، كما أخطأ الشيخ محمد الجولاني بإعلانه رفض دولة العراق والشـام الإسلامية وإظهار علاقته بالقاعدة دون أن يستأمرنا أو يستشيرنا، ودون إخطارنا».

لقـد أراد «الظواهري» من وراء رسـالته تحريض قواعد التنظيم ضد أبي بكر البغدادي، وهو أمر ترك آثارًا سـلبية لدى «البغدادي» وقيادات «داعش»، مما دفعه إلى الرد على بيان «الظواهري» في اليوم نفسه، الثامن من نوفمبر 2013.

لقـد قال أبوبكر البغدادي، في بيانه، متحديًـا «الظواهري»: «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ولن نساوم عليها أو نتنازل عنها».

كانـت الرسـالة واضحـة ومختصرة ومحـددة، وكان ذلك يعنـي نقلاً للـصراع مـع «القاعـدة» ومـع تنظيـم النـصرة إلى العلـن، خاصـة أن «البغـدادي» سـبق أن أعلن، في رسـالة صوتية بُثّـت في إبريل من نفس العـام، أن «جبهـة النصرة هـي امتداد لدولـة العراق الإسـلامية وجزء منهـا»، معلنًـا «إلغاء اسـم دولـة العراق الإسـلامية وإلغاء اسـم جبهة

النصرة وجمعهما تحت اسم واحد هو الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)».

لقد قال «أبو بكر البغدادي» وقتها إنه «استشار أهل الحِلِّ والعقد في دمج التنظيمين وإنهم باركوا هذه الخطوة»، لكنَّ محمد الجولاني، زعيم تنظيم النصرة، كذَّب «البغدادي» وقال إنه لم يُستشر في هذا الأمر، بل إن كبار علماء النصرة لم يُبلغوا بخبر الدمج إلا عبر وسائل الإعلام.

كان طبيعيًّا أن ينعكس الصراع الحاد على قواعد التنظيم في سوريا تحديدًا، مما أحدث انقسامًا بين مقاتلي الجبهة على الأرض السورية، وزاد من حدة الانقسام إعلان «الجولاني» تجديد بيعته للظواهري، معتبرًا أن بيعته السابقة لـ«البغدادي» كانت بصفته ممثلاً للظواهري في العراق!!

صمم أبوبكر البغدادي على رفض الانصياع لنصيحة «الظواهري» وقرر تعزيز وجود «داعش» في سوريا، فبدأت «داعش» السورية في تصعيدحربها ضد جبهة النصرة أولاً، ثم ضد بقية فصائل المعارضة ثانيًا، مما أثار قائد جبهة النصرة، الذي وصف ما تقوم به «داعش» على الأرض السورية بأنها أفعال إجرامية وكافرة، وقد اضطُرت «داعش» إلى الرد على لسان الناطق باسمها بالتهديد «بسحق كل مَنْ يختلف معها»، وعرضت جائزة مالية لكل مَنْ «يقطع رأس مقاتل من جبهة النصرة».

ومع تزايد الخلافات بين التنظيمين، دعا أيمن الظواهري، في يناير 2014، إلى إقامة مجلس لحل الخلافات، استنادًا إلى مبادئ الشريعة

والفقـه الإسـلامي لتوحيد جهود الحـرب ضد نظام الرئيس السـوري بشـار الأسـد، لكنَّ أبا بكر البغدادي رفض دعـوة «الظواهري» وأصر عـلى المـضى في طريق إقامـة «الدولة الإسـلامية في العراق والشـام» كما رفـض طلـب الظواهري والجولاني بتأجيـل البت في هذا القـرار إلى ما بعد سـقوط نظام «الأسـد»، مما اضطر القيادة العامة لتنظيم القاعدة إلى إصـدار بيان في فبرايـر 2014 نفت فيه أي علاقة لهـا بتنظيم (داعش)، وأعلنـت في بيـان موقَّـع باسـم «جماعـة قاعدة الجهـاد» بوقـف العمل والتواصل مع هذا التنظيم.

وقـال البيـان: «إن تنظيم داعش ليـس فرعًا من القاعـدة ولا تربطه بهـا علاقة تنظيميـة، وإن التنظيم قطع علاقته مع داعش، عقب عصيانه للأوامر الصادرة من زعيم التنظيم أيمن الظواهري».

ومنذ هذا الوقت أصبح الصراع مفتوحًا بين ما يسـمى بتنظيم الدولة الإسـلامية «داعـش» وبـين تنظيـم القاعدة وجبهـة النصرة في سـوريا، ومـع تزايد حـدة الصراع ونجاح «داعش» في اجتيـاح العديد من مواقع جبهة النصرة في سـوريا، بدأ العديد من فـروع «القاعدة» في بلدان العالم العربي والإسلامي يعلن ولاءه لتنظيم «داعش» ويبايع أبا بكر البغدادي (خليفة للمسـلمين)، حتى وصل الأمر إلى ما سمي بتنظيم «أنصار بيت المقدس» في مصر وبعض المنتمين لجماعة الإخوان الإرهابية!!

■■■

الصدمة والخيار البديل

في العـاشر من يونية 2014 فوجئ الرأي العام في الداخل والخارج بالانتصـارات «الصادمـة» التي حققهـا تنظيم «داعـش» على الأرض العراقيـة؛ ففي سـاعات محدودة سـقطت محافظة نِينَـوَى، ثانية كبريات المحافظات العراقية؛ حيث اجتاحت قوات «داعش» والقوى المتحالفة معهـا أرض المحافظـة بعد أن طوّقتها من اتجاهـات محددة، ولم يكن من خيار أمام قـوات الجيش والأمن العراقية إلا الهروب من ميدان المعركة وترك أسـلحتهم الثقيلة لتسـقط في أيدي المقاتلين ذوي البأس الشديد، المدربين تدريبًا جيدًا على فنون الحرب المختلفة.

تقع محافظة نينوى، وعاصمتها الموصل، على بعد 350 كيلومترًا إلى الشـمال من بغداد؛ حيث تُعَدُّ من المحافظات ذات المذهب السني ويبلغ تعداد سكانها نحو 3.5 مليون مواطن.

كانت البداية تحركًا مفاجئًا لقوات مجهولة الهوية من المسلحين الذين ينتمون إلى العشـائر السـنية وما يسـمى بجيـش «النقشـبندية» وضباط

وجنـود ينتمـون إلى الجيـش العراقي السـابق الذي تم حلـه في أعقاب الاحتـلال الأمريكي البريطاني للعراق عام 2003، بالإضافة إلى جنود «داعش» وبعض التنظيمات السلفية الأخرى.

وبسرعـة الـبرق، سـقطت محافظة نينَـوَى في أيدي المسـلحين الذين قدمـوا مـن الشـمال؛ حيـث اقتحمـوا مقـر عمليـات الأنبـار ونينَـوَى للعمليات العسـكرية واسـتولوا على المباني وحي الطيران، الذي يعتبر مربعًـا أمنيًّـا محصّنًـا في مدينـة الموصل، ويضم منـازل العديـد من كبار ضباط الجيش العراقي، كما نجح المسـلحون في اقتحام سـجن بادوش؛ حيـث فتحوا الأبـواب لتهريب ما يقارب الثلاثة آلاف من المسـجونين السياسيين والجنائيين على السواء.

كانـت سـاعة الصفـر هي يـوم الجمعة، العـاشر من يونيـو 2014، وكان المهاجمون يمتلكون خرائط ومعلومات دقيقة حول مواقع الجيش وعنـاصر الشرطـة العراقية في أنحـاء المحافظة، وقد نجحـوا في مفاجأة القـوات التـي لم تجد أمامها من خيار إلا الهروب السريع وترك السـاحة كاملة للمهاجمين.

وكان في مقدمـة الهاربـين قائـد عمليـات نينَـوَى، الفريـق مهـدي العـزاوي، والفريق أول علي غيـدان، قائد القوات البريـة، اللذان تمكنا مـن الهرب إلى بغـداد عبر المروحيـات، وتبعهما في ذلـك آلاف الضباط والجنود الذين راحوا يهيمون على وجوههم بعيدًا عن ميدان القتال.

وخلال أيـام قليلة، كانـت القوات المهاجمـة، التي يتصدرهـا تنظيم «داعش»، قد تمكنت من احتلال العديد من المحافظـات والمناطـق التي امتـدت من بغداد إلى ضواحي دمشـق ومن الحدود الأردنية إلى الحدود التركية، في فتــرة لا تزيد على الشهر.

كان الأمر غريبًا ومثيرًا للدهشـة، فبيانـات الحكومة العراقية أكدت أن مَـنْ قامـوا بكل هـذه الهجمات واحتلـوا المدن والمحافظـات ينتمون فقـط إلى تنظيـم «داعش»، بينـما الحقيقة كانت تقـول إن «داعش» الذي لا يزيد عدد أعضائه على ثلاثين ألف عضو في هذا الوقت ليس سـوى فصيل مـن فصائل أخرى متعددة، اتفقت جميعها على إسـقاط حكومة «المالكـي» والسـيطرة على المناطق السـنية في العـراق كبداية للانطلاق باتجاه المنطقة بأسرها.

وقـد نجحـت الفصائـل المسـلحة بعد يـوم واحد فقـط في أن تصل بقواتهـا العسـكرية إلى بلـدة «العظيـم» ومـن بعدهـا «الضلوعية» على مشـارف بغـداد الشـمالية؛ حيث وجـدت ترحيبًا مـن أهـالي البلدتين، خاصة أنهما من أبرز بؤر التمرد السـني منذ الاحتلال الأمريكي للعراق عـام 2003، كما أن الضلوعية تضم المئـات من ضباط الجيش العراقي السـابق والمنتمين لحزب البعث الذي تم حله بعد إسـقاط نظام الرئيس الأسـبق صدام حسين، وكان من بين القوى التي زحفت مع «داعش»، جيش المجاهدين، وهو تنظيم سـلفي، له دور كبير في مقاومة الاحتلال الأمريكـي، وجيـش رجال الطريقـة «النقشـبندية» وهـو تنظيم صوفي

يقـوده عـزة إبراهيـم الدوري، نائـب الرئيـس العراقي الأسـبق صدام حسـين، وأيضًا تنظيم أنصار السـنة، وهو تنظيم متشدد له تاريخ طويل في العراق، وكان يشـاركهم أيضًا ضباط سابقون في الجيش العراقي لهم وجودهم الكبير في مدينة «الموصل» وغيرها.

كانـت الخطة التي تـم الاتفاق عليها تقضي بالتحرك من قرى عشـائرية جنوب الموصل ومن بينها: الحديديين والبدران؛ حيث تتواصل هذه القرى بمنطقـة الجزيرة التـي ترتبط جغرافيًا بالأنبار، ممـا كان له بالغ الأثر في دعم المهاجمين وتأمين دخولهم واستيلائهم على معسكرات الجيش العراقي.

كانـت الخطـة تقضي بعـدم الدخول في معـارك مع السـكان وتجنب الصدام بالقرى والأحياء غير السنية في الموصل، وكذلك الحال بالنسبة للمناطـق الكرديـة والمسـيحية؛ حيث بقيـت أحياء الحمرانيـة والقوش وبعشيقة وغيرها تحت سيطرة البشمركة الأكراد في بداية الأمر.

كانت وجهة القوات المهاجمة محددة، بدأ الهجوم على الجانب الأيمن مـن الموصـل بنحـو 2500 مقاتل ينتمـون إلى جميع الفصائـل المنضوية بـما فيهـا «داعش»، نجحـت القـوات المهاجمة في إسـقاط مقـر الشرطة الاتحادية، المعروف بممارسـاته القمعية والطائفية ضد السـكان، خاصة «السـنة» منهـم، ثم تلا سـقوط الفرقتين العسـكريتين للجيش العراقي حدوث انهيار وفرار كبير إلى خارج المحافظة، تاركين أسـلحتهم الثقيلة من الدبابات والمدرعات ومنظومة الصواريخ المضادة للطائرات.

لقد استقبل سكان الموصل القوات المهاجمة بترحيب حذر، وهو أمر كان متوقعًا؛ حيث رأى السكان ذوو الأغلبية السنية أن هذه القوات ربما تحميهم من الممارسات الطائفية والقمعية التي مورست ضدهم من حكومة «المالكي» وميليشياته على وجه التحديد.

لقد اختصر محافظ الموصل، أثيل النجيفي، المشهد في حديث تليفزيوني أذاعته قناة «البغدادية» بالقول: «إن الناس في الموصل تفرُّ إلى مَنْ ينقذها، عندما يقع الظلم من القوات الأمنية». وقال: «لقد قلت للفريق علي غيدان، قائد القوات الحكومية: إنكم تخسرون الناس بممارساتكم؛ فداعش لا يمكن أن تعيش بجو ليس إيجابيًّا لها».

وقال: «إن داعش تصرّفت بكياسة مع المواطنين بالموصل أكثر من القوات الأمنية الحكومية». وأضاف أن «هناك عددًا من الفصائل المقاتلة تشترك مع داعش، وأن السكان المحليين ينظمون لجانَ حماية بالتنسيق مع الفصائل المسلحة».

أما السياسي العراقي أحمد العبيدي، منسق اللقاء العربي - التركماني، فقد نسبت إليه صحيفة «القدس» اللندنية القول: «الأمر الجيد أن مقاتلي الدولة لم يقوموا بأي ممارسات متشددة، المسلحون هم أقاربنا ومن عشائرنا بالنهاية، ومعظم المقاتلين في قرانا من أبناء منطقتنا وجرى تنسيق جيد بينهم وبين (داعش)»!!

لقد كان أيضًا للممارسات الطائفية والقمعية التي قامت بها بعض الميليشيات الشيعية على أرض العراق خلال السنوات التي تلت

الاحتـلال الأمريكـي للعراق في عـام 2003 الدور الأهـم في التقارب الذي حدث بين عشائر السنة وبين تنظيم داعش.

كانـت عمليات القتـل والذبح التي قامت بها ميليشـيات «المالكي» على مدار السـنوات الماضية تحديدًا هي كلمة السر التي وحّدت الجميع مـع «داعـش» في بدايـة الأمـر، رغـم الإرث التاريخي من الـصراع بين العشـائر السـنية وتنظيم القاعدة في بـلاد الرافدين، الـذي كان يتزعمه أبومصعب الزرقاوي، الذي لقي حتفه عام 2006.

لقـد سـعت «داعش»، منذ بـدء الهجـمات في العاشر مـن يونيو، إلى طمأنة المواطنين؛ حيث وزعت العديد من المنشـورات التي أكدت فيها أنهـا لـن تتدخل في حياتهم الخاصة، وأنها جـاءت مع الفصائل الأخرى لإنقاذهـم مـن ظلم قوات وميليشـيات نـوري المالكـي وحلفائه، وهو الأمر الـذي دفع الكثير إلى الاصطفاف التنظيمي مع أهل السـنة للمرة الأولى بمختلف اتجاهاتهم الفكرية والاجتماعية.

وهكـذا، بعـد يـوم واحـد مـن سـقوط الموصـل، كان الموظفـون الحكوميون يعودون إلى أعمالهم ووظائفهم، وسـاد الهدوء المدينة بشكل غريب، وترقب الناس مسـار الأوضاع في الشـوارع والمناطق المختلفة، بينما سادت حالة من الخوف أدت إلى إغلاق المتاجر والمحلات والمقاهي.

وأوقف المسلحون بعضًا من الرافضين لهم وتم إعدامهم في الشوارع، بينـما أصدر تنظيـم داعش تحذيرًا للسـكان من النطق بكلمـة «داعش»

وإلا كان العقاب ثمانين جلدة للمخالفين، حيث بدأت داعش تكشف عن وجهها الحقيقي سريعًا.

بدأ الآلاف من العائلات في النزوح باتجاه كردستان، شمال العراق؛ خوفًا من قوانين «داعش» التي تحدُّ من حريات المواطنين وتجعلهم عرضة للموت والعقاب في أي وقت.

في هذا الوقت كان الموقف الأمريكي مثيرًا للتساؤلات في نظر البعض، وهو أمر دفع المحللين إلى التساؤل عمّا إذا كان ما يجري يتم بضوء أخضر أمريكي، وبهدف تنفيذ مخطط الشرق الأوسط الجديد، بدءًا من سوريا والعراق.

إن أغرب التحليلات في هذا الشأن يقول: «إن سقوط الموصل في أقل من ليلة على يد المسلحين وهروب القوات العسكرية الحكومية باتجاه بغداد وكردستان إنما هو أمر متفق عليه سلفًا».

ويرى أصحاب هذا الرأي أن هناك رشاوى قُدِّمت لقيادات عسكرية كبرى، كما أن عنصر المفاجأة وإقدام قوات داعش وتسليحها المتقدم كل ذلك دفع إلى سقوط الموصل والعديد من المدن من حولها سريعًا.

لقد فاجأت «داعش» الجميع بقوتها، وأسلحتها المتقدمة، وتدريباتها المتميزة، فكان السؤال المطروح: كيف ومن أين.. ولماذا؟!

منذ البداية كانت المعلومات تؤكد أن هناك قوة فاعلة ولديها القدرة والسيطرة، هي التي تقف خلف تنظيم «داعش»، تقدم له المال، وتتولى دعمه بالسلاح، وتدريب أعضائه وقياداته على فنون القتال.

إن ذلك يتجاوز حتى المخطط الذي تبنته الولايات المتحدة وسعت إلى تنفيذه على أرض الواقع، وهو ما سُمِّي «مخطط الشرق الأوسط الجديد».

ولذلك اتجهت عيون العالم صوب العاصمة الأمريكية واشنطن تراقب الموقف وردود الأفعال.

لقد أُعلن عن مؤتمر صحفي مهم للرئيس الأمريكي «باراك أوباما» لمواجهة التطورات التي تشهدها العراق وسوريا في الثامن والعشرين من أغسطس 2014.

غير أن المؤتمر جاء مخيبًا لآمال الحلفاء والأصدقاء؛ فقد حدد أوباما موقفه في هذا المؤتمر على الوجه الآتي:

- إن بلاده تسعى إلى تشكيل تحالف دولي وإقليمي لمواجهة تنظيم «داعش»، وإنه قرر إيفاد وزير خارجيته «جون كيري» إلى منطقة الشرق الأوسط لهذا الغرض.
- إنه طلب من وزير دفاعه «تشاك هيجل» إعداد مجموعة من الخيارات لمواجهة التنظيم.
- أشار إلى إمكانية وجود دور لتحالف دولي بتقديم دعم جوي للقوات العسكرية العراقية وتوفير تدريب وعتاد، وأن الأولوية تكمن في ضمان دحر التقدم الذي أحرزه تنظيم «داعش» في العراق.

- إن الولايات المتحدة بإمكانها اقتلاع تنظيم «داعش» بسهولة، لكنه سيعود بمجرد مغادرتها، لذا فالاستراتيجية سياسية في المقام الأول.
- إنه لم يتم تحديد استراتيجية للتدخل في سوريا حتى هذه اللحظة، وإن الأسد لا يملك القدرة على الدخول لمناطق يسيطر عليها «داعش»، وبالتالي فإن أمريكا ليست مضطرة لأن تختار بين «داعش» والأسد.
- إن كسر شوكة «داعش» على المدى الطويل يتطلب استراتيجية إقليمية بالتعاون مع السُّنة في العراق وسوريا.

بعدها دعا وزير الخارجية الأمريكي جون كيري يوم الجمعة 29 أغسطس 2014 إلى تحالف عالمي واسع من أجل مكافحة تنظيم «داعش».

وكتب «كيري» مقالاً في صحيفة «نيويورك تايمز» مطالبًا بردٍّ موحد بقيادة الولايات المتحدة وتشكيل أوسع تحالف ممكن بين الأمم.

وأوضح كيري «أنه سيسعى مع وزير الدفاع الأمريكي «تشاك هيجل» إلى تشكيل هذا التحالف خلال المحادثات مع شركائه الغربيين على هامش اجتماعات قمة حلف شمال الأطلسي التي ستُعقد في «ويلز» في الرابع والخامس من سبتمبر».

وقال كيري: «إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما سيقترح استراتيجية ضد «داعش» خلال اجتماع مجلس الأمن الدولي الذي ستتولى الولايات المتحدة رئاسته في شهر سبتمبر».

ورأى كـيري أن هـذا التحالـف يمكـن أن يلجأ إلى الوسـائل السياسـية والإنسانية والاقتصادية والقانونية والاستخباراتية لدعم التحرك العسكري.

■■■

لم تكـن هـذه التصريحات التـي أدلى بها الرئيـس الأمريكـي ووزير خارجيته إلا تعبيرًا عن الأزمة التي تعيشها إدارة أوباما في الوقت الحالي، ذلـك أن هذه الإدارة كان لها تحديدًا دورٌ لا يمكن تجاهله في إنشـاء هذا التنظيم ورعايته مع بداية تجنيد المقاتلين السلفيين للقتال ضد نظام بشار الأسد في عام2011 .

وبعـد الانتصـارات التـي حققهـا التنظيم عـلى السـاحتين العراقية والسورية ومحوه للحدود الفاصلة بين البلدين وذبح الصحفي الأمريكي «جيمس فولي» أصبـح أوباما في موقـف صعب، خاصة بعد الانتقادات التي وجهها «الجمهوريون» وأيضًا عناصر من حزبه «الديمقراطي».

لقد ركزت حملة الحزب الجمهوري وممثليه في الكونجرس الأمريكي عـلى ضرورة تدخل الجيش الأمريكي لتوجيه ضربـة قوية إلى «داعش» في سـوريا لحسـاب القوى المدنية المعتدلة التي تواجه نظام الرئيس بشار الأسد، بينما يفضل الحزب الديمقراطي والرأي العام الأمريكي سياسة الحـذر في معالجة الأزمة، حتـى لا تنجـرَّ الولايات المتحـدة مرة أخرى إلى المسـتنقع العراقي، إلا أن هؤلاء يـرون بضرورة تكوين تحالف دولي وإقليمي يلعب الدور الأساسي في المواجهة.

من هنا جاءت الفكرة التي طرحها الرئيس أوباما لتمثل مخرجًا لإدارته من هذه الأزمة، وفي نفس الوقت تحشد المجتمع الدولي ودول المنطقة للمشاركة في هذه المواجهة.

غير أن الإدارة لم تنس أو تتجاهل الفشل الذي مُنيت به الزيارة السابقة لجون كيري إلى المنطقة والتي جاءت في أعقاب الانتصارات التي حققها تنظيم «داعش» منذ العاشر من يونية 2014.

بدأ جون كيري جولته في 22 أغسطس 2014 بزيارة مصر، ثم الأردن والعراق وكردستان والسعودية، وخلال المباحثات التي أجراها مع الرئيس عبدالفتاح السيسي ووزير الخارجية المصري سامح شكري، طرح كيري رؤيته لما يجري في العراق والمنطقة على الوجه التالي:

- إن ما يجري في العراق يشكل خطرًا كبيرًا على أمن المنطقة، وإن الانتصارات التي حققها تنظيم «داعش» وسقوط الموصل تهدد أمن العراق بأسره وأمن دول الجوار جميعًا.

- إنه جاء إلى المنطقة مستهدفًا تشكيل تحالف جديد يتصدى للإرهاب من جهة وللدور الإيراني في المنطقة من جهة أخرى، حيث قال: «في الوقت الذي يجب علينا أن نحارب الإرهاب يجب ألا نغض البصر عن مطامع إيران في المنطقة»!!

- إن واشنطن تقترح البدء فورًا في إقامة هذا التحالف وتكون نواته الصلبة دول مجلس التعاون الخليجي بالإضافة إلى مصر والأردن.

- إنـه يقـترح عقد لقاء عاجل على مسـتوى وزراء خارجية دول مجلس التعـاون الخليجـي ومـصر والأردن بحضور مسـئولي الأمن في تلك الـدول؛ لصياغـة برنامج موحد في مواجهة الإرهاب أيًّا كان، سـواء أكان إرهاب تنظيمات أم إرهاب دول (يقصد إيران).

لم ينطـلِ هذا الكلام على مصر، لقد أدركت أن واشـنطن تسـعى إلى توريـط دول المنطقة في حرب سـتصبُّ لمصلحة أمريـكا؛ ولذلك كانت وجهة نظرها التي أبلغها وزير الخارجية سامح شكري على الوجه التالي:

- أن مصر سوف تدرس هذه الاقتراحات وسترد عليها في وقت لاحق، وأن الرئيس منشـغل حاليًّا بزيارة إلى الجزائر، وأن القاهرة سـتدرس الموقف في أعقاب جولة الرئيس الإفريقية.
- أن القاهـرة تحبذ السـعي إلى اسـتخدام لغة الحـوار للتوصل إلى رؤية واضحة للأزمة في العراق، وتحذر من إلحاق الأذى بالشعب العراقي.
- أن مـصر سـوف تجري اتصالات مع رئيس الحكومـة العراقية في هذا الوقت بهدف تشـكيل حكومـة توافق وطني يرضى عنهـا العراقيون بكافة اتجاهاتهم.

■■■

بعدهـا توجه جون كيري في أعقاب زيارته لمصر إلى الأردن مباشرة، حيـث عقـد لقـاء مـع وزيـر الخارجيـة الأردني نـاصر جـودة بحضور

مسئولين آخرين، حيث كان الملك في زيارة خارج البلاد في هذا الوقت شملت ألمانيا وكازخستان.

وفي أعقاب هذا الاجتماع عقد كيرى لقاءً ثلاثيًا في عمان بحضوره وحضور وزير الخارجية الأردني وأيضًا وزير الخارجية الإسرائيلي «ليبرمان»، وهو الاجتماع الذي جرى في سرية تامة.

وفي هذا الاجتماع حدث اشتباك لفظي بين كيري وليبرمان، حيث اتهم كيري ليبرمان بأن حكومة إسرائيل تتصرف بناء على تحليلها ونظرتها فقط دون أن تراعي ظروف الآخرين، خاصة فيما يتعلق بالموقف في العراق.

وحذَّر كيري ليبرمان من مغبة التمادي في التفرد واللعب بالملف العراقي، وطالبه بعدم توريط الأكراد في مذبحة جديدة سوف تتحمل إسرائيل مسئولية توريطهم فيها.

وطلب كيري من وزير الخارجية الإسرائيلي في هذا اللقاء منح أمريكا الوقت الكافي لبناء تحالفات جديدة في المنطقة، وطمأنه بأن «إسرائيل» لن تكون بعيدة عنها، ولكن على إسرائيل أن تنزوي حاليًا من أجل أن تتمكن أمريكا من إقامة هذا التحالف دون شبهات أو شكوك أو تحفظات، خاصة من السعودية ومصر.

وأكد وزير الخارجية الأمريكي خلال اللقاء أن المشروع الأمريكي الجديد يقوم على أساس بناء محور جديد أو متجدد في المنطقة تكون قوته

الأساسـية دول مجلس التعـاون الخليجي، بالإضافـة إلى مصر والأردن وبالتنسيق غير المباشر مع إسرائيل. وطلب كيري من ليبرمان أن تسهل إسرائيل على أمريكا ما تسعى إليه.

وعندما سـأل كيري وزير الخارجية الأردني عـن رأيه في ذلك، قال: «إن الأردن مـع أي تحالـف يؤدي إلى التصدى للإرهـاب الجديد الذي بات يهدد أمن المنطقة بأسرها».

وبعد انتهاء زيـارة كيري للأردن توجّه مباشرة إلى بغداد يوم الإثنين 23 يونيـة 2014 ، والتقى رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي وجرى بينهـما حوار مطـول حول مخاطـر المرحلة الحاليـة في العـراق، وقد كان الحوار صريحًا بين الجانبين وراح كل منهما يحمِّل الطرف الآخر المسئولية عن تدهور الأوضاع في العراق (النص الحرفي للحوار ـ وثائق الكتاب).

وبعـد أن أنهى وزيـر الخارجية الأمريكي زيارتـه إلى بغداد توجه إلى كردسـتان، حيـث كانت المؤشرات تؤكد أن نية قـادة الإقليم تتجه نحو إجراء الاستفتاء على تقرير المصير في أقرب وقت ممكن.

وخلال لقائه مع مسـعود البرزاني في يـوم الثلاثاء 24 يونية 2014 ، حذر جون كيرى المسئولين الأكراد ـ وبالذات البرزاني ـ من مغبة التفكير بأي خطوة عاطفية متسرعة لاستغلال الأوضاع الحالية في العراق.

وأبلغ كيرى المسئولين في كردستان أن الظروف غير مهيأة في الوقت الراهـن لإعـلان اسـتقلال الدولة الكرديـة، خاصة أن هنـاك كثيرًا من

الأنظمة والحلفاء يعتبرونه مشروعًا خطيرًا على أمن المنطقة واستقرارها، كما أن العراق وتركيا وسوريا وإيران لن يقبلوا بهذا المشروع، وإن كانت بعض هذه الدول تتعاطف معكم الآن، لكنها في نهاية المطاف ستكون جميعها معارضة لدولة كردية مستقلة، وعليكم التفكير بهدوء حتى لا تكونوا قربانًا لاتفاق الآخرين عليكم.

وقال كيري: «أنا أفهم موقف المملكة العربية السعودية تجاه حكومة العراق الحالية ومدى رفضها للمالكي، ولكن السعوديين في النهاية حريصون على وحدة العراق»، وقال: «أعتقد أنه في حال إعلانكم الاستقلال ستجدون السعوديين أقرب للمالكي وربما سيتحالفون معه أو مع غيره ضد استقلالكم لأنهم سيدافعون عن أنفسهم».

وطلب كيري من الأكراد التصرف بحكمة وضرورة المشاركة في الجهود المحلية والإقليمية لتشكيل الحكومة العراقية، وأبلغهم أن مسألة استقلال كردستان من الممكن أن تتحقق مستقبلًا من خلال المفاوضات والحوارات والقبول من الجميع.

وبعد زيارته لكردستان غادر جون كيري المنطقة متوجهًا إلى باريس ووجَّه دعوة لوزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن للقائه في باريس، وكان مخططًا أن يُعقَد اللقاء يوم الخميس الموافق 26 يونية 2014 ، إلا أن اللقاء اقتصر على وزراء خارجية السعودية والأردن والإمارات، ولم يحقق نتيجة تُذكر.

وكانـت مصر والسـعوية قد توصلتـا ـ بعد التشـاور ـ إلى أن مبادرة كـيري الجـديـدة لا تشـكل مدخـلًا مقبولًا، خاصة أن الجانب المصري ما زال يعتقد أن الأمريكان قد تجاهلوا طيلة الفترة الماضية الواقع الجديد في مـصر بانتخـاب قيادة جديدة، كـما أن مصر غير معنيـة في هذه الفترة بالدخول في سياسة المحاور وإن كانت معنية بعلاقات طيبة مع الجميع، وأن مصر مستعدة للمشاركة في أي مؤتمر دولي لمكافحة الإرهاب، لكن ليس من خلال سياسة المحاور.

أما السـعودية فقد أكدت بدورها رفض المشـاركة في أي لقاء لدول مجلس التعاون الخليجي تشارك فيه قطر، ولذلك فشل الاجتماع وفشلت المبادرة التي أطلقها وزير الخارجية الأمريكي.

وبعـد لقاء باريس انتقل كيري إلى المملكة العربية السـعودية، إلا أن هذه الزيارة فشلت أيضًا في إحداث أي تغيير في ملف العلاقات الفاترة بين واشنطن والرياض.

لقد رفضت القيادة السـعودية مقترح «الحلف» الذي طرحه كيري، وحمَّلت السـعودية الإدارة الأمريكية مسـئولية ما آلت إليه الأوضاع في سوريا والعراق.

وقد أطلع كيري المسئولين السـعوديين على نتائج مباحثاته في مصر والأردن والعـراق وكردسـتان، إلا أن السـعودية أكدت أن ممارسـات حكومـة نـوري المالكـي الطائفيـة هـي المسـئول الأكبر عن خلـق هذه التنظيمات المتطرفة.

وأكد وزير الخارجية السعودي أن المملكة ترفض عمليات التطهير والإقصاء التي تقوم بها حكومة المالكي لطائفة السنة في العراق، وقال إن هذه الأفعال كان لها دور كبير في وقوف العشائر خلف هذه التنظيمات التي قدمت نفسها على أنها المنقذ للسنة.

انتهى الاجتماع بين جون كيري وكبار المسئولين السعوديين دون التوصل إلى نتائج محددة، مما أثار قلق الولايات المتحدة، غير أن الأحداث التي شهدتها العراق وسوريا والمخاطر التي باتت تهدد الدول المجاورة والضغوط الداخلية دفعت أوباما إلى اتخاذ قرار بإرسال جون كيري مرة أخرى إلى المنطقة، عندما أعلن عن ذلك في مؤتمره الصحفي في 28 أغسطس 2014 .

وقبيل بدء جولته الجديدة في المنطقة، التي استهلّها بزيارات إلى عدد من دول المنطقة في الأسبوع الأول من شهر أغسطس 2014 ، أعلن وزير الخارجية الأمريكي جون كيري «أن التحالف الدولي سوف يستمر لسنوات من أجل القضاء على «داعش» الذي يزرع الرعب في العراق وسوريا»، وقال: «إن كل دولة سيكون لها دور في التصدى للتنظيم الإرهابي».

أما الرئيس الأمريكي باراك أوباما فقد أجرى اتصالًا هاتفيًا يوم الأربعاء 10 سبتمبر 2014 بالعاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز تناول خطة التحرك الأمريكي في المنطقة لبناء تحالف دولي في مواجهة داعش.

وفي هذا الخطاب الذي ألقاه أوباما فجر الخميس 11 سبتمبر 2014 ، أكـد الرئيس الأمريكي «أن أمريكا لـن تلعب دور العراقيين والعرب في حماية بلدانهم من الإرهاب، ولذلك ستقود تحالفًا دوليًا ضد هذا التنظيم، ولـن يجد «داعـش» ملاذًا آمنًا، وسـنوجه مزيدًا من القوات، وسنرسـل 574 مستشارًا عسكريًّا لتدريب قوات المعارضة السورية والعراقية».

وقـال: «إن هذه القوات لن تخوض معارك على الأرض، ولن ننجرَّ إلى معـارك أخـرى»، وقـال: «أطالـب الكونجـرس بمزيد مـن الدعم والموارد لمحاربة هذا التنظيم».

وزعم أوباما في كلمته أن «أمريكا تسـعى لمسـاعدة المسلمين على أن يصلوا إلى التسامح»، وقال: «نحن نريد أن نحمي السوريين والأمريكيين من الأسلحة الكيميائية، وأنا كقائد أؤكد أن الجيش الأمريكي سيلاحق «داعش» في أي مكان حتى إذا تطلب الأمر توجيه ضربات في سوريا».

وقـال أوبامـا: «إن جون كيري وزير خارجية أمريكا سـيتوجه لعدد من الدول في الشرق الأوسـط لنُطلع العالم على خطة الولايات المتحدة للقضـاء عـلى (داعـش)»، وقـال: «إن الحـرب على «داعش» سـتكون مختلفة، حيث لن نخوض حربًا على الأرض، وسنكتفي بضربات جوية فقط، وهذه الاستراتيجية نجحت في اليمن والصومال».

وخلال اجتماع جدة، الذي شارك فيه كل من مصر والسعودية والعراق والكويـت والإمـارات والبحريـن وقطر وسـلطنة عُـمان والأزدن وتركيا

والولايات المتحدة، تعرَّض المشاركون إلى آخر التطورات على الساحتين السورية والعراقية وسبل وآليات مواجهة «داعش». كما طرح وزير الخارجية الأمريكي جون كيري رؤية بلاده للأوضاع في سوريا والعراق، وطالب المشاركين بضرورة الوقوف صفًّا واحدًا في مواجهة هذا التنظيم الإرهابي. كذلك جرت نقاشات مطولة حول آلية مواجهة تنظيم «داعش» على الأراضي السورية، والموقف من نظام الرئيس بشار الأسد.

وبعد مناقشات مطولة صدر عن المؤتمر بيان تعهد فيه المشاركون بتبني كافة سبل مواجهة الإرهاب عسكريًّا وفكريًّا، بالإضافة إلى الحفاظ على وحدة الدول وسيادتها ومراقبة السلاح المتدفق عبر الحدود والذي تستخدمه الجماعات المتطرفة في عملياتها الإرهابية.

وقد أكد وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل أن المجتمعين تعهدوا مع الولايات المتحدة بمحاربة تنظيم «داعش».

وقال الفيصل خلال البيان الختامي للاجتماع الذي عُقد يوم الخميس 11 سبتمبر 2014: «إن المشاركين حرصوا على الخروج برؤية موحدة لمحاربة الإرهاب عسكريًّا وأمنيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًّا». وطالب البيان، الذي رفضت تركيا التوقيع عليه، بوضع خطط وسياسات وتقاسم الأدوار للقضاء على التنظيمات الإرهابية. كما شدد على أن أي تحرك أمني ضد الإرهاب يجب أن يترافق مع محاربة الأفكار الضالة، ووضع استراتيجية لمراقبة تدفق السلاح إلى مناطق الصراع في المنطقة.

واتهم الفيصل بعض الدول التي لم يُسمِّها بتمويل الإرهاب والتدخل في شئون الدول الأخرى، مشيرًا إلى تحذير خادم الحرمين الشريفين من خطر الإرهاب الذي شوَّه صورة الإسلام.

وقال وزير خارجية السعودية: «إن إهمال ظاهرة الإرهاب سيؤدي إلى انتشارها في أوربا وأمريكا». وقال: «لقد استمعنا إلى شرح من الوزير جون كيري عن الاستراتيجية الأمريكية بشأن الإرهاب»، وأكد أن «عدم التحرك ضد الإرهاب أدى إلى انتشاره في سوريا ولبنان والعراق واليمن وليبيا».

أما وزير الخارجية الأمريكي جون كيري فقد أكد خلال المؤتمر الصحفي أن «داعش» منظمة إرهابية لا تعرف حدودًا معينة. قائلًا: «داعش تنظيم بربري يغتصب النساء ويبيع البنات ويضطهد الأقليات مثل الإيزيديين»، وقال: «إن تاريخ عقد هذا الاجتماع يأتي في توقيت مهم، حيث يتوافق مع الذكرى الـ13 لهجمات 11 سبتمبر، وينبغي علينا وقف الجرائم التي يقوم بها أعضاء التنظيم»، مشيرًا إلى أن الدول العربية تلعب دورًا محوريًا في التحالف ضد «داعش».

وأشار كيري إلى طلب الحكومة العراقية المساعدة لمواجهة «داعش» قائلًا: «سننتصر على شر (داعش)».

لقد كانت مصر محورًا مهمًا داخل هذا الاجتماع، حيث واجه وزير الخارجية المصري سامح شكري نظيره الأمريكي بكل صراحة

ووضوح متحدثًا عن المعايير المزدوجة التي تتعامل بها واشنطن تجاه الإرهاب، ففي الوقت الذي تلتزم فيه الصمت العلني والتأييد السري لجماعة الإخوان وإرهابها، تتحدث اليوم عن إرهاب «داعش» وضرورة مواجهته.

وفي كلمته العلنية أمام مؤتمر جدة أكد وزير الخارجية المصري «أن (داعش)، هذا التنظيم الوحشي، هو نتيجة طبيعية لتدهور الأوضاع السياسية في المنطقة وشعور قطاعات كبيرة من الشعب العراقي بالاغتراب نتيجة سياسات إقصائية اتبعها رئيس الوزراء العراقي السابق (نوري المالكي)، بالإضافة إلى ما شهدته سوريا من فراغ وفوضى على خلفية عسكرة الثورة السورية ورد الفعل العبثي من قِبل النظام ضد معارضيه، فضلًا عن تسامح البعض في منطقتنا وفي الغرب مع منطلقات ما يسمى بـ«الإسلام السياسي» وإحياء الخلافة والذي قلل البعض من خطورته وتصوَّر البعض الآخر إمكانية احتوائه، وقال: «لقد لفت الوضع المتنامي الحالي لداعش، وانتماء أعضائه لعدد كبير من الجنسيات، النظر لما سبق أن أكدته مصر مرارًا وتكرارًا، وهو أن الإرهاب لا وطن له، وأن مخاطره ستمتد آجلًا أو عاجلًا من الإطار القومي للإقليمي إلى الدولي».

وحذَّر الوزير سامح شكري واشنطن من مغبة توظيف هذه الحملة ضد سوريا، وقال: «إن الإجراءات الأمنية والمالية التي تستهدف القضاء على التنظيمات الإرهابية في المشرق العربي يتعين أن تقترن في الوقت ذاته

بتسوية في سوريا مبنية على العملية السياسية القائمة على مبادئ إعلان جنيف الصادر في يونية 2012، وفي إطار صيغة تسمح بالحفاظ على مؤسسات الدولة السورية للحيلولة دون مزيد من الانفلات والفراغ الذي تتفنن التنظيمات الإرهابية في استغلاله لكسب مزيد من السطوة والسيطرة».

وقال وزير الخارجية المصري محذرًا: «إنه مع الإقرار بالحاجة الملحة لاتخاذ إجراءات حاسمة تجاه تنظيمَيْ «داعش» و«جبهة النصرة» الآخذين في التنامي بدول المشرق العربي بصورة سريعة غير مسبوقة، وكذلك البدء في تنفيذ الإجراءات التي تنص عليها مقررات الشرعية الدولية في هذا الصدد، فإنه يهمني في ذات السياق التشديد على أهمية اتساق مقارباتنا في التعامل مع ظاهرة الإرهاب البغيضة في مختلف أنحاء المنطقة، فلا يمكن ونحن نجتمع اليوم للتعامل مع التهديدات الإرهابية وتنظيماتها الظلامية أن نتجاهل مخاطر تمددها الآخذ في التنامي في المغرب العربي».

وقال: «إنه بعد أن فشلت هذه التنظيمات في تحقيق أهدافها في مصر انطلاقًا من سيناء، تسعى تلك التنظيمات جاهدة لهدم مفهوم الدولة في ليبيا»، وقال: «نحن نعلم جميعًا أن جماعة «أنصار الشريعة» التي اغتالت أعضاء القنصلية الأمريكية في بنغازي بدم بارد، ما هي إلا النسخة الليبية لذات الفكر الإرهابي بالمشرق العربي، كما نعلم أن تعاطي البعض مع قوى الإسلام الراديكالي - وهي ليست من الإسلام في شيء - والتي

تحاول هدم المؤسسات الشرعية التي انتخبها الشعب الليبي بكل حرية، إنما قد يجرُّ ليبيا لذات السيناريو العراقي والسوري، وربما لما هو أخطر في ضوء الثروات النفطية في هذا البلد».

وقال: «لذلك فإنني أطلب اليوم من ـ منطلق تضامننا في مواجهة الإرهاب الذي أطلَّ على منطقتنا - أن نتضامن للاستجابة ولدعم مطالبات الشعب الليبي المشروعة في بناء مؤسساته ودعم خياراته الديمقراطية، ومن ثم تجفيف مصادر تمويل وتسليح الجماعات الإرهابية بليبيا والتي تستهدف هدم المؤسسات والسيطرة على مقدرات الشعب الليبي.

ولعل الإجراءات التي اتخذها المجتمع الدولي للحيلولة دون وصول السلاح والدعم لنظام القذافي إبان الثورة الليبية يمكن أن تصبح نموذجًا لما يمكن أن يتم في مواجهة الإرهاب بليبيا من خلال منع حصول الجماعات الإرهابية على الدعم الذي تقدمه - للأسف - بعض الأطراف الإقليمية، وهي الإجراءات التي لم نلمس جدية لاتخاذها».

لقد كانت كلمة وزير الخارجية المصري بمثابة رسالة لكل من يعنيهم الأمر، وهي أيضًا تحذير واضح للأطراف الإقليمية و على رأسها قطر وتركيا وإسرائيل والأطراف الدولية و على رأسها الولايات المتحدة.

تعــددت اللقاءات والاجتماعــات من جدة إلى القاهــرة إلى باريس، إلى واشــنطن ذاتها، غــير أن اللقاء الذي جرى بين الرئيســين عبدالفتاح السيسي وبــاراك أوباما يــوم الخميس 25 ســبتمبر 2014، على هامش أعمال الــدورة 69 للجمعية العامة للأمم المتحدة، كان له أثره الكبير في مواجهة واشنطن بمخاطر ازدواجية التعامل مع الإرهاب.

لقــد جــاء اللقــاء بنــاء على طلــب أوباما، واســتمر بحضــور وفدي البلدين لأكثر من ساعة ونصف الساعة بزيادة نصف ساعة على الموعد المحدد.

ووفقًا لمصادر دبلوماسية عليمة فإن اللقاء ناقش العديد من القضايا المهمــة والمحوريــة، وكان أبــرز هــذه القضايا تلــك المتعلقــة بالتحالف الدولي لمواجهة إرهاب «داعش».

فبعــد أن رحب الرئيــس أوباما بالرئيس المــصري والوفد المرافق له، مؤكــدًا اســتراتيجية العلاقــة مع مــصر، بدأ حديثــه بالتطــرق إلى قضية الإرهاب في المنطقة وحدد رؤيته على الوجه التالي:

- إن الإدارة الأمريكيــة تطالــب مــصر بــضرورة اتخــاذ مواقــف أكثــر وضوحًــا فيما يتعلــق بالحملة الدوليــة لمواجهة الإرهــاب في مواجهة تنظيــم «داعش» في ســوريا والعراق، وإن واشــنطن تطلب من مصر ضرورة المشــاركة العســكرية المباشرة للقضاء على هذا التنظيم أسوة بمشاركة بعض الدول العربية الأخرى في التحالف الدولي.

- إن واشـنطن ترى أن إرهاب «داعش» هو خطر على المنطقة بأسرها، وأن هذا التنظيم وجد بسبب ممارسات الرئيس السوري بشار الأسد وعجز المعارضة السـورية عن إسقاطه، وأن واشنطن لاتزال ترى أن الأسـد هو جـزء من المشـكلة وليس جـزءًا من الحل، ولهذا السـبب فـإن الكونجـرس الأمريكي اعتمـد مبلغ 500 مليـون دولار لدعم المعارضة السورية ومساندتها في تحقيق أهدافها.
- إن الحملة العسكرية المقدَّر لها أن تستمر نحو ثلاث سنوات تستوجب جهـدًا مكثفًا من كافة الأطراف، خاصة أن تنظيم «داعش» تغلغل في أوسـاط المدنيين من السـكان الذين أصبحوا في قبضته، وأن ذلك قد يدعـو واشـنطن في لحظة ما وبعـض الأطراف إلى المشـاركة في جهد بري وتحديدًا على الأرض السـورية لإنهاء سـيطرة هذا التنظيم على المناطق التي يحتلها.
- إن الإدارة الأمريكية تدرس حاليًّا خيارات عديدة في إطار مواجهتها للإرهـاب في المنطقـة في أماكـن أخرى، وفقًـا للتقديـرات الحالية أو المستقبلية.

■■■

أمـا وجهـة نظر مصر التي عـبر عنها الرئيس عبدالفتاح السـيسي في هذا اللقاء فقد جاءت على الوجه التالي:

- القاهرة انضمت منذ البداية للتحالف الدولي وشاركت في أعمال مؤتمر جدة، رغم تحفظاتها التي أبلغتها للسيد جون كيري وزير الخارجية برفض الازدواجية التي تعاملت بها واشنطن مع ملف الإرهاب، فالإرهاب ليس مقصورًا على داعش فقط، بل هو ممتد إلى العديد من البلدان الأخرى ومن بينها مصر وليبيا وغيرهما.
- إن مصر سبق لها أن أبلغت الإدارة الأمريكية رفضها للدعم الأمريكي الذي تلقاه جماعة الإخوان من واشنطن، خاصة أن أعمال العنف والإرهاب التي تشهدها مصر منذ ثورة 30 يونية هي من أفعال هذه الجماعة الإخوانية، ومع ذلك لم نلق ردًا إيجابيًا من الإدارة الأمريكية على ذلك، بل وجدنا اتهامات كاذبة يتم إلصاقها بالحكومة المصرية التي هي بالأساس مسئولة عن حماية البلاد وأمنها واستقرارها، وأعتقد أنكم تشاركونني الرأي أن الإدارة الأمريكية لا تتردد هي الأخرى في مواجهة أية أعمال تخل بالأمن والاستقرار على أراضيها.
- إن مصر ترفض المخططات التي تستهدف إذكاء الصراعات الدينية والمذهبية والعرقية في المنطقة، والتي تستهدف تقسيم المنطقة وبناء شرق أوسط جديد، سيكون ساحة للفوضى، كما يحدث الآن في اليمن وليبيا والعراق وسوريا وغيرها من البلدان، وأن ذلك من شأنه أن يضرب المصالح الأمريكية في الصميم، ذلك أن مصالح واشنطن في المنطقة وإمدادها بالنفط لن يتحقق إلا في ظل الاستقرار والأمن.

- إنـه ثبت عمليًا أن عمليات التغيير بالقوة والفوضى لن تحقق حريات الشعوب أو تمكنها من نيل حقوقها، بـل العكس هـو الصحيح، والمشهد الذي تعيشه المنطقة هو خير مثال على ذلك.

- إن مصر ترى أن التنمية وعدم التدخل في الشئون الداخلية واحترام سيادة الدول هي عوامل مهمة لإنهاء الإرهاب والتطرف، وأن أمن مصر هو جزء من الأمن القومي العربي، ومن ثم فإن التعاون بين مصر والدول العربية في هذا المجال سوف يستمر، وأن مصر تطالب الإدارة الأمريكية بمراجعة سياستها في المنطقة.

- إن مشاركة مصر عسكريًا في الوقت الراهن أمر غير وارد، وإن تحديد موقف مصر ينطلق من حماية أمنها واستقرارها بالأساس وحماية الأمن القومي العربي، ومن ثم فإن التطورات القادمة ستحدد مسارات المواقف، خاصة أن القاهرة مشغولة بمواجهة الإرهاب على أرضها وحدودها.

- إن مصر ترى ضرورة تحديد هدف الحملة على سوريا، وألا تُستغل الضربات في إسقاط النظام، خاصة أن مصر ترى ضرورة حل المشكلة السورية في إطارها السياسي وأنها ترى باستكمال مباحثات جنيف، حتى لا تتحول سوريا إلى ساحة للنزاعات والحروب الإقليمية والدولية.

- إن مـصر تطالـب بدعـم أمريكـي ودولي للحكومة الجديـدة في ليبيا والتـي اختارهـا مجلـس النواب وهـو الجهـة الشرعية المنتخبـة، وإن واشـنطن لابد أن تتدخل لدى أطراف دولية وإقليمية لوقف تهريب السلاح إلى ليبيا وتأجيج الحروب الأهلية بين أبنائها.

لم يتلقَّ الرئيس السـيسي إجابات محددة من الرئيس باراك أوباما، إلا أنـه ألقى بالكـرة في ملعبه منتظرًا الإجابة في صـورة إجراءات عملية لا تفرق بين إرهاب «داعش» وإرهاب الإخوان وغيرهما.

▪▪▪

لم تتخذ واشنطن موقفًا محددًا من الفصائل الإرهابية الأخرى، بل إن موقفهـا كان ولا يزال يثير المزيد من علامات الاسـتفهام، وهو ما يدفع إلى طـرح السـؤال: هل حقًّا واشـنطن جـادة في القضاء عـلى الإرهاب في المنطقـة؟ والأحـرى: هـل هي جـادة فعـلاً في القضاء عـلى إرهاب «داعـش»، أم إن لهذه الحملة الدولية أسـبابًا أخرى بعيدة كل البعد عن الأهداف المعلنة؟!

الصفقة المشبوهة

في 19 سبتمبر 2014 أعلن رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو نبأ الإفراج عن 49 دبلوماسيًّا تركيًّا كانوا محتجزين كرهائن لدى تنظيم «داعش» في مدينة الموصل منذ احتلال التنظيم لها في العاشر من يونية 2014.

كان قرار الإفراج مفاجئًا للجميع، أبدى كثير من المراقبين دهشتهم وقالوا: «من المؤكد أن هناك صفقة جرى توقيعها في الخفاء بين «داعش» والحكومة التركية».

لقد أعلنت الحكومة التركية في بداية الأمر أنها لم تعقد أي اتفاق مع «داعش» لإطلاق سراح مختطفيها، أو حتى دفع فدية أو تقديم وعود، أو أية تسهيلات عبر حدودها إلا أن إعلان الرئيس رجب طيب أردوغان عن أن إطلاق سراح المختطفين الأتراك تم في إطار عملية مخابراتية يتعين الحفاظ على سريتها، دفع لطرح المزيد من التساؤلات

حول الأسـباب الحقيقية التي كانت وراء قرار إطلاق سراح المختطَفين الأتراك.

كان العالم ينتظر إجابة شـافية، تفسر هذا الحدث الاسـتثنائي، إلا أن أردوغان تعمد الكذب وعدم الكشف عن حقيقة ما حدث.

كانـت الصحافـة ووسـائل الإعـلام التركيـة تبحث وتلهـث وراء أسرار الصفقة التي وقعت خلف ستار بين «داعش» وتركيا حتى بدأت الحقيقة تتكشف رويدًا رويدًا.

لقـد علقـت صحيفـة «الإندبندنـت» البريطانيـة علـى الحـدث في عددهـا الصـادر يـوم الإثنين 22 سـبتمبر 2014، بالقـول: «إن رفض الرئيس التركي رجب طيب أردوغان شرح ملابسـات الإفراج عن 49 دبلوماسـيًّا اختطفهم تنظيم «داعش» قد تسبب في توجيه أصابع الاتهام إلى تركيـا بالتواطـؤ مع «داعش» للتصـدى إلى أكراد سـوريا»، ومن ثم «فقد زادت الشكوك حول علاقة أنقرة الغامضة مع زعماء داعش»!!

وقالت الصحيفة: «إن الأجواء الغامضة التي أعقبت عملية الإفراج المفاجئ عن الدبلوماسـيين الأتـراك وعائلاتهم الذيـن وقعوا في الأسر لأكثر من ثلاثة أشهر على أيدي مقاتلي داعش، قد ازدادت وتفاقمت».

وقالـت الصحيفـة: «إن تصوير عمليـة الإفراج عـن الرهائن الذين تـم اختطافهم يوم سـقوط الموصـل في أيدي مقاتلي «داعـش» على أنها نصر لتركيا أثار تسـاؤلات جديدة بشـأن العلاقة بـين الحكومة التركية

و«داعش»، رغم تأكيد أردوغان أن الأمر كان نتيجة لعملية غير معلنة قامت بها المخابرات التركية ويجب أن تظل سرًّا».

وأوضحت الصحيفة أن عملية الإفراج تزامنت مع فرار 70 ألف مواطن من أكراد سوريا عبر الحدود إلى تركيا للهروب من الحملة الشرسة التي قامت بها «داعش» ضد مدينة «كوباني» السورية - الكردية، وهو الهجوم الذي دفع نحو 3 آلاف مقاتل كردي من حزب العمال الكردستاني العراقي لعبور الحدود من العراق إلى سوريا للتوجه إلى «كوباني».

وقالت «الإندبندنت»: إن قوات الأمن التركية أغلقت حدودها يوم الأحد 12 سبتمبر 2014 عقب اشتباكات مع اللاجئين، بعد أن أطلقت القوات القنابل المسيلة للدموع وخراطيم المياه لوقف الأكراد، الذين كانوا يحملون المساعدات لضحايا «كوباني».

أما صحيفة «حرييت» التركية فقد كشفت أن الإفراج عن الرهائن الأتراك قد تم بعد تبادل أسرى من تنظيم «داعش» كانت قد أوقفتهم تركيا في وقت سابق.

وقالت الصحيفة في عددها الصادر يوم الثلاثاء 23 سبتمبر 2014 : «إن لواء «التوحيد» السوري أفرج في المقابل عن 50 فردًا من عناصر تنظيم «داعش»، بينهم أفراد من عائلة القيادي في التنظيم «حجي بكر» الذي قُتل في فبراير الماضي في حلب».

ومن المعروف أن «لواء التوحيد» ينشط في حلب وينتمي إلى الجماعة الإسـلامية التي تقاتـل ضد نظام الرئيس بشـار الأسـد، إلا أن الجماعة تعادي «داعش» وتعتبره خارجًا على الإسلام.

وكان الرئيـس التركـي رجب طيـب أردوغان قد كذب على شـعبه وقال عقب الإفراج عن الرهائن الأتراك: إن بلاده لم تدفع فدية للإفراج عـن الـ 49 موظفًا الذين تم اعتقالهم في مدينة الموصل شـمال العراق في 11 يونية 2014 ، وهو أمر أثار علامات استفهام جديدة حول تفاصيل العلاقة السرية بين تركيا و«داعش».

في 7 أكتوبر زعم رئيس الوزراء التركي «أحمد داود أوغلو» أن بلاده على استعداد لفعل كل ما في وسـعها من أجل القضاء على «داعش» إذا حصلت على ضمانات دولية بحماية حدودها وإسقاط النظام السوري.

وقـال أوغلـو في مقابلـة مـع شـبكة «سي.إن.إن» الأمريكيـة: «إن العمليات الجوية الأمريكية في سـوريا ضرورية، لكنها غير كافية، فهذه الغـارات ضرورية مـن أجل عرقلة تقـدم تنظيم «داعـش»، لكننا إذا لم نطور استراتيجية موحدة فإننا حينما نقضي على ذلك التنظيم من الممكن أن تحل محله تنظيمات أخرى جديدة».

وكشـف «أوغلـو» مجددًا عن حقيقـة أهداف بلاده عندمـا قال: «إن بروز التنظيم المتشـدد وتناميه في المنطقة تم بسـبب عدم إسـقاط النظام السوري».

وأضاف زاعمًا القول: «حينما استُخدمت الأسلحة الكيميائية في سوريا، طلبنا من الحلفاء رسميًا اتخاذ مواقف صارمة ضد النظام السوري، وذلك لأن السياسات الطائفية التي انتهجها ذلك النظام تسببت في حدوث فراغ سدَّه تنظيم «داعش»».

وقال: «لقد سبق أن حذرنا الولايات المتحدة وكافة الدول، وشددنا على ضرورة فعل شيء قبل قدوم العاصفة، لكن لم يتخذ أي إجراء ضد النظام السوري».

هكذا يغسل داود أوغلو يديه ويدي حكومة بلاده من الدور المشبوه الذي لعبته تركيا بمشاركة أمريكا وقطر وإسرائيل في صناعة «داعش» التي أرادوا من ورائها سد الفراغ الحاصل بعد فشل كافة التنظيمات العميلة في إسقاط النظام السوري.

لقد عززت هذه الصفقة من مصداقية المعلومات التي أكدت وجود دور محوري لتركيا في صناعة داعش ودعمها بكافة أشكال العون المادي واللوجيستي.

لقد أشارت التقارير إلى أنه خلال السنوات الماضية وتحديدًا منذ بدء حركة التمرد ضد النظام السوري في عام 2011 فتحت الحكومة التركية وباتفاق أمريكي حدودها لمرور المقاتلين الأجانب للتدفق إلى سوريا ومنها إلى العراق.

كانت تركيا وبالتعاون مع حلفائها تقوم بعملية التسـليح والتدريب والتمويـل لهـذه العناصر عـبر حدودها الجنوبية مع الشـمال السـوري. وكانـت قيـادة داعـش تفهـم دورها تمامًـا، وأبـدت اسـتعدادها لتنفيذ الأجندة المتفق عليها بكل حسم وقوة ودون تردد أو تراجع. لقد تلاقت أهداف الطرفين، وجرى التنسيق بينهما لإنجاز المهمة المتفق عليها.

لقـد نشرت صحيفـة «الجارديـان» البريطانية تقريرًا في 27 سـبتمبر 2014 أكـدت فيـه «سـعي داعـش إلى تأمين الحـدود الشـمالية الغربية لسـوريا مع تركيا؛ لكونها البوابة الرئيسـية لاستقدام المقاتلين الأجانب للانضمام إلى التنظيم».

وأوضحـت الصحيفـة البريطانيـة «أن عـددًا مـن مقاتـلي داعـش يتوجهـون نحو الحدود التركية عبر الشـاحنات المسـلحة التي اسـتولوا عليها من القواعد العسكرية العراقية».

وقالـت «الجارديان»: إن الولايات المتحدة وحكومات أوربية حثت تركيا طيلة 18 شـهرًا سـابقة على ضرورة إيقاف تدفـق المقاتلين الذين يعـبرون إلى سـوريا، غـير أن أنقـرة لم تبدِ رغبـة جديـة في مواجهة هذه العنـاصر، وظل مسـئولون فيهـا مصرين على أنه «يصعـب التفريق بين الحجاج الآتين إلى تركيا وبين العناصر الإرهابية»!!

ونـشرت صحيفة «واشـنطن بوسـت» تقريرًا خلال شـهر سـبتمبر 2014، أكـد وجـود مقاتـلي «داعـش» في مدينـة «الريحانيـة» في لـواء

الإسكندرونة، وأن البلدة مثلت لمقاتلي التنظيم المتطرف «متجرًا شخصيًّا» طوال السنوات الماضية، حيث نقلت تأكيد أهالي الريحانية «أن مستشفيات منطقتهم استقبلت مصابي «داعش» و«جبهة النصرة» خلال السنوات الماضية، بالإضافة إلى كون المدينة محطة أساسية لنقل المقاتلين الأجانب والأسلحة عبر الحدود».

وقالت «الواشنطن بوست»: «إنه بالرغم من أن تركيا وضعت ضمانات خلال الآونة الأخيرة لأعتقال المقاتلين الأجانب الذين يحاولون الدخول إلى سوريا والحد من تهريب الأسلحة وأبلغت بها أمريكا ودولًا أوربية أخرى، فإن الصحيفة أشارت إلى أنه وعلى الرغم من تلك التدابير، لاتزال عناصر «داعش» يعبرون من تركيا وإليها، ما يثير أسئلة عن الجهود الدولية لتضييق الخناق على جماعة معروفة بأنها تستخدم أساليب الصلب العلني وقطع الرءوس»!!

وقالت «الواشنطن بوست» للتأكيد على صحة معلوماتها إنها تمكنت من مقابلة مقاتل في «داعش» يدعى أبا يوسف في منطقة الريحانية التركية، وإنه أقر لمراسل الصحيفة بتلقي أسلحة وإمدادات من تركيا.. مشيرًا إلى أن معظم المقاتلين الذين انضموا إلى داعش في بداية الحرب قد جاءوا من تركيا، كما أكد أن عددًا كبيرًا من المقاتلين تلقوا علاجًا في المستشفيات التركية، مقدمًا الشكر للأتراك على النجاح الذي حققته «داعش».

وقال أبو يوسـف معلقًا على حدوث متغير في الموقف التركي: «إن قوة تنظيم «داعش» التي زادت كثيرًا في الآونة الأخيرة، باتت تغنيه عن الاعتماد على الحدود التركية أو الأسلحة الآتية منها»، وقال: «بات بإمكاننا الحصول على ما يكفي من الأسلحة في العراق وفي سوريا أيضًا».

لم يكـن ذلك هو الموقف الوحيد الـذي يرصد الدور التركي في دعم وصناعـة «داعش»، بل إن رئيس بلدية «ماردين» النائب الكردي «أحمد تـورك» قـدَّم إلى سـفير الاتحـاد الأوربي في تركيا وعدد مـن الصحفيين تقريـرًا مفصَّـلاً وموثَّقـا ومدعومًا بالأدلـة الدامغة من صـور وأشرطة فيديو تؤكد جميعها الدعم الرسمي الذي تقدمه الحكومة التركية لتنظيم «داعش».

وعدَّد التقرير أشـكال الدعـم ومن بينها نقل أفراد مـن هذا التنظيم يرتـدون البزة العسـكرية التركيـة إلى منطقة الحدود التركية مع سـوريا والعراق، وتقديم آليات عسكرية وكافة أشكال المساندة الأخرى.

وأكـد النائـب «أحمد تـورك» أن رئيـس بلديـة «جيلان بينـار» وهو مـن حـزب «العدالـة والتنمية» يلتقـي داخل إحدى الخيـم مقاتلين من «داعش».

■■■

لقـد ظلـت تركيـا ترفض كافـة الضغوط التـي مورسـت عليها من الرئيس الأمريكي باراك أوباما ودول حلف الناتو بالمشاركة عسكريًّا في

الحلف الدولي حتى وقت قريب، بل إن وزير الخارجية التركي كان هو العضو الوحيد الذي رفض التوقيع على البيان الختامي لاجتماع جدة، الذي شاركت فيه مع الولايات المتحدة والعديد من الدول العربية الأخرى.

ومع تزايد الضغوط، عقد رئيس الوزراء التركي اجتماعًا حضره عدد من الوزراء الأمنيين وقادة الجيش ورئيس جهاز الاستخبارات وتم فيه تبني سياسة المشاركة السلبية في مواجهة داعش، أي توفير المساعدات الإنسانية في مواجهة التداعيات المتوقعة للعمليات العسكرية ضد «داعش»، وتشديد الرقابة على الحدود، والسماح باستخدام قاعدة «إنجرليك» القريبة من الحدود السورية لطائرات دول التحالف (بدون طيار) في البداية.

لقد كان للسياسة التركية المعادية لسوريا آثارها الخطيرة في فتح الطريق أمام «داعش» و«جبهة النصرة» لاستخدام الحدود المفتوحة بين تركيا وسوريا والسيطرة على أغلب المدن الموازية للحدود بين سوريا وتركيا.. فتحولت الحدود إلى أبواب مفتوحة لتدفق الأسلحة للمقاتلين والمؤن إلى «داعش»، وأيضًا تهريب النفط السوري والعراقي إلى تركيا لتتولى بيعه واقتسام ثمنه مع تنظيم «داعش».

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن مكاتب «داعش» التي سمحت الحكومة بافتتاحها في العديد من المدن التركية لعبت دورًا مهمًّا في تجنيد

العنـاصر التركية واستقبال العناصر الأجنبية التـي انضمت إلى داعش ودخلت إلى المناطق التي يسيطر عليها التنظيم في سوريا والعراق.

وكان مكتـب «داعش» في حـي الفاتح بمدينـة إسـطنبول واحدًا من أهـم هذه المكاتـب، حيث كان يتولى مسئول المكتب التنسـيق مع أجهزة الاسـتخبارات التركيـة في تذليل العقبـات التي تعترض دخـول المقاتلين والمؤن والأسلحة أحيانًا إلى التنظيـم في المناطق المحاذية في سوريا والعراق.

وتقدر جهات مسئولة عدد الأتراك المنضمـين إلى تنظيم داعش قبيل بدء عمليات الاستيلاء على الموصل في 10 يونية 2014 بنحو ألف مقاتل تركي، فيما وصل العدد حتى شهر أكتوبر 2014 إلى نحو ثلاثة آلاف.

ولم تكن الحكومـة التركية بعيدة عن عمليات تهريب النفط عبر تجار كبار حصلوا على موافقة الحكومة للقيام بهذا الدور لحسـابهم ولحساب الحكومة التركية ولحساب «داعش» أيضًا.

وأمـام علامـات الاسـتفهام التـي طُرحت حـول الـدور التركـي في صناعة «داعش»، صدرت تصريحات عن نائب الرئيس الأمريكي «جو بايـدن» أحدثت ردود أفعال واسـعة، عندما قـال في حديث له بجامعة «هارفـارد» الأمريكيـة يـوم الخميـس 2 أكتوبـر 2014 «أصدقاؤنـا في المنطقة هـم مشكلتنا الأكبر في سوريا، والأتراك أصدقاؤنا».

وقـال «بايـدن» في حديثه عـن تركيا والحلفـاء: «لقد أغدقـوا مئات الملايـين من الدولارات وعـشرات الأطنان من الأسـلحة على كل مَنْ

أراد القتال ضد نظام بشـار الأسـد في سوريا، وكان من بين من حصلوا على تلك المساعدات تنظيم النصرة ومتطرفون من تنظيم القاعدة».

وقـال: «إن الولايـات المتحدة لم تتمكن من إقنـاع حلفائها بالتوقف عـن ذلـك، وإن تركيا توصلـت في وقت متأخـر إلى أن تنظيم «داعش» يشكل خطرًا عليها».

وقـد أثـارت هـذه التصريحـات ردود أفعـال متعـددة داخـل تركيا وخارجهـا، حيـث عبَّر الرئيـس التركي «رجـب طيب أردوغـان» عن غضبـه من تصريحات نائب الرئيس الأمريكـي، وقال في مؤتمر صحفي في إسـطنبول: «إذا كان بايدن اسـتخدم لغة كهذه فهـذا كفيل بأن يجعل علاقتـي بـه من الماضي»، وقال: «لا أحد يسـتطيع أن يتهـم تركيا بدعم تنظيمات إرهابية في سوريا بما فيها «داعش».

والغريـب في الأمـر أن نائـب الرئيـس الأمريكـي أجـرى بعـد هذه التصريحات بيومين اتصالاً هاتفيًا بالرئيس التركي ليقدم له اعتذارًا عن هذه التصريحات.

لقد تساءل الكثير من المراقبين: ولماذا الاعتذار؟!

إن الإجابة هنا لا يمكن أن تخرج عن خيار من اثنين:

- إمـا أن «بايـدن» أُجبر على الاعتذار بعد تهديـد «أردوغان» بالتراجع عن المشاركة في الحملة العسكرية للتحالف الدولي لمواجهة الإرهاب الذي تقوده أمريكا ضد «داعش».

- وإمـا أن «أردوغان» هدد بكشـف حقائق الدور الأمريكي في إنشـاء «داعـش» جنبًا إلى جنب مع تركيا وقطر، وأعتقد أن هذا هو السـبب الحقيقـي الذي كان وراء اعتـذار «بايدن» بعد تدخل جهات أمريكية نافذة، كانت على علم بتفاصيل ربما لم يكن «بايدن» على علم بها.

عبودية النساء والحرب على الأقليات

في الأول من أغسطس 2014 انتهت المهلة التي منحها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» لأهالي الموصل ونينَوَى لتسليم بناتهن إلى فروع التنظيم في المناطق المختلفة لحضِّ الراغبات منهن على ممارسة جهاد النكاح مع مقاتلي «داعش» في المناطق المسيطر عليها، وتوعد بعقوبات رادعة للمخالفات.

لم يكن الخبر مفاجئًا، أو صادمًا، لقد سبق للمشهد أن تكرر كثيرًا في مناطق مختلفة من سوريا منذ نهاية عام2012 ، حيث تم نشر فتوى تحض الفتيات على ممارسة البغاء مع المقاتلين الذين ينتمون لجبهة «النصرة» تحت مسمى «جهاد النكاح»، وفي ضوء ذلك سافرت المئات من الفتيات في العالم العربي والإسلامي إلى سوريا حيث جرى اغتصابهن تحت هذا المسمى.

لقد نصَّت الفتوى التي نُسبت أولًا إلى الشيخ محمد العريفي ثم عاد ونفاها، على أن ممارسة «نكاح الجهاد» تجري لمدد محددة وبعقود زواج

شـفهية، وأن الغرض منها هو تخفيـف العبء عن كاهل المقاتلين الذين يجاهدون من أجل «الدين والفضيلة»!!

وقـد اعـترف وزير الداخليـة التونسي في هـذا الوقت أن تونسـيات ذهبن إلى سـوريا ومارسـن الجنس مع بعض المقاتلـين، وهو أمر جرى مـع أخريـات، مما دفع السـلطات التونسـية إلى اتخاذ إجـراءات تحول دون اسـتمرار هذه الظاهرة التي نالت انتقادات واسـعة داخل المجتمع التونسي وفي عدد من البلدان الأخرى. ومع دخول «داعش» إلى الموصل نقلت وكالة أنباء موسـكو عن «أثمار الشـطري»، عضو المفوضية العليا لحقوق الإنسـان، قيـام «تنظيم الدولة الإسـلامية ـ داعـش» في العراق بإجبار نسـاء العراق على ممارسة «جهاد النكاح» مع مقاتلي «داعش» في الموصل وغيرها من المدن التي فرض عليها التنظيم سطوته.

وقالت «أثمار الشـطري» إن تنظيم «داعش» يُجبر أهالي الموصل على تقديم بناتهم لعناصر التنظيم لاغتصابهن تحت مسمى «جهاد النكاح».

وقالـت نقـلاً عـن أهـالي الموصـل ونينـوى النازحين إلى كردسـتان العـراق: «إن تنظيـم داعش يمنح ما يعادل 800 دولار لكل مَنْ يُكمل أركان الجهـاد بتقديـم النسـاء لأعضـاء التنظيـم، وهـي الأمـوال التي استولوا عليها من البنوك لدى سيطرتهم على الموصل».

وقالت إنهم يسـتخدمون أسـاليب الضرب المبرح على النساء اللاتي يرفضن تلبية أركان الجهاد، حسبما يدَّعون.

وأكدت أن عشرات النساء تم خطفهن في الموصل مع عدد من الصبية الذين يتمتعون بالوسامة على أيدي مسلحي «داعش» تطبيقًا لجهاد النكاح.

وكانت مصادر أخرى من داخل الموصل أكدت لوسائل إعلام عديدة أن التنظيم أمهل السكان في الموصل إلى ما بعد إجازة عيد الفطر مباشرة وتحديدًا الجمعة أول أغسطس لتسليم الفتيات إلى التنظيم، وهددوا من خلال الميكروفونات بفرض عقوبات صارمة بحق كل من يتخلف عن تقديم ابنته للجهاد.

وقد نشرت العديد من الصحف ومن بينها «المصري اليوم» في 11 يونيو 2014، أي بعد احتلال التنظيم للموصل بيوم واحد، أن 4 نساء عراقيات انتحرن بعد إجبار «داعش» لهن على ممارسة جهاد النكاح في الموصل بعد وصولهم إليها، وفقًا لتقرير أذاعته قناة «آفاق» العراقية.

وقال وزير حقوق الإنسان في العراق ـ في هذا الوقت ـ محمد شليع السوداني: «إن مثل هذا الحادث يدل على التدني الخلقي لمثل هذه التنظيمات الإرهابية عن طريق إهانة كرامة هؤلاء النساء، وهي ظاهرة دخيلة على المجتمع العراقي ولا تمارسها حتى أبشع العصابات حول العالم».

لقد أثارت هذه الدعاوى والمعلومات، التي انتشرت على مواقع الإنترنت وفي الصحف ووسائل الإعلام، حالةً من الذعر والخوف

لدى الشارع العراقي، وهو ما أكده عضو مجلس محافظة «نينوى» محمد إبراهيم البياتي، الذي قال إن «داعش» تُهيئ النساء لممارسة جهاد النكاح مع عناصره.. وقال في تصريح لراديو «المربد» إن هذا يمس عِرض المواطن العراقي وشرفه ويؤذي مشاعره!!

ورغم نفي بعض العناصر المرتبطة بـ«داعش» هذه الأنباء، فإن حقائق الوضع على الأرض تؤكد مصداقية هذه الأخبار، يعزز من ذلك وقائع ما شهدته المناطق التي سيطر عليها التنظيم في سوريا، وتحديدًا مناطق الرقة ودير الزور وبعض أحياء مدينة حلب.

لم تكن تلك هي المأساة الوحيدة التي تواجه النساء في سوريا والعراق، بل إن تنظيم «داعش» أصدر في هذا الوقت فتوى جديدة تقضي بختان كل النساء في العراق، خصوصًا نساء الموصل ومحيطها، مما قد يتسبب في الكثير من التشوهات الجسدية والنفسية بحق مَنْ يتم إجبارهن على الخضوع لهذا الختان، إضافة إلى وفيات عديدة يسقطن من جراء استخدام الأساليب المتخلفة في إجراء عمليات الختان للفتيات والنساء.

والغريب في الأمر أن قرار الختان لم يسرِ فقط على الفتيات اللاتي لم يتزوجن بعد، بل يسري أيضًا على كافة النساء بلا استثناء، بمن فيهن الطاعنات في السن.

لقد أعلن تنظيم «داعش» أنه يستهدف ختان مليوني امرأة عراقية كمرحلة أولى، وقال إن الهدف هو إبعادهن عن الفسق والرذيلة، على حد وصف البيان الصادر عن التنظيم.

وقالت الأمم المتحدة في بيان أصدرته يوم الخميس 24 يوليو 2014 إن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» أمر بختان جميع الفتيات والنساء في الموصل.

وقالت «جاكلين بادكوك» ممثلة الأمين العام للأمم المتحدة ومنسقة الشئون الإنسانية في العراق: «إن الفتوى الصادرة من مقاتلي «داعش» قد تؤثر على نحو أربعة ملايين امرأة وفتاة».

وأضافت: «هذا أمر جديد جدًّا على العراق، خصوصًا في هذه المنطقة، ويثير القلق البالغ وتجب معالجته، خاصة أن هذا الأمر لا يعكس رغبة نساء العراق في هذه المناطق الخاضعة لسيطرة الإرهابيين».

لم يقتصر الأمر على قهر النساء وفرض الختان عليهن جميعًا، بل امتد إلى فرض الملبس وشروط الخروج، وحتى العادات والتقاليد تم التدخل فيها. لقد وزع تنظيم «داعش» في «دير الزور» وغيرها يوم الخميس 31 يوليو 2014 بيانًا يحوي مجموعة من الإرشادات الخاصة بزي النساء، حيث طالب البيان المرأة بارتداء نقاب يمنع الكشف عن أعين السيدات، وعدم لبس العباءة المفتوحة التي تُظهر ما تحتها من الثياب الملونة، أو العباءة المزينة بالخرز وما عداه.

وحذَّر البيان النساء من لبس الأحذية ذات الكعب العالي والملابس المزخرفة، وطالبهن بارتداء حمَّالات الصدر والتشديد على ارتداء ملابس فضفاضة لا تحدد معالم الجسد، بالإضافة لعدم استخدام

العطور. وحظر التنظيم على النساء الخروج إلى الشوارع أو الأسواق بدون محرم. ونقلت وكالة «رويترز» عن رجل دين عراقي في الموصل قولـه: «إن مسلحي «داعش» جاءوا إلى مسجده وأمروه أن يقرأ بيانًا موجهًا إلى النساء في مكبرات الصوت أثناء تجمع المصلين، وقد تضمن البيان تحذيرًا شديد اللهجة للنساء، وتوعد كل مَنْ لم تلتزم بفريضة النقاب، بأنها ستكون تحت طائلة المساءلة والحساب ومعرضة للعقوبة المغلظة؛ صونًا للمجتمع المسلم من الأذى؛ وحفاظًا على الدين وسلامته من الفتنة والفساد».

وقد بدأت عناصر التنظيم في رجم نساء بالحجارة حتى الموت بزعم ممارستهن البغاء والزنى، دون وجود أدلة حقيقية وشرعية تؤكد ذلك. وقد وصل الأمر إلى حد فرض أمر على أصحاب المتاجر بتغطية تماثيل العرض البلاستيكية بحجاب كامل بزعم أنها تثير الفتنة وتحرِّض على الشهوة.

أما عن استخدام «داعش» للنساء في الإيقاع بالخصوم السياسيين فقد أشار إلى ذلك أحد الأمراء المنشقين عن التنظيم ويدعى «أبا دجانة الليبي» الذي قال في مقابلة مع قناة «الآن» في 23 يونيو 2014: «إن التنظيم يستخدم النساء للإيقاع بخصومه الذين يصعب الوصول إليهم بالطرق التقليدية»، وقال الليبي: «إن هناك وحدة من النساء مهمتها استدراج شباب الجيش الحر المعارض، حيث تتعرف الفتاة إلى الشاب من عناصر هذا الجيش، ثم تقوم بإرسال اسمه وتجري تصفيته أو تجنيده لصالح (داعش)».

وقـال «الليبـي»: إن عملية التجنيد التي كانت تقـوم بها الفتيات داخل مدينـة «الرقة» السـورية كانت تجري عـن طريق ارتداء الـزي العادي، ثم يتركن شعورهن ويجلسن في المقاهي، حتى إنك لا تظن أنهن من «داعش»، وكان الهدف هو جمع المعلومات من الخصوم ومعارضي تنظيم «داعش».

كانت تلك هي شـهادة واحد من أمراء التنظيم أدلى بها بعد أن انشقَّ عنهم بسـبب الممارسـات التي لا تَمُتُّ للدين أو القيم بصلةٍ، والتي كان يقوم بها التنظيم ولا يزال.

لقد شـكَّل تنظيـم «داعش» لواءً من النسـاء باسـم «لواء الخنسـاء» كانت مهمته مراقبة النسـاء وإلقاء القبض على اللاتي لا يلتزمن بتطبيق قوانـين التنظيـم وتعليماته، وقال بيـان صادر عن التنظيم: «لقد أنشـأنا لواءً لرفع الوعي بديننا بين النساء ومعاقبة اللاتي لا يلتزمن بالقانون».

ويقول أبو حمزة، وهو ناشـط إعلامي سـوري، معلقًا على دور «لواء الخنسـاء» في تصريحـات إعلاميـة: «لقـد أنشـأ تنظيـم «داعـش» اللواء مـن أجل ترويع النسـاء، وإن اللواء داهم مدرسـة حميـدة طاهر للبنات واعتقـل عشر طالبات واثنتين من المعلمات وسـكرتيرة على أسـاس أن بعضهن يرتدي حجابًا رقيقًا جدًّا».

وقال أبو حمزة: «إن النساء اللاتي تم اعتقالهن قضين ست ساعات في وقـت لاحـق في مركز «داعش» للاعتقال، حيث تـم جلدهن بعد إلقاء القبض عليهن، وجرت معاقبة بعضهن بـ30 سوطًا لكل منهن».

وقـد أشـارت «زينـب»، وهـي مراهقة اعتُقلـت من قِبـل عضوات اللـواء، في تصريحـات صحفيـة بقولهـا: «كنت أسـير في الشـارع عندما توقفت السـيارة فجأة ونزلت منها مجموعة من النساء المسلحات وقمن بإيقـافي وإهانتي، وصحـن في وجهي، ثم قمن بأخـذي إلى أحد المراكز وتم وضعي في غرفة مغلقة».

وقالـت: «إن أحـدًا لم يتحـدث معي عن سـبب اعتقـالي، وإنما فقط واحدة من النسـاء جاءت إليّ وأشـهرت السـلاح النـاري في وجهي ثم راحت تستجوبني عن مدى معرفتي بالصلاة والصيام والحجاب».

وقالت «زينب» إن الحارسـة قالت لها إنها اعتُقلت لأنها كانت تسـير وحدهـا دون مرافـق معهـا، وإنها لم تكن قـد ارتدت حجابها بالشـكل الصحيـح ولذلـك يجـب أن تُعاقَـب لأنها لم تأخـذ تعاليـم الدين مأخذ الجدية.

ومنـذ الحادي والعشرين من شـهر يوليو 2014 بـدأت فرق منظمة تنتمـي إلى «داعـش» في تنفيـذ الفتـوى التـي أفتى بها ما يسـمى بشـيخ الشريعـة للتنظيـم بختـان الإناث، وكان نـص الفتوى قـد تضمن نصًا يقـول: «حرصًا من الدولة الإسـلامية في العراق والشـام، وخوفًا على مجتمعنا الإسـلامي من انتشار الفسق والرذيلة بين أبنائه وبناته ومكرمة من سـيدنا وولي أمرنا أمير المؤمنـين «أبي بكر البغدادي» فقد صدر قرار يبلغ لكافة الولايات والمقاطعات يقضي بوجوب خفاض النساء مكرمة

ومنـة مـن الخليفة أمـير المؤمنين وتطبيقًـا لديننا الحنيـف، وتطبيقًا لقول رسـول الله ﷺ بحديـث أم عطية رضي الله عنها قالـت: إن امرأة كانت تختـن بالمدينـة، فقال لها النبي ﷺ: «لا تنهكي، فـإن ذلك أحظى للزوج وأسرى للوجـه». وجـاء ذلك مفصـلاً في رواية أخرى تقـول: «عندما هاجر النساء كان فيهن أم حبيبة، وقد عُرفت بختان الجواري، فلما رآها رسـول الله ﷺ قال لهـا: «يا أم حبيبـة، هل الـذي كان في يدك، هـو في يـدك اليوم؟». فقالت: «نعم يا رسـول الله، إلا أن يكـون حرامًا فتنهاني عنـه». فقال رسـول الله ﷺ: «بـل هو حلال فادن منـي حتى أعلمك». فدنـت منـه فقال: «يا أم حبيبة، إذا أنت فعلـت، فلا تنهكـي، فإنه أشرق للوجـه وأحظـى للزوج». ومعنى «لا تنهكـي»، أي لا تبالغي في القطع والخفض»».

وهكذا منذ صدور هذه الفتوى، فإن القرار لقي ردود أفعال غاضبة في الداخـل واسـتهجانًا دوليًا كبـيرًا، خاصة أن القرار يشـمل حوالي4 ملايـين امـرأة وفتاة، وقد سـبَّبت عمليات الختان كثيرًا من التشـوهات الجسدية والنفسية للنساء، كما أنها أدت إلى حالات وفاة عديدة.

وقـد أعلنت الأمم المتحدة بعد صدور الفتـوى «أن تنظيم «داعش» أمـر بختـان كل النسـاء اللاتي تـتراوح أعمارهن بـين 11، و46 عامًا في العراق».

والغريـب أنه رغـم الظروف الصعبـة التي تعانيها النسـاء من جراء الممارسـات القمعية لتنظيم «داعـش» إلا أن كثيرًا من النسـاء الغربيات الـلاتي أسـلمن يجدن لـذة غريبـة في اجتياز الحـدود والالتحـاق بألوية النساء في تنظيم «داعش».

وحول أسباب هذه الظاهرة تقول «كاثرين براون» الباحثة في شئون الإرهاب في كلية «كينج» في لندن: إنه توجد عدة أسـباب تدفع النسـاء للانضمام، منها أن تنظيم «داعش» يمثل يوتوبيا سياسية، كما أن قيادات «داعش» يعرضون أسلوب حكمهم بطريقة رومانسية.

وترى الخبيرة البريطانية أن أوضاع المسلمين في أوربا والجدل المستمر عن الإسـلام أديا إلى شعور كثير من المسـلمين بالتهميش، وقالـت: «إن كثيرًا من النسـاء والرجال يسـافرون أيضًا بهدف المغامـرة، وهذه حالة مشابهة لوقت الحرب الأهلية في إسبانيا قبل 75 عامًا».

وقالـت: «إن بعض النسـاء المسـلمات انضممن بهدف أن يشـاركن في بناء الخلافة الإسـلامية ليصبحن شريكات في هـذا المشروع الجديد، أمهات الدولة وزوجات المجاهدين».

ويقـول رئيس هيئـة حمايـة الدسـتور في ولايـة شـمال الرايـن: «إن الرومانسـية تلعـب دورًا كبـيرًا في انضـمام الفتيـات الصغـيرات إلى داعـش، إذ يتصورن أنهن سـيتزوجن أسـودًا وشـهداء المسـتقبل، وأن كثيرًا من فتيات داعش، تم اسـتقطابهن عـن طريق الإنترنت من خلال

الفيديوهـات والمدونات وشـبكات التواصل الاجتماعـي التي تعرض فيها نساء التنظيم نصائح عن الحياة الملتزمة ودعايات لصالح التنظيم».

لقد تناولت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية سلسـلة تقارير عن أوضاع النسـاء في تنظيم داعش، وتحدثت عن تأسـيس التنظيم لكتيبتي «الخنساء وأم الريحان»، حيث أسند إليهما القيام بمهمات تفتيش النساء على الحواجز وشرح تعاليم الإسلام وتوعيتهن بأساليب التقيد بهذه التعليمات.

وضمن الـشروط التي تفرض على الملتحقـات بهاتين الكتيبتين، أن تكـون الفتـاة عزبـاء، وألا يقل عمرها عـن 18 عامًـا ولا يزيد على 25 عامًا.

إن من أشـهر النسـاء اللاتي يلعبن دورًا قياديًّـا في صفوف «داعش» سبعة من النساء وهن:

- سلمى وزهرة وهما صوماليتا الأصل، وبريطانيتا الجنسية، أطلق على إحداهما اسم «أم جعفر».
- أم المقـداد.. وتعرف بأميرة نسـاء «داعش»، وهي المسـئولة عن تجنيد النسـاء بمحافظـة الأنبـار العراقيـة، وهـي سـعودية الجنسـية ويبلغ عمرها 45 عامًا، وقد اسـتطاعت القـوات العراقية القبض عليها في يناير 2014.
- أم مهاجر.. وهي المسـئولة عن كتيبة الخنسـاء في الرقة بسـوريا والتي يبلغ عدد أعضائها 60 امرأة، وتنتمي أم مهاجر إلى الجنسية التونسية،

وهذه الكتيبة تشـتهر باللثام الأسـود على وجوههن وحمل الأسلحة دائمًا.

- نـدى معيـض القحطاني.. وهـي أول مقاتلة سـعودية تنتمي لداعش وقـد لقَّبت نفسـها بـ «أخت جليبيب»، وقد تركـت زوجها وأطفالها والتحقـت بصفوف «داعش»، كما أعلنت أنها سـتكون أول انتحارية في تنظيم داعش.
- أم ليث.. وهي سـيدة مهاجرة من إنجلترا لسـوريا، وهي تتولى ملف جذب النساء الغربيات للانضمام إلى صفوف داعش.
- أم حارثـة.. وهي تمتلك صفحات عـلى مواقع التواصل الاجتماعي، وعضـوة بكتيبة الخنسـاء، وهي مغرمة بفصـل رءوس المواطنين عن أجسادهم.

وقـد تولى التنظيـم بعد احتـلال المناطـق العراقية بيع بعض النسـاء العراقيات في أسواق نينوى وغيرها كسبايا بقيمة تصل إلى 500 دولار للمرأة الواحدة، باعتبار أن ذلك هو أحد مصادر تمويل تنظيم «داعش».

وقـد نـدد وزير الخارجيـة الأمريكي جـون كيري بالمعاملة الشـنيعة التـي تتعرض لها النسـاء والفتيات «الإيزيديات» بأيـدي عناصر تنظيم «داعش» الذي فاخر ببيعهن كرقيق.

وقـال كـيري ردًّا على ما نشرته مجلـة «دابق» التي تصـدر عن تنظيم «داعش» مؤكدة فيه توزيع النساء العراقيات على مقاتلي التنظيم كغنائم

حـرب، قـال: «إن تنظيـم داعـش يفاخـر الآن بخطـف آلاف النسـاء والفتيـات، بعضهـن لا تتخطـى أعمارهـن الثانية عشرة، واسـتعبادهن واغتصابهن وإرغامهن على الزواج وبيعهن».

لقـد نشر موقـع «النصرة» ضربـة إعلامية موجهة لتنظيـم «داعش» والـذي كان حليفـا للجبهـة في وقـت سـابق عندما جـرى تحويل قصة نـشرت تفاصيلها جريـدة النهار البيروتية استنادًا إلى موقع النصرة عن شـاعرة «داعش» «حلـم النصر» التي نفرت إلى ولايـة الرقة من بلادها السـعودية، وتقـول القصـة التي نشرهـا أيضًـا «الغرباء للإعـلام» عن محـاولات الشـاعرة السـعودية المتكـررة للنفـير إلى الرقة التي يسـميها داعـش «أرض الخلافة»، أرض أحلامها، حيث الأطفال يلعبون بمرح وسـعادة، بأعواد الخشب، على أنها أسـلحة، والتي سيقتلون بها الكفار والمرتديـن ويرددون «دولة الخلافة باقيـة»، والناس منصرفة إلى أعمالها، فالقصف بالنسـبة لها يمكـن اعتباره كحوادث السـيارات في أي بلد في العالم، تشـاركنا سعادتها عندما كلفت بالطهي للمجاهدين وتحدثنا عن لذة التسـوق في «أرض الخلافة»، حيث أول متجر دخلته في ولاية الرقة كان متجر «سلاح» ياللروعة، فأهداها من معها «قنبلة صوتية وخنجرًا وطلقة دوشكا وراية الخلافة».

وتتابـع الشـاعرة التي تدربت على السـلاح رواية أن مـن كان معها حـين تدربـت عـلى الرماية قال لهـا: «تخيـلي أن أمامك زعـماء تنظيمات الحلف الكافر، فالسلاح بات لا يبارح كتف الشاعرة الذي حملته وكان

عبارة عن بندقية روسـية وأمريكية سائلة الله تعالى «أن تفجر رأس كافر قريبًا وتنحر علجًا مرتدًّا».

ولتكتمـل القصة فـإن «أحلام النـصرة»، وبعد وصولهـا مباشرة إلى الرقة، عُقد قرانها على «أبي أسـامة الغريب»، وهـو إمام مغربي الأصل، نمساوي الجنسية، التحق هو الآخر بتنظيم «داعش» وسبق أن نشرت له «الغرباء للإعلام» كتيبًا بعنوان «المحكم في هجرة المرأة من غير محرم».

فانهالـت التهـاني عـلى الزوجـين عـبر «هاشـتاج» «مبـارك زواج أبو أسامة الغريب وأحلام النصر».

ونشرت «النهار» قصة أخرى من ملف «النسـاء» في «داعش»، حيث نُشر على هاشتاج «لا لنفير النساء» الذي أطلقه مغرد من «النصرة» قصة رجل صومالي تركت ابنتاه منزل والدهما في النرويج، مع رسـالة موجهة إليه تقول: «أنت علَّمتنا الجهاد النظري، ونحن اليوم نطبقه عمليًّا».

وتقـول القصة: «إن الوالد بعد أن علم بذلك، أصيب بصدمة عنيفة وسـافر إلى سـوريا بعـد أن جاء إليه اتصـال بأن ابنتيه في سـوريا، وأنهما في مـكان خطـر ويجب عليه أن يدفع مبلغًا كبيرًا حتى تسـتطيعا الخروج والعودة».

وهنـاك التقى الوالد في «أطمة» ببعض هذه العناصر، فأخذت جبهة «النـصرة» على عاتقها اسـتعادة الابنتـين، وتفاوضت عـبر رقم هاتف كانت قد اتصلت عبره واحدة من الأختين بوالدها باكية.

وفي اليـوم الـذي تم فيـه الاتفاق عـلى تسـليمهما في «أطمة»، حضر رجل نيجيري بسـيارة ومعه الفتاتان، وحدثت مشادة بينه وبين عناصر «النـصرة» فـرّ على إثرها بسـيارته، فأطلقوا عليه النـار فلجأ الرجل مع الفتاتـين اللتين أصيبت إحداهما في رجليهـا إلى حاجز لتنظيم «داعش» في «أطمـة» مسـتنجدًا بهم كونه مـن جنود «داعش»، وكاد يقع اشـتباك بـين عناصر جبهة «النصرة» وبين عنـاصر «داعش»، إلا أن الأمر انتهى باللجـوء أمام محكمـة «أطمة» قبل أن يجـري تحويل القضيـة إلى محكمة «الدانة»، حيث رفع الوالد دعوى، وهناك أخبروه بأن الفتاة الكبرى تم تزويجهـا من أحـد جنود «داعش» بعقد شرعي من المحكمة، وسـجنوه 12 يومًـا، قـضى 9 منهـا في السـجن الانفـرادي بتهمـة العمالـة لتركيا، وتعـرض للإهانـة والتعذيـب والتهديـد بالقتـل، إلى أن قضى مسئول المحاكم النجدي ببراءة الوالد وأوصله إلى «أطمة» مع نصيحة بالخروج من سوريا، فامتثل الوالد تاركًا ابنتيه في سوريا، موضحًا لراوي القصة، الـذي حـاول إقناعـه بالبقـاء وتأمـين الحماية والسـعي لإخـراج ابنتيه، بالقـول: «ما اسـتطعت أن أفعل لهما شـيئًا، لقد رفضـوا حتى أن أجلس معهما».

ويقول الراوي: «التقى زوج الابنة الكبرى وهو نيجيري ويسكن في كفـر «جوم»، وحصل نقاش بينهما عن زواجه مـن فتاة بغير إذن وليها، فكان رد الزوج «ليس لأبيها ولاية عليها، ولي أمرها أبو بكر البغدادي، وأنا تزوجت بعقد شرعي من المحكمة»!!

وهكـذا تجري عمليات «الاغتصـاب» المقنن، والأخطر من ذلك أن المـرأة «المهاجـرة» إلى هـذه الأراضي كما يسـمونها، تتزوج عـدة مرات، فحتـى عندمـا ينتقل زوجهـا من منطقة لأخـرى يطلقهـا ليتلقفها غيره ويبحث هو عن امرأة أخرى في المكان الجديد الذي يذهب إليه.

لقد نجـح تنظيم «داعش» في إعادة إحياء العبودية للنسـاء، ولذلك فإن أعدادًا هائلة من النساء وتحديدًا في سوريا والعراق تتطوع للانضمام بشكل مستمر إلى صفوف المقاتلين لتنظيم «داعش» بهدف دحره وإنهائه من الوجود.

ففي مدينة «عين العرب» السـورية ـ تقود امرأة كردية القوات التي تقاتل «داعش» دفاعًا عن المدينة، كما أن نسـاء عديدات فجَّرن أنفسهن في صفوف إرهابيي «داعش» وأسقطن عشرات القتلى والمصابين.

ووفقًـا للكاتبـة الأمريكية «فريدا غيتيسـي» التي كتبـت مقالاً نشره الموقـع الإلكـتروني لـ«سي.إن.إن»، فإن النسـاء يشـكلن ثلـث القوات العسـكرية المحاربة لداعش في سـوريا، وإن أحد أسباب مشاركتهن في القتال شعورهن بأن النساء سيخسرن أكثر من أي أحد آخر.

وتقول الكاتبة الأمريكية: «إنه ولفترة من الوقت حامت الإشاعات التي اتسمت بتشـددها وغرابتها لدرجة دعت إلى الشك، منها: أسواق العبيـد واختطافـات جماعيـة والتعامـل مـع النسـاء، كـما لو كـن غنائم للحرب، يتم توزيعهن بين المقاتلين الأشـداء، وبدت عند سـماعها، كما لو كانت قصة من حقبة زمنية أخرى».

وتقول الكاتبـة: «في عام 2014 وعبر الإنترنت قام تنظيم «داعش» بوصـف ما تـم فعله ضد الأقلية الإيزيدية في العـراق، بعد القبض على النساء والأطفال الإيزيديين وتوزيعهم على مقاتلي «الدولة الإسلامية»، الذين شاركوا في عمليات «سنجار»، بأنه تم وفقًا لأحكام الشريعة.

وتضيف الكاتبة: «إن هذا الوصف تضمن تفسيرًا فقهيًّا لتبرير المنطق الديني والفائدة الاجتماعية المترتبة على إعادة إحياء عبودية النساء».

وقالـت مجلـة «دابق» الناطقة بلسـان «داعش»: «يجـب على المرء أن يتذكر أن اسـتعباد عائلات الكفار وسبي نسائهم هو من الأسس الثابتة للشريعة الإسلامية».

وقـد أثارت هـذه الادعاءات الزائفة رفضًا واسـعًا بـين علماء الدين والشريعـة حـول الطريقـة التي فسَّر بها تنظيـم «داعـش» الشريعة وفقًا لرغباته ومصالحه الدنيوية.

وتستند «داعش» في رؤيتها ـ كما ورد في مجلة «دابق» - إلى أن العبودية وسـبي النسـاء تشريع عملي للغاية؛ لأن العديد من الأئمة المعاصرين ـ على حد وصفهم ـ أشاروا إلى أن إنهاء العبودية أدى إلى زيادة في «الزنى والفحشاء».

وقد أكدت الأمم المتحدة «أن أسـواقًا للعبيد تعمل حاليًّا في الموصل بالعـراق والرقة في سـوريا، حيـث التقى مندوبون للأمـم المتحدة بعدد من شـهود العيان الذين أشـاروا إلى أن النسـاء اللاتي يحتجزهن التنظيم

يتعرضن للاستغلال الجنسي ويتم تسليمهن إلى تجار العبيد، حيث تقدر الأمــم المتحدة وجود ما لا يقل عن 2500 ضحية، بينما ذكر آخرون أن الأرقام أكبر من ذلك بكثير.

وقالـت التقارير إن القوات الكردية عندما اسـتعادت سـد الموصل عثرت على نساء عاريات وموثقات الأيدي جرى اغتصابهن عشرات المرات من عناصر «داعش» التي كانت تحاصر السد.

وقد روت إحدى النســاء الإزيديات وتدعى «عمشة» حديثًا نشرته الجارديـان البريطانية في 11 أكتوبـر 2014 قالت فيه: «لقد تـم اختطافي ضمــن أخريات من خلال عنـاصر تنظيم «داعـش»، وإنني تمكنت من الهرب بعد أن تـم احتجازي مع أخريات».

وتقول عمشــة إن التنظيم هاجم بلدتها في شــهر أغســطس2014 ، وقاموا بتصفية رجال البلدة ومن بينهم زوجها وشقيقها رميًا بالرصاص أمام أعين سكان القرية الذين هرب قسم كبير منهم إلى جبل «سنجار».

وقالت عمشــة إنهـا اقتيدت مع العديـد من فتيات ونســاء القرية في شاحنات صغيرة إلى سجن لا يستطعن الخروج منه، إلا إذا تم بيعهن.

وقالت: «إن عمليات بيع الفتيات كانت تتم يوميًا، إذ يدخل الرجال ويختارون الفتاة التي يريدونها ويشترونها، وأكثريتهم من العراقيين».

وقالـت: «لم يكن يُسـمح لأحد بمغادرة السـجن، إلا إذا تم بيعها».
وأضافـت: «كان الرجال يدخلون الغرفة يوميًا لاختيار الفتيات الأجمل ثم الأصغر».

وقالت إن رجلًا خمسينيًا اشتراها بـ 12 دولارًا أمريكيًا، وإنها أُجبرت على الزواج منه قبل تمكنها من الهرب.

وفي 16 أكتوبر 2014 قالت عضو مفوضية حقوق الإنسان العراقية بـشرى العبيـدي في حديـث لموقـع «موطنـي» الإلكـتروني: «إن تنظيم «داعش» أنشأ سوقًا للنخاسة في أكثر من مدينة عراقية، وتتواتر الأخبار عن وجود سوق مماثلة في المناطق السورية التي استولى عليها التنظيم».
وقالـت: «هناك عدة أسـواق للنخاسـة أقامها مسـلحو «داعش» في محافظـة «نينـوى»، إحداها في مدينـة الموصل، وأخرى في مطـار تلعفر، وثالثة على الحدود مع سوريا».

وقالت «إن الشـهادات الموثقة تُظهر حجم هذه التجارة، إذ إن هناك مـا لا يقل عن 3000 امـرأة وطفل من الطائفتين المسـيحية والإزيدية، فضلًا عن نسـاء وأطفال مسـلمين، يتـم التعامل معهم كسـبايا وعبيد، حيث يُباعون ويُشترون».

وقالـت: «إن هـذه التجارة تجري أيضًـا في مدينة «الرقة» السـورية، حيث تُمنح النسـاء الأسيرات للمسلحين مقابل مبالغ زهيدة»، وقالت: «إن أسـعار النسـاء في أسـواق النخاسـة تتراوح من 200 دولار لتصل

إلى 1000 دولار، حيث يزداد السعر كلما كانت «السبية» بكرًا وأصغر عمرًا وأكثر جمالاً».

إذن هـذا هو حال المرأة في ظل سيطرة تنظيم «داعـش» على الكثير من المناطق السورية والعراقية، إنها عبودية جديدة في إطار تفسير غير صحيح للشريعة، وهـو أمر يوجب على علماء الديـن في العالم العربي والإسلامي التحرك سريعًا والتصدى لهذه الأكاذيب والتفسيرات الخاطئة التي تسيء للدين وتفتح الباب أمام عودة استعباد النساء والتنكيل بهن واستباحة أجسادهن والتعامل معهن كغنائم حرب.

■■■

لم تكن المرأة فقط هي المستهدفة، الأقليات كانوا هم أيضًا على جدول أعمال «داعش»، ومنذ البداية كشف تنظيم «داعش» عن وجهه سافرًا، وأعلن عداءه للمسيحيين وللشيعة والإزيديين وكافة الأقليات الدينية والعرقية، بل امتد ذلك إلى المسلمين الذين ينتمون إلى طائفة السُّنة ممَّن يخالفونه الرأي.

ومع دخول قوات «داعـش» إلى الموصل بـدأ التنظيم على الفور عمليات القتل وقطع الرءوس وحرق الكنائس وفرض الشروط المجحفة على المسيحيين.

ومنذ الساعات الأولى بدأ التنظيم الإرهابي يضع علامات على منازل المسيحيين في الموصل، وعلامات أخرى على منازل بعض

الأقليات وتحديدًا «الشيعة»، ثم سرعان ما أصدر التنظيم بيانًا تمت تلاوته في المساجد المختلفة وضع المسيحيين أمام ثلاثة خيارات هي:

- إما اعتناق الإسلام والتخلي عن الديانة المسيحية.
- وإما دفع الجزية دون تحديد سقفها.
- وإما الخروج من مدينتهم ومنازلهم بملابسهم ودون أي أمتعة أو أموال.

وقبيل انتهاء المهلة بقليل ودَّع آلاف المواطنين بيوتهم وكنائسهم وأديرتهم، وخرجوا في سيارات أجرة لتنقلهم إلى المدن القريبة في «كردستان» العراق، بينما بقي العالم صامتًا على هذه الكارثة الإنسانية الصادمة.

وهكذا منذ يوم السبت 19 يوليو أصبحت الموصل فارغة من المسيحيين بالكامل، حيث جرى وضع حواجز أسمنتية على كنائسها التي تحولت إلى مقرات لتنظيم «داعش»، بينما تم حرق وهدم كنائس أخرى، وتم الاستيلاء على المنازل والمتاجر وصودرت ملكياتهم.

كانت «داعش» قد أصدرت أمرًا قبل ذلك لمسلمي الموصل يحرم عليهم دفع أي مبالغ لمن يستأجر شيئًا من المسيحيين وحرَّمت التعامل معهم، قبل إصدار أوامرها بتهجيرهم عنوة من مدينتهم التي عاشوا فيها على امتداد قرون عديدة من الزمان.

والمســيحيون في العراق قدامى قِدمَ الديانة المسيحية ذاتها، وعددهم يبلــغ نحو مليون مســيحي، وقد تعرَّضوا لنكبات متعــددة وتحديدًا منذ الاحتـلال الأمريكـي للعـراق في عـام2003 ، و على مـدى أحد عشر عامًا غادر نحو نصف المســيحيين بيوتهم بعد تعرضهم للاضطهاد على يـد المتطرفين الذين أشـاعوا الإرهاب والظلم في أنحـاء العراق بتواطؤ أمريكي معروف للكافة.

ويتذكر الشـارع العراقي كيف اختُطف كاردينال الكنيسة الكلدانية المطـران بولـس فرج في عام 2008 على يد عنـاصر التطرف الإرهابية، وذلـك في منطقـة النـور السـكنية شرق الموصـل، حيث جـرت عملية الاختطاف بعد أن أنهى المطران البالغ من العمر 65 عامًا طقوس صلاة (درب الصليب) التي تقام خلال صوم عيد القيامة.

وعندمـا كان المطـران في طريقه إلى منزله مغادرًا الكنيســة تعرض له إرهابيون وأطلقوا النيران على سـيارته فقتلوا سائقه واثنين من مرافقيه وتـم اختطافه وتعذيبه وعُثر على جثته قرب مدينة الموصل في 13 مارس 2008، واقتصر رد الفعـل عـلى الإدانـات اللفظية التـي صدرت عن مسئولين محليين ودوليين.

وقبيـل اسـتيلاء «داعـش» عـلى الموصـل في 10 يونيـة 2014 كان بطريـرك الكلـدان الكاردينـال «لويـس سـاكو» قـد أعلن أن الكنيســة العراقيـة باتت كنيسـة منكوبة في ظل التطرف الديني والاسـتيلاء على أملاك المسيحيين.

وقال في تصريح لوكالة «فرانس برس» في إبريل 2014: «إن تصاعد هجرة المسيحيين اليومية من العراق مخيف ومقلق جدًّا»، وقال محذرًا: «أقرع اليوم أجراس الخطر، وأُعلن أننا كنيسة منكوبة، وأن استمرار الوضع على هذا المنوال يعني أنه لن يكون عددنا بعد عشر سنوات سوى بضعة آلاف».

وبعد الأحداث الأخيرة عاد بطريرك الكلدان ليقول: «إنه لأول مرة في تاريخ العراق تفرغ الموصل من المسيحيين، وإن العائلات المسيحية نزحت باتجاه «دهوك وأربيل» في إقليم كردستان العراق الذي يتمتع بحكم ذاتي ويستقبل مئات الآلاف من النازحين».

وقال «لويس ساكو»: «إن مغادرة المسيحيين ثانية كبرى مدن العراق التي تضم نحو 30 كنيسة يعود تاريخ بعضها إلى نحو 1500 سنة، جاءت بعدما وزَّع تنظيم (الدولة الإسلامية) الذي يسيطر على المدينة بيانًا منذ أكثر من شهر يطالبهم بتركها».

وقال: إن عناصر هذا التنظيم المتطرف كانوا في وقت سابق قد كتبوا على بيوت المسيحيين حرف (النون) أي نصاري، كما كتبوا على بيوت الشيعة حرف (الراء) أي «روافض».

ورغم أن البطريرك وجَّه نداء إلى أصحاب الضمير الحي في العراق والعالم حذر فيه من خطورة ما يجري، فإن العالم صمت على هذه الجريمة البشعة وكأن شيئًا لم يحدث!!

لقد قدَّرت الأمم المتحدة عدد الأشخاص الذين نزحوا داخل العراق بسبب أعمال العنف هذا العام بنحو مليون ومائتي ألف شخص .. بينما تواجه الأقليات الدينية والعِرقية خطر القتل والاقتلاع والتهجير.

وقبيل الغزو الأمريكي للعراق 2003 كان هناك مليون مسـيحي في العـراق، من بينهم 130 ألفًا في الموصـل وحدها، إلا أنه بعد الاحتلال الأمريكي وانتشـار تيـارات التطرف والعنف الديني بدأ العراق يشـهد عمليات نزوح واسعة للمسيحيين داخل العراق وخارجه.

والأمر لم يقتصر فقط على التهجير والتنكيل بالمسـيحيين، بل أحرق الإرهابيون كنيسـة عمرها 1836 سنة في الموصل، وهو أمر لم يحدث في ظـل كافة الفتوحات الإسـلامية قاطبة، حيث ظلـت أجراس الكنائس تختلـط بصـوت الأذان على مـدى التاريـخ، وكانت الموصـل رمزًا لهذا التسامح الديني وحرية العقيدة.

ومـن المسـيحيين إلى الإزيديين.. ففـي الرابع من أغسـطس 2014 سـقطت مدينة «سـنجار» على يد قوات «داعش»، التي زحفت بقواتها وعتادهـا المتقـدم إلى هذه المدينـة، الواقعة غـرب محافظة نينوى بشـمال العراق التي يسكنها نحو 300 ألف من الإزيديين.

ومـن المعـروف أن مدينة «سـنجار» ارتبط اسـمها بقصـة الطوفان، حيـث تقـول الروايات إن سـفينة نـوح اصطدمت بجبـل المدينة عندما مـرَّت به، فقال: هذا «سـن جبل جار علينا» فسُـمِّيت منـذ هذا الوقت (سن ـ جار)، ثم تحوَّلت مع الوقت إلى سنجار.

لقد ظلت سنجار مدينة مختلَفًا عليها بين العرب والأكراد لفترة طويلة، ولم ينسحب الأكراد من حدودها إلا بعد وصول قوات «داعش» إليها خلال شهر أغسطس من العام 2014.

لقد فوجئ رجال «البشمركة»، الأكراد الذين كانوا يقفون على أبواب المدينة بالزحف السريع لقوات «داعش» التي كانت مجهزة بالأسلحة الثقيلة والمتقدمة في ليلة الجمعة.

وقد قامت قوات «داعش» بطرد نحو 200 ألف شخص إلى المناطق المجاورة، غالبيتهم من الإزيديين والمسيحيين وبعض الشيعة التركمان.

ولم يستثن تنظيم «داعش» الأكراد سواء كانوا داخل الحدود الكردية أو في بعض المدن الأخرى، حيث إن «داعش» وضع على أجندته إسقاط الكيان الكردي والسيطرة على مناطق كردستان العراق؛ حتى لا تكون عقبة تحول دون امتداد دولة داعش في سوريا والعراق.. وربما لهذا السبب تدخل الطيران الأمريكي ليوقف زحف «داعش» باتجاه كردستان وحصار سد الموصل.

لقد اتهمت منظمة العفو الدولية تنظيم «داعش» بشنِّ حملة تطهير عرقي ممنهجة في شمال العراق وتنفيذ إعدامات جماعية وبالجملة في السكان.

وقالت المنظمة في تقريرها الذي نشرته في 12 أغسطس 2014 إنها حصلت على شهادات مروعة من سكان ناجين، متهمة مسلحي «داعش» بارتكاب جرائم تمثلت في الإعدامات التعسفية الجماعية

وعمليات الخطف التي استهدفت بشكل ممنهج أبناء الأقليات في شمال العراق ومنهم «المسيحيون والتركمان والشيعة والإزيديون» خصوصًا.

وكانـت المفوضيـة العليـا لحقـوق الإنسـان في الأمـم المتحـدة «نافي بيـلاي» قد اتهمـت في 25 أغسـطس 2014 تنظيم «داعـش» المتطرف بشـن حملة تطهير عرقي وديني في شمال العراق، ودعت الأسرة الدولية إلى محاسبة مرتكبي هذه الجرائم.

وفي تقريرهـا الذي حمـل عنوان «تطهـير عرقي بمقاييـس تاريخية»، أكـدت منظمـة العفـو الدوليـة أن لديها أدلـة على حصـول العديد من المجازر الجماعية في أغسطس في منطقة «سنجار»، حيث يقيم الكثير من الإزيديين، وهم أبناء أقلية غير مسلمة ناطقة بالكردية.

وبحسـب التقريـر فـإن عنـاصر «داعش» جمعـوا عـشرات الرجال والصبية في شاحنات ونقلوهم خارج قراهم حيث أعدموهم.

وقالـت المنظمة في تقريرها: «إن تنظيم داعش حوَّل مناطق سـنجار الريفيـة إلى حقـول للقتل، في إطار حملته الوحشـية الراميـة لمحو أي أثر لكل من ليس عربيًّا وليس مسلمًا وليس سنيًّا في هذه المنطقة».

وأضافـت المنظمـة: «إن الاعتداءيـن الأكثر دمويـة مـن بـين تلك الاعتـداءات حصـلا في قريـة «قينيـة» في 3 أغسـطس 2014 وفي قرية «كوشـو» في 15 أغسـطس 2014؛ حيـث سـقط في هاتـين القريتـين وحدهما مئات القتلى».

وتابعت المنظمة: «إن مقاتلي داعش قاموا بخطف أو قتل أكثر من 30 فردًا من عائلتين في قرية «خانة صور» في الشمال الغربي من سنجار وعلى مقربة من الحدود السورية».

وقال أحد أقرباء العائلة في شهادته لممثلي منظمة العفو الدولية: «لقد قتلوا 15 رجلًا وأخذوا النساء والأطفال ولا نعلم حتى الآن ماذا حل بهم، ولا نعرف مكان تواجدهم وإذا ما كانوا أحياء أو أمواتًا»!!

وقال التقرير: «لقد فرَّت إحدى النساء الإزيديات المسنَّات من قرية تل البنات الواقعة جنوب غرب بلدة سنجار، قبل أن تصل إلى جبل سنجار، وأخبرت المرأة منظمة العفو الدولية أنها تخشى من أن يكون ابنها المفقود (حسين بوتو)، البالغ من العمر 45 عامًا وهو والد لثلاثة أطفال، قد تعرض للخطف».

وقالت المرأة: «لم تصلنا أي أخبار عنهم منذ فررنا قبل ثلاثة أيام، ولو كان الرجل على قيد الحياة لاتصل بنا».

أما منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» فقد أعلنت في 5 أغسطس 2014 عن وفاة أربعين طفلاً من الأقلية الإزيدية في أعقاب هجوم عناصر من داعش على مدينة سنجار.

وقال البيان: «إن هؤلاء الأطفال توفوا نتيجة أعمال العنف والتهجير والجفاف خلال يومين سابقين فقط».

وقـد أكدت المنظمة في هـذا الوقت «أن أكثر مـن 25 ألف طفل من هذه الطائفة لايزالون معلّقين في المناطق الجبلية في سنجار، وهم بحاجة ماسة للماء والغذاء».

وفي وقـت لاحـق ارتكبت عناصر «داعش»، الذين يسـيطرون على مناطق واسـعة في شـمال العراق، «مجزرة» جديدة في قرية «كوجو» ذات الغالبية الإزيدية وأعدموا العشرات من سكانها.

وقـال «هوشـيار زيبـاري» وزيـر الخارجيـة العراقي السـابق: «لقد ارتكبـوا مجزرة ضد النـاس». وأضاف نقلاً عن معلومات اسـتخبارية: «إن حوالي ثمانين منهم قُتلوا»، كما أكد شهود عيان أنهم رأوا عددًا كبيرًا من الجثث في القرية.

لم تسـتثنِ الجرائـم أحـدًا من الفئـات الدينيـة والعرقيـة والمدنية، بل ارتكبت عناصر «داعش» جرائم بشعة ضد المدنيين منذ دخولها الموصل والعديد من المناطق الأخرى في إطار سـيناريو ظل مسـتمرًّا منذ ظهور هذه التنظيمات على أرض العراق.

وكانت منظمة العفو الدولية قد أصدرت تقريرًا في 14 يوليو 2014 ، حمـل عنـوان «المدنيـون على خط النـار»، تضمَّـن شـهادات مروعة من مدنيين نازحين فروا من المناطق التي اسـتولى عليها «داعش» خوفًا على حياتهم بعد أن اختُطف أقرباؤهم وقُتلوا على يد الجماعة، وسـط تصاعد الخطر من الضربات الجوية التي كانت تقوم بها الحكومة العراقية.

وبحسب كبيرة مستشاري مواجهة الأزمات في العفو الدولية العائدة لتوِّها من شمال العراق «دوناتيلا روفيرا» تقول: «يجد المدنيون المحاصَرون في العراق أنفسهم مرة أخرى وسط دوامة العنف الطائفي من جانب جميع الأطراف، مئات الآلاف قد فرُّوا من منازلهم بسبب الرعب من عمليات الاختطاف والقتل على يد داعش والضربات الجوية التي تشنُّها القوات الحكومية.. بينما يبدي كل من الجانبين تجاهلاً تامًّا للقانون الإنساني الدولي، إذ جرت عمليات اختطاف في كل بلدة وقرية سقطت تحت سيطرة داعش، والعديد من المخطوفين في عداد المفقودين، بينما عُثر على البعض مقتولًا».

وقد أجرت منظمة العفو الدولية مقابلات مع أقارب صبي يبلغ من العمر 18 عامًا من «جوغجالي» شرق الموصل وعمه البالغ 44 عامًا اللذين اختُطفا على حاجز لـ«داعش» في 20 يونية وقُتلا في وقت لاحق، وعثرت والدة الصبي على جثتيهما المهشمتين بعد ذلك بيومين، وأطلعت العفو الدولية على صور للجثتين وقد تم تحطيم رأسيهما بأدوات ثقيلة وأيديهما مكبلة وراء ظهريهما، وكان عنق أحدهما قد قُطع، بينما بدت جثته محترقة جزئيًّا، واضطرت الأسرة، وهي من طائفة الشبك الشيعية، إلى الفرار من «جوغجالي» فورًا بعد الحادث.

وقالت «دوناتيلا روفيرا»: «إن مثل هذه الاعتداءات الوحشية على المدنيين قد بعثت برسالة واضحة للطوائف غير السنية بأنها غير آمنة في المناطق التي يسيطر عليها داعش»، وتابعت: «يبدو أن اختطاف وقتل

الأسرى من بين الأدوات الرئيســة المســتخدمة من قِبل الجماعة لســحق المعارضين وترهيب المدنيين».

ووثَّقـت المنظمـة سلسـلة من الحوادث قُتـل فيها عمـدًا الأفراد بعد أسرهم من قِبل تنظيم «داعش».

ففـي إحـدى الحـالات قُتل ثلاثة مـن رجـال الشرطة الشـيعة دون سـابق إنذار على يد «داعش» بعد أن أمسـكت بهم في مركز للشرطة في الموصـل. وفي 27 يونية قتل أعضاء «داعش» ثلاثة من الرجال الشـيعة كانـوا قـد أُسروا في قرية «زيـارة تبعة» التـي تقطنها أغلبية من الشـبك وألقـوا بجثثهـم في وادٍ مجاور، حسـبما روى أقارب القتـلى لمنظمة العفو الدولية، وقد تُركت القرية دون حماية منذ انسحاب الجيش العراقي من المنطقة في 10 يونية 2014.

ولم يكن «داعش» وحده الذي مارس القتل في هذه المناطق، فقد أكد تقـريـر منظمة العفو الدوليـة «أن لديها أدلة تُظهر مقتـل أكثر من 100 معتقل (سـني) بدم بارد على يد القوات الحكومية والميليشيات الشيعية التـي كان يرعاهـا «نوري المالكـي» رئيس الحكومة السـابق في هجمات انتقامية قبل الانسحاب من مدن «تلعفر والموصل وبعقوبة» أثناء زحف «داعش»، ووصفت امرأة لمنظمة العفو الدولية الإصابات المروعة التي لحقت بجثة أحد أقاربها الذي كان من بين المعتقلين بالقول: «أُطلق عليه الرصـاص مرات عـدة في الرأس والصدر، وكان جسـده مغطًّى بالدم،

ولكـن لم أسـتطع التعرف على الجثة، حيث كانت الجثث مكدسـة فوق بعضها».

لقـد ارتكب «داعش» حجـمًا من الجرائم ضد الأقليـات والمواطنين بشـكل ربـما لم يحدث من قبـل بهذه الفظاعـة بقطع الـرءوس ووضعها عـلى الأجسـاد أو تعليقها على الأعمدة والأسـوار؛ حتـى تكون رادعًا للآخريـن، وكان مـن الأمثلـة عـلى ذلـك ذبـح الصحفـي الأمريكـي «جيمس فولي»، وأيضًا الصحفي الأمريكي «ستيفين سوتلوف».

ولم يأبـه قائد التنظيم أبـو بكر البغدادي بنـداءات الأسر والأمهات التـي وُجهـت إليه تطلب منـه العفو عـن الصحفيَّـيْن الأمريكيَّيْن قبيل ذبحهـما، بـل كان ذلك إنذارًا للجميع يعكس إرهابًا بلا حدود وقسـوةً بلا رحمة، وإساءةً متعمدة للدين والعقيدة.

1- حلم الشرق الأوسط الجديد!!

فاجـأ تنظيم «داعش» الجميع بقوته، وأسـلحته المتقدمـة، وتدريباته المتميزة، فكان السؤال المطروح: كيف ومن أين.. ولماذا؟!

منذ البداية كانت المعلومات تؤكد، أن هناك قوة فاعلة ولديها القدرة والسـيطرة، هي التي تقف خلف تنظيم «داعش»، تقدم له المال، وتتولى دعمه بالسلاح، وتدريب أعضائه وقياداته على فنون القتال.

إن ذلك يرتبط بالمخطط الذي تبنته الولايات المتحدة وسعت إلى تنفيذه على أرض الواقع، وهو ما سُمِّي «بمخطط الشرق الأوسط الجديد».

فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1989 بفعل سياسة «البورستريكا» أدركـت واشـنطن أن إعلان الحرب عـلى العقول وتوظيف شـعارات الديمقراطية وحقوق الإنسـان كهدف إسـقاط الدول والأنظمة يمكن أن يوفـر عـلى الولايات المتحدة خسـائر مادية وبشرية كبـيرة يمكن أن تدفعها كما حدث في العراق وباكستان.

وقد استطاعت واشنطن في هذا الوقت بناء وتكوين تنظيم القاعدة الذي تزعَّمه أسامة بن لادن لاستخدامه في تنفيذ أهدافها الخاصة وإثارة العنف والقلاقل في العديد من بلدان العالم.

وكانت مؤامرة 11 سبتمبر2001 ، بمثابة عقد شراكة بين تنظيم القاعدة والاستخبارات الأمريكية؛ حيث وفَّر تنظيم القاعدة «الكوادر»، ووفرت الاستخبارات الأمريكية التسهيلات اللازمة لتنفيذ هذه العملية.

ونجحت الخطة التي فتحت الطريق أمام إعلان أمريكا حربها على الإسلام، وهو نفس ما بشَّر به الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه «الفرصة سانحة».

واستطاعت «واشنطن»، تأسيس تنظيم «القاعدة»، الذي اعترفت وزيرة الخارجية الأمريكية (السابقة) هيلاري كلينتون بدور الاستخبارات الأمريكية في صناعته، كما أن تقديم «الإرهاب» على أنه صناعة إسلامية، أشعل الحروب في شتي أنحاء العالم ضد الدين الإسلامي، وبدأنا نشهد حالات تراجع في معدلات اعتناق الكثيرين للإسلام والإيمان به في الغرب.

وبعد موجة إرهاب «القاعدة»، جاء الدور على ما سُمِّي بـ«الإسلام المعتدل»، حيث جرى الاتفاق مع جماعة «الإخوان المسلمين» على تولى السلطة في بلدان العالم العربي من خلال ما سُمِّي بثورات «الربيع

العـربي»، في مقابـل المشـاركة في تنفيـذ مخطـط الشرق الأوسـط الجديد وإقامة دولة للفلسطينيين تمتد من غزة إلى سيناء.

وبعد سقوط الإخوان في مصر وعجز المعارضة السورية عن إسقاط نظام حكم الرئيس بشار الأسد، كان الاتفاق «الأمريكي ـ الإسرائيلي ـ التركي - القطري» على استغلال حالة الاحتقان التي تسود مناطق طائفة السـنة في العراق، بفعل ممارسة الميليشيات الشـيعية، في احتضان تنظيم جديد حمل اسـم (الدولة الإسـلامية) «داعش»، واستطاع «داعش» أن يحرز انتصارات عديدة بفعل المسـاندة الأمريكية، الإسرائيلية، التركية، القطرية.

لقـد أوجدت القوى المعادية «تنظيم داعش» ليس فقط لتنفيذ مخطط الـشرق الأوسـط الجديـد عـلى أرض العـراق وسـوريا ومنهـا إلى بقية المنطقة، ولكن أيضًا لاستخدام «داعش» أداةً لترهيب وتهديد بقية دول المنطقـة، خاصـة الخليجيـة منها، بعـد أن وجدت هذه البلـدان تتحدى السياسـة الأمريكية وترفـض الانصياع لمتطلباتهـا في المنطقة، ومن بينها محاصرة النظام المصري الجديد سعيًا لإسقاطه.

لم يقتـصر الأمـر عـلى ذلـك فقـط، لكـن الإدارة الأمريكيـة الحالية وضعت على سـلم أولوياتها توظيف «داعش» أيضًا لإرغام إيران على التسليم بمطالب الغرب فيما يتعلق ببرنامجها النووي، وبما يحقق السيطرة على هذا المشروع.

وهناك أيضًا هدف إسـقاط النظام السـوري وتقسيم سوريا، وكان ذلـك شرطًـا أساسـيًّا لتركيـا لمشـاركة التحالـف الـدولي ضرباتـه ضد «داعش».

لقـد كان طبيعيًّا والحال كذلك أن تعتمد واشـنطن سياسـة الضغط المبـاشر عـلى كل مـن إيـران وسـوريا.. فهـي امتنعت بعـد التطورات التـي شـهدها العراق منـذ العاشر من يونيـة 2014 عن تسـليم صفقة الــ 36 طائرة من طـراز (إف) 16 التي كانت العراق قد تعاقدت عليها وسددت ثمنها بدعوى وجود موانع فنية ناجمة عن هجمات «داعش» في العـراق، ورغم كافة الاتصالات التي أجرتها الحكومة العراقية وأكدت فيهـا على أهميـة الصفقة لوقف زحـف «داعش» إلا أن واشـنطن لم تُعِرْ ذلك اهتمامًا.

أمـا بالنسـبة لسـوريا فقـد خصصت واشـنطن 500 مليـون دولار لتمويل وتسـليح المجموعات الإرهابية المعارضة لنظام بشـار الأسـد، كـما قامـت إلى جانب ذلك بفـرض المزيد مـن الحصار وتجفيـف المنابع المالية لحزب الله اللبناني الحليف الرئيسي للنظام السوري.

لم يكـن الأمر غريبًا على كثير من المحللـين والمراقبين الذين يتابعون شئون الوضع في العراق وسـوريا غير أن موقع «فورث ميديا» الصيني تحدث أيضًا عن دور للسفارة الأمريكية في أنقرة في دعم قيادة «داعش» في العراق وسوريا.

وقال الموقع في تقرير له في 29 يونية 2014: «إن الضوء الأخضر قد مُنح لتنظيم داعش بهدف تدمير العراق وتوسعة رقعة الحرب في سوريا وتحويلها إلى حرب كبيرة في الشرق الأوسط والتخلص من إيران منذ نوفمبر 2013، على حد قوله.

وقال مصدر مقرب من سعد الحريري رئيس الوزراء اللبناني السابق للموقع الإخباري: «إن الضوء الأخضر في المعركة الراهنة في العراق قد مُنح أثناء اجتماع خلف الأبواب المغلقة لمؤسسة «المجلس الأطلسي» الأمريكي في أنقرة يومي 22 و23 نوفمبر 2013».

وقال المصدر: «إن واشنطن مارست ضغوطًا كبيرة للغاية على رئيس الوزراء العراقي، في هذا الوقت، نوري المالكي بهدف إرغامه على الاستقالة»، وقال إنه بحسب اطلاعه فإن أي خطوة لا يمكن القيام بها دون الحصول على إذن من السفير الأمريكي في تركيا (ريكاردينيو).

أما صحيفة «التايمز البريطانية» فقد نشرت تقريرًا مهمًّا في عددها الصادر في 12 ديسمبر 2013 يؤكد «أن القوات الأمريكية أسهمت بخلق أمير الدولة الإسلامية في العراق والشام .. الملقب بأبي بكر البغدادي، جراء إيداعه بالسجن لعدة أشهر».

وقال مراسل الصحيفة في بغداد «أنطوني لويد»: «إن القوات الأمريكية ساعدت بطريقة غير مباشرة على خلق أهم قائد ينتمي للقاعدة في منطقة الشرق الأوسط وذلك عندما سجنت إبراهيم عوض

إبراهيم علي البدري، وهو شاب مزارع عراقي سني يبلغ من العمر 33 عامًا لمدة ثلاثة أشهر في عام 2003».

وقـال: «إن وضع البدري مع سـجناء ينتمـون إلى القاعدة كان أحد الأسـباب الرئيسـية لتحوله السريع من سـلفي إلى راديـكالي حتى بات يُعرف اليوم باسم «أبي بكر البغدادي».

وقال كاتب المقال: «إن البغدادي كوَّن مع الضابط السابق في الجيش العراقـي «أبو عبدالرحمن البـلاوي» أضخم الجماعـات التابعة للقاعدة منذ تأسـيس «طالبـان» في أفغانسـتان»، مبينًا أن نشـاطات هذه المنظمة توقفت في عام 2010 بسـبب الوجود العسكري الأمريكي في العراق، إلا أنها تجددت بعد 3 سنوات جراء الصراع الدائر في سوريا.

ويعتقد بعض المحللين أن تنظيم «داعش الإرهابي» هو موجة جديدة ومسـتقلة عن تنظيم القاعدة سـاهمت في بعثهـا إلى الوجود عدة أجهزة اسـتخبارات إقليميـة ودوليـة، وغـض الغرب الطـرف عنهـم؛ خدمةً لأغراضه وأهدافه في المنطقة، لكن بعد ذلك وكما حدث في القاعدة فقد انقلب السحر على الساحر.

والملاحـظ هنا تأكيدًا لهـذا الأمر هو أن هذا التنظيم الإرهابي لم يحرك سـاكنًا إزاء العـدوان الصهيوني على غزة في يوليـو 2014 ، رغم ادعائه بأنه ينصر الدين الإسلامي وينصر المسلمين.

إن «داعش» لا تستطيع قتال الصهاينة لأنها مبرمجة على قتال مَنْ تسميهم بالمرتدِّين وليس اليهود، فهي لا يمكنها أبدًا محاربة إسرائيل؛ فخيارهم هو فقط القتل والانتقام من العدو القريب وليس العدو البعيد، أي المسلم القريب المختلف عنهم مهما كان نوع الاختلاف والدولة المختلفة.

ويرى د.نور الدين لينفر الخبير المتخصص في شئون الجماعات الإسلامية «أن الإرهابي أبا بكر البغدادي السجين السابق لدى القوات الأمريكية وقع تأهيله استخباراتيًا وفق نظرية «ترياق السم المضاد» أو المادة التي تعكس أثر السم أو «الجرثومة والجرثومة المضادة»، وتقتضي هذه النظرية برنامجًا يقوم على تكوين ميليشيات متطرفة تقاتل جماعات متطرفة مثلها لتقسيم الجماعات الجهادية المعادية للجيش الأمريكي «المارينز» ليقتتلوا فيما بينهم، ويتطلب مثل هذا البرنامج نوعًا من «الفوضى العقلية»، أي إيجاد نوع من القناعات لدى هؤلاء الأشخاص من طبيعة مرضية مثل الهلوسة الجنسية، أي هلوستهم بكل ما يتعلق بالجنس ودفعهم إلى سلوكيات الاغتصاب والسبي، وكذلك القتل المجاني عبر آليات نفسية تقوم على استثارة مشاعر التباغض والإيحاء بتقسيم هذه المجموعات بين مؤمنين وكفار على مجرد اختلاف بسيط في وجهات النظر مهما كانت بساطة الاختلاف وسخفه أحيانًا».

ويقول د.نور الدين: «إن هذا البرنامج وقع تطويره قبل خروج الجيش الأمريكي بعامين، وتم اختباره عمليًّا في سوريا والحرب ضد

نظام الأسد، حيث قُسِّمت كل الجماعات إلى تنظيم وتنظيم مضاد، وقد وقعت تعبئتها لتعادي نظام بشـار الأسـد وتتعادى كذلك فيما بينها مع تكويـن عناصرها على حـرب العصابات و على اسـتعمال مختلف أنواع الأسـلحة والسـبي والذبـح. ولقد تـم دس عناصر بينهـم تكرس هذه الاختلافات وفق قاعدة (اجعلهم يفترقون.. اجعلهم يقتتلون)».

أما القائد السـابق للقوات المسـلحة البريطانية الجنرال السير «ديفيد ريتشـاردز» فيقول: «إن بريطانيا وأمريكا شـجعتا الثوار في سوريا على مواصلة قتال نظام الرئيس الأسـد في الوقت الذي منعوا عنهم وسـائل تحقيـق النصر»، وهو يرى «أن ذلك الفشـل في السياسـة خلق الظروف لصعود تنظيم «داعش» الدموي».

وأكد «ريتشـاردز» في تصريحـات أوردتها صحيفـة «ذي اندبندنت» البريطانيـة على موقعها الإلكتروني الخميس 28 أغسـطس 2014 «أن بريطانيـا والولايـات المتحدة لم تُظهرا اسـتراتيجيتهما الواضحة لمواجهة المتطرفين الذين قاموا بعمليات توسـع للدولة الإسلامية عبر مساحات شاسـعة من الأراضي السورية والعراقية، ونفذوا أعمالاً همجية مثل قتل الصحفـي الأمريكـي «جيمس فولي»، وهـي كلها أمور تثـير المزيد من علامات الاستفهام حول نشأة «داعش» والدور الأمريكي في نشأتها».

ولم تكـن تركيا بعيدة عـن هذا الحدث، فهي معنية بالأسـاس بخلق دولة سـنية في وسـط العراق تمتـد إلى داخل الأراضي السـورية، خاصة

وهي تدرك أن الدولة الشيعية في جنوب العراق باتت قاب قوسين أو أدنى.

وقد تولت تركيا وباتفاق أمريكي - إسرائيلي - قطري تدريب قوات «داعش» على أراضيها؛ حتى تتمكن من إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد، خاصة بعد فشل قوى المعارضة الأخرى في إسقاطه.

وقد أذاعت وكالة أنباء «إخلاص» التركية في 29/ 8/ 2014 نقلاً عن القناة الأولى الألمانية «أنه وفقًا لبعض المعلومات الاستخباراتية التي توافرت فإنه يوجد في منطقة فاتح بإسطنبول مكتب غير رسمي يديره بعض الأتراك التابعين لـ«داعش»، يعمل على تسهيل انتقال المسلمين الأجانب القادمين إلى تركيا والراغبين في التوجه إلى سوريا والعراق للمشاركة ضمن صفوف التنظيم المسلح مقابل 400 دولار للفرد».

وأشارت الوكالة إلى أن نحو 2000 شاب أوربي انضموا إلى صفوف «داعش» خلال الشهور الماضية بعد قدومهم إلى إسطنبول ومنها إلى مدينة «أنطاليا» التركية المطلة على البحر المتوسط بحجة السياحة، وهناك مَنْ يتولى مهمة نقلهم إلى داخل الأراضي السورية والعراقية.

إن الموقف التركي الذي ظهر جليًا خلال اجتماع جدة الذي عُقد في 12 سبتمبر 2014 برفض المشاركة في أي عمليات عسكرية جوية ضد «داعش» في إطار التحالف الجديد، يضع علامة استفهام ويعزز من المعلومات الاستخباراتية التي تؤكد وجود دور «تركي» في إنشاء تنظيم

«داعـش» وتدريب العديد من كوادره على الأراضي التركية وحتى بعد أن أقـرَّ مجلس النواب التركي عمليًّا بالمشـاركة في الحرب ضد «داعش» وتحريـك القوات المسـلحة لحماية الحـدود، ترددت الحكومـة التركية في إرسـال قواتها لحمايـة الأكراد في مدينة (عين العـرب) دون موقف مبرر ووضعت المزيد من الشروط أبرزها: إقامة منطقة عازلة على الحدود مع سوريا والسعي لإسقاط نظام الأسد.

أمـا عن الموقـف الإسرائيلي ودور إسرائيل في دعـم هذا التنظيم فقد وصـل إلى إحـدى العواصـم العربيـة نص تقريـر أمنـي إسرائيلي سري يتضمـن معلومـات عـلى جانب كبير مـن الأهمية ويكشـف عن حجم التعاون بين «داعش» وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.

ويحمـل التقريـر عنـوان «القتل الإلهـي.. من الإخوان المسـلمين إلى الدولـة الإسـلامية (داعش)»، حيـث يقـول: «ترجع علاقاتنـا الحالية (بمعنـى الإدارة المبـاشرة التفصيليـة) مـع الحـركات الإسـلامية إلى بدايـات القرن. بالتأكيد منذ أن قـررت الولايات المتحدة منهجيًّا اعتماد الإخوان المسلمين ركيزةً سياسيةً لهم في المنطقة، وقُبيل حربي أفغانستان والعراق، بدأت العملية بطلب أمريكي لخدماتنا بسبب علاقاتنا الجيدة مـع الأتراك، ثم تدرجت الطلبات، وسـيطرنا على حلقـات الاتصال، ووفرنـا لهم العمق النظـري (خاصة في إعداد المادة الفقهية التي تسـهل إصدار الفتاوى التي يهمنا أمرها)».

ويتابـع التقريـر: «إلا أن العمـل التنظيمـي اتخـذ منهجًا منظمًا بشـكل مُـرضٍ عنـد بدايات الحراك الشـعبي. فقد كانت التنظيـمات الإخوانية في المنطقة هي الوحيدة التي يمكنها توجيه تحرك الشعوب في المنطقة. لذلك، قمنـا بتثبيت علاقاتنا مع الإخوان في كل مـن مصر وتركيا وقطر، ثم قمنا بتوسيع حلقة الاتصال، وعززنا الاتصالات بها في باقي الدول العربية».

ويقـول التقريـر: «إن حقيقـة تنظيـم الإخـوان أنـه يشـبه العنقـود، فنظرياته الفقهية تسـمح بممارسـة العنـف بالجرعة التـي يختارها القائد المحـلي، وهذا يعني زيـادة قدرتنا على توجيهها بأدق التفاصيل، يضاف إلى ذلـك أن هـذا التنظيـم إلى جانب كتابـات مفكريـه التاريخيين، لديه تقاليـد فقهية غير مكتوبة، لكنها حاضرة للاسـتدعاء عند الحاجة. ومن هذه التقاليد التقية، التي تسمح للمنتسب إلى التنظيم بالكذب على مَنْ هو خارج التنظيم، مما يسـمح بتفسـير تصرفهم، الذي يسـتغربه الكثير من المراقبين. وعندهم موضوع وحدة الإسـلام، وهو الذي يسـمح لهم بالتعامل مع إيران على أسـاس فقهي متـين. إلا أن ذلك لا يمنعهم من تصنيف الشـيعة في صف الرافضة، وبالتالي، إحلال دمهم. كذلك، فإن عندهـم تأثيرات تأتي من عمق التجربة الإسـماعيلية التـي كانت تعتمد جزئيًا على التأويل، واسـتعمال الغريب في تفسـير القرآن؛ لإضفاء صفة التفـوق على القيـادات، الذين كانـوا يحملون لقب «الدعـاة». كل هذا يجعل من عنقود تنظيمات الإخوان المسـلمين شـبكة طيّعة، سلسة قابلة للاستعمال ميدانيًا».

ويقـول التقريـر: «إن هـذه المقدمـة ضرورية لفهـم كوكبـة التنظيمات، كالقاعدة والنصرة وأحرار الشام وأنصار السنة والدولة الإسلامية وغيرها؛ ذلـك أن الفوارق الفكريـة تكاد لا تُذكر. فالأعضاء قـد ينتقلون من تنظيم إلى آخـر دون أن يختلـف عليهم شيء. الفوارق كلهـا تحمل الطابع الجغرافي (سيطرة التنظيم على منطقة) أو الشخصي (منافسة على الزعامة)».

ويـرى التقريـر «أنه في كل هذه التنظيمات عنصر مشـترك إضافي، هو أن الأمـوال مودعة بأسـماء القيـادات مباشرة، عادة في مصـارف أوربية (السويسرية منها هي أكثرها شعبية)، وبعضهم يستعمل مصارف عربية (مثل المصارف الكويتية). إلا أن بعضهم يفضل أن يحتفظ بالنقد (كاش) أو الذهـب أو الماس، في منزله أو عند زوجتـه. فالقيادة هي التي تتعامل مع المال، وهي التي توزع الرواتب. إن السـلطة هي جزئيًا سـلطة المال. لذلك، تحصل الخلافات بين القيادات، وتنفصل القيادات عن بعضها».

ويقـول التقريـر: «إن هـذه الطريقـة البدائيـة في إدارة المـال «العام» تتيح لنا السـيطرة التفصيلية على هذه التنظيمات. فهي تظن أنها تتعامل مـع المصارف تحت حمايـة السرية المصرفية. إلا أنهـا، بالنتيجة، تنظيمات إرهابية. لذلك، فهي تخاف أن ينكشف أمرها، فتقبل التعليمات وتسارع إلى تنفيذها لحماية رصيدها».

ويقـول: «أمـا التنظيم الدولي للإخوان المسـلمين، فقـد أصبح تحت إدارتنا المباشرة، تساعدنا فيها، في الصف الثاني، الحكومة التركية».

خلفية الدولة الإسلامية:

ويشير التقرير إلى أن «تأسيس الدولة الإسلامية يرجع إلى حرب الشيشان الأولى مع روسيا عام 1991 ـ 1995، والتي أدت إلى قيام الشيشان بتهجير غير المسلمين، وأكثرهم طبعًا من أصول روسية. لقد شاركت المخابرات الأمريكية والإسرائيلية في هذه الحرب عن طريق توفير المعلومات العسكرية ومهمات التهديف. وعند خسارتهم لهذه الحرب، قاموا بتأسيس الدولة الإسلامية. كانوا معترفين بالجميل، ووعدونا بشكل واضح بنبذ أي عداء لإسرائيل، والتركيز على عداء أعداء الإسلام، و على رأسهم روسيا».

ويقول التقرير: «إلا أن اشتعال الحرب الشيشانية الثانية عام 1999 كان أشد أهمية، فبعد خسارتهم الحرب، انتظم حوالي ألفين من العناصر التي كانت قد عملت في الجيش الروسي، خاصة فرق الكوماندوز، إن خبراتهم القتالية تكاد لا تُقارَن. اجتمع قادتهم وأسسوا الدولة الإسلامية، بتوجيهنا وتنظيمنا وتمويلنا، وقد أُتيحت لنا فرصة تجربتهم في جورجيا (2005 ـ 2008). وتعلمنا من هذه التجربة أن الفقه الديني أفضل من مفعول المال عند المرتزقة. إن المرتزق الوحيد هو زعيم الفرقة. كل الباقي ذئاب كاسرة، إلا أنهم يُساقون للقتال كالخراف، دون أي تبرير مقنع».

ويقول التقرير: «عند بداية الحراك العربي في مصر، ظهر لنا أن تنظيم الإخـوان، بعد فترة التعاون الطويلة بيننا (مع الأمريكيين)، يقبلون بأي مهمـة نطلبها منهم، حتـى لو كانت ضد أوطانهم التـي وُلدوا فيها. إننا لا نستطيع فهم حقدهم، لكنهم يقبلون التوجيهات بلا نقاش».

ويقـول: «عندما أتى دور العـراق، رأت القيـادة أن الوقت قد حان لإعلان الدولة الإسلامية فيه. كان من الضروري انتقاء شخصية قادرة عـلى إدارة البرنامـج الجديـد. وقد سـاعدنا السـيناتور ماكـين والإدارة السياسية في واشنطن على انتقاء أبو بكر البغدادي».

ويقـول: «كما توقعنا، فقد نجح إعلان الخلافة في اسـتنفار عدد كبير من المحاربين السـنة من جنسيات مختلفة. وكان من أول المنتسبين فرقتنا الشيشانية التي شجعناها على الانضمام».

ويؤكـد التقرير أن «الدولة الإسـلامية تحالفت أيضًـا مع مجموعات سـنية واسعة في العراق، وذلك بسبب السياسـة الإيرانية الشيعية الغبية تحت حكم المالكي. وقد تلاقت بالذات مصالح عدد كبير من العشـائر السـنية المذهـب، ومن ضباط جيش صدام حسـين مـع مجموعة الدولة الإسلامية، إضافة إلى تأييد ضمني لعدد من المجموعات الصوفية ذات التأثير السـياسي، ومنها طريقة النقشبندية. وسبب هذا التأييد هو الغبن الذي لحق بهذه الطائفة تحت حكم بغداد الشيعي».

ويقـول: «إن المرجح أن تتحول الدولة الإسـلامية مع مرور الزمن. فالسـنة، بعـد تحقيقهـم بعـض المكاسـب العسـكرية، سـوف ينظمون علاقتهم مع باقي المجموعات حتى يتمكنوا من العيش بشكل طبيعي. وهـذا يستوجب تصفيتهم، أو عـلى الأقل، تصفية الفريـق القيادي مع العناصر الأجنبية التي تواكبه، وبالتأكيد المجموعة الشيشانية. هذا يعني الاقتتال، لكن فقط بشـكل محـدود. إن هذا يعني أن الدولة الإسـلامية غـير قادرة بتقديرنـا على أن تبقى في حالة التسـلط التي تمارسـها حاليًّا بشكل دائم. سوف تستبدلها القيادات المحلية التقليدية، بالتأكيد، وهذا لا يـضر بمخططاتنـا. فهنـاك حاجة لقدرة إبـراز تنظيم جديـد وإخفاء التنظيم المُضِرّ. موضوع البحث الذي يهمنا هو: مدة الاقتتال».

وحول مسـتوى سيطرة إسرائيل على الأوضاع في الدولة الإسلامية يقول التقرير: «إن سيطرتنا محصورة بأربع نقاط:

- **الأولى**: هي اعتماد الدولة الإسـلامية علينا بشكل كامل فيما يتعلق بالتهديـف والاتصالات، إنهـم يكونون قوة محلية شـديدة، إلا أنها قوة عمياء. نحن نوَفِّر لهم قدرة النظر، ونسيطر بطبيعة الحال على اتصالاتهم الهاتفية وتسهيلات الإنترنت التي يستعملونها.

- **الثانية**: لدينا مجموعة الشيشـان، الموجودة في كل الوحدات، وهي تساعدنا في السيطرة على هذه الوحدات بسبب قدراتها القتالية المتقدمة نسبيًّا، ونحن على اتصال مباشر معهم.

- الثالثة: نسيطر بطبيعة الحال على أموالهم وتمويلهم، وذلك بسبب حاجة الجميع إلى استعمال المصارف واعتماد الدولار لتحويل الأموال. ويساعدنا هنا تنظيم الإخوان بشكل منضبط.

- الرابعة: شبكة المشايخ الذين تدربوا على أيدي مجموعاتنا، وندين بذلك إلى العمل الفقهي الجبار الذي قامت به الجامعة العبرية في توفير القرائن والبراهين والشروحات والمراجع لتسهيل مهمة الدعاة الذين نعتمد عليهم».

ويقول: «إلا أن سيطرتنا تتوقف هنا. نحن لا نقرر أو نساهم في قرارات انضمام المتطوعين، وبالتالي زيادة عدد الكتائب التي تؤلف جيشهم. إنهم تنظيم عسكري بهندسة متغيرة، قد يزيد أو ينقص عددهم حسب نجاحاتهم أو فشلهم في مسار سير العمليات».

تقييم الدولة الإسلامية:

ويرى التقرير أن قدرة الدولة الإسلامية الفعلية المؤلفة من عسكريين مجربين هي 13500 جندي، منهم 950 من الشيشان (يبقى حوالي ألف آخرين، نستعملهم كاحتياط، وهم موجودون في جروزني، وأكثرية الباقي هم من العراقيين والسوريين وبعض العرب (من تونس وليبيا والسعودية). الجندي السعودي والعراقي يتعلم بسرعة. يصبح أداة قتل هائلة عندما يستكمل تدريبه. إن الشيشان كلهم من فرق الكوماندوز الروس، وعندهم كفاءة قتالية تتفوق في بعض أوجهها

على التدريب الأمريكي المماثل، لذلك، فإن دورهم رئيسي في تحويل المقاتلين العرب إلى محترفين».

ويقول: «هؤلاء الجنود يستلمون رواتب شهرية. بعضهم يفضل استلامها مباشرة، وبعضهم يرسل أكثرها لأهله. ونهتم نحن بذلك».

ويقول: «لقد انضم للدولة الإسلامية بالترجيح حوالي 6000 إلى 7000 متطوع، أكثرهم، وربما كلهم، بلا خلفية عسكرية، إلا أن هذا العدد يتغير من يوم لآخر. فقد انضم أكثر من ألفين منهم خلال أيام الانتصارات في الموصل، غير أن أكثر من ألف غادروا بعد ابتداء الضربات الأمريكية. هناك تنظيمات صغيرة كثيرة «تبايع» الدولة الإسلامية لأنها توفر للقيادة منطقة مأمونة تستطيع أن تسبي بها وأن تسرق. إن عمليات القتل الوحشية التي تمارسها هذه المنظمة موجهة جزئيًّا لمتطوعيها، كي تردعهم عن المغادرة. كذلك، فقد أُجبر عدد من المتطوعين على ممارسة الذبح أو عمليات الإعدام الجماعية لربطهم بالتنظيم، بشكل يذكِّرها بطرق المافيات الإيطالية».

ويقول: «هناك طبعًا المجموعات التي انضمت للتنظيم من محيط الإسلاميين السوري. لقد انضمت مجموعات عدة، بالترجيح حوالي أربع عشرة، منها خمس أعدادها كبيرة. هناك كتائب من جند الشام (حوالي 12000)، وأنصار الشام (8000)، وأحرار الشام (2000)، والجبهة الإسلامية (5000)، وأنصار الشريعة (4500) وغيرهم، إلا

أنه يجب تسـجيل انتقال هؤلاء من الجبهة العراقية إلى الجبهة السـورية. مفعولهم محدود بسـبب انتشـارهم الجغرافي الواسـع وعدم استطاعتهم فهم مردود انتقالهم عبر الحدود على قدراتهم على التوصل والتهديف، في غياب مساعدتنا، يمكن أن ينهاروا بفترة قصيرة».

ويقول: «لقد اسـتطعنا تجربة اعتمادهم علينـا. لقد نقلنا فرقًا متعددة إلى الغوطـة الغربيـة عـبر الجـولان، وأخرى أكثـر عددًا عـبر النقب إلى شـمال سـيناء. أمرنا إحدى المجموعات في سيناء، فقتلوا عددًا من أفراد الشرطـة، لكننـا لم نتابعهـم، وتركناهم بـلا مواصلات لأقـل من بضع ساعات، فاعتقلتهم القوات المصرية. في الغوطة، لم نعطهم أي أهداف، فقاموا باعتقال قوات الأمم المتحدة. إنهم آلة قتل وإرهاب! ولم يتراجعوا أبدًا، ورفعوا علمهم قرب العلم الإسرائيلي عندما سمحنا لهم بالعبور، خوفًا من القوات السورية. ليس عندهم أي وعي سياسي»!

ويقـول: «نقوم بتدريب مـا يقارب 450 إلى 550 شـهريًّا في تركيا. سوف يكون عدد الأجانب أقل، مع مرور الزمن. إلا أن عدد المتطوعين المصريين والتونسـيين والسعوديين وباقي الجنسيات العربية يكاد يكون بلا حدود».

ويقـول التقرير: «إن تموين هذه المنظمة «داعش» لم ينقطع من تركيا. بالمقابل، فإن النفط هو عملة المبادلة، نشتريه بحوالي خُمس سعر السوق، سواء بالصهاريج أو بالسفن من ميناء جيهان».

ويقول: «أما موضوع إدارتهم المالية، فهي تقريبًا كما يلي:

- إنهم يدفعون رواتب (مبالغ) زهيدة للمتطوعين. هذا يشجعهم على النهب. إلا أن الذي يتم الاستيلاء عليه من الذهب أو المعادن الثمينة يعود للقيادة، ويُترك اليسير فقط للمتطوعين. هناك تململ حول هذا الموضوع.

- ثم إنهم يستلمون أموالاً تأتيهم من متبرعين في السعودية والكويت وعدد من الدول. قطر تساعد أيضًا، وإن كانت قد تغير مواقفها من يوم إلى آخر. إن سيطرتنا كبيرة، إلا أنها ليست كاملة.

- إن مجموع ثروتهم يصل إلى 350 مليون دولار تقريبًا. إنهم يظنون أن أصولهم أكثر من ذلك بكثير. إلا أن الذي يعيش في الموصل في الظروف الحالية لا يستطيع التحقق من شيء. نحن نرسل لهم من أموالهم ما يكفي لمتابعة القتال والغزو».

ويقول التقرير: «إن مساحة سيطرة الدولة الإسلامية تمتد على رُبع العراق تقريبًا، وثُلث سوريا، في المناطق النفطية. ويتم تهريب النفط بواسطة الصهاريج، حيث نقوم بتكليف شبكة من المحليين الأتراك بشرائها لصالحنا. إننا نستعمل أيضًا الأنابيب التركية، إذ يتم ضخ بعض النفط بواسطتها، ونستنزفه من الأنابيب إلى الصهاريج في نقاط معينة، أيضًا في تركيا. طبعًا، نقوم بذلك عندما يتوقف ضخ نفط المنطقة الكردية. وبما أننا نساعد الأكراد على تمويل مشاريعهم المحلية، فإننا

نسـيطر على خط الأنابيب هذا بشـكل مباشر. القيـادات التركية تغض النظر، ولهذا أيضًا ثمن»!

ويقول: «إن المسـاحة التي نتكلم عنها تساوي ما يقارب عشر مرات مسـاحة إسرائيل. إنهم غير قادرين على السـيطرة على كل هذه المنطقة. وبما أن دورهـم لا يتعدى ممارسة عملية استمرار العداء لجيرانهم وتبادل إطلاق النار، فإنه غير مُجدٍ أن نسلحهـم أكثر مما بين أيديهم اليوم».

ويقـول: «إن السـلاح الـذي تمكنـوا من الاسـتيلاء عليـه في عملية الموصـل من الجيش العراقـي يكفيهم في الوقت الحـاضر. إنها كمية من الدبابـات والمدفعيـة تكفـي لتسـليح كتيبة بشـكل كامل تقريبًـا. إلا أن توزيع هذا السـلاح وسوء تنظيم القوة العسكرية يجعل من هذا السلاح قيمة خاسرة، فيما لو واجه جيشًا جديًّا».

ويقـول: «إن دور الدولـة الإسـلامية واضـح في سـوريا والعـراق، أما في مصر، فبالرغم من إصرار عدد كبير من الإخوان والسلفيين على الظهور تحت هذا الاسـم (الدولة الإسلامية)، فإن القيادة لم تسمح بعدُ بفتـح هذا الباب في مصر. ويرجع ذلـك للخطط الخاصة بمصر، والتي أمـرت القيادة بدراسـتها، وهي خـارج إطار هذا البحـث. إلا أن مصر إمكانية لم تُغلق بعدُ».

ويقـول: «أما السـعودية، فهـي مفتوحة لنا بشـكل كامل. تسـتطيع الدولة الإسـلامية أن تسـيطر بسهولة على المناطق الشـمالية، من عرعر

إلى تبوك، وسـوف يساعدها في ذلك أنصارهم في معان (الأردن)، وهم ذوو خـبرة قتالية عاليـة. كذلك فإن في منطقة جـدة ـ مكة موارد بشرية كبيرة لديها مخططاتها، وكذلك الحال في الرياض.

يقـول التقريـر: «إن الـدور المطلـوب مـن «الدولة الإسـلامية» هو اسـتمرار اسـتنزاف كل من سوريا والعراق لمدة سـنة أو اثنتين، بانتظار تغيير مراكز الثقل السـياسي في المنطقة، وقد تقـرر القيادة إعطاء الضوء الأخـضر وتفكيـك السـعودية. والدولـة الإسـلامية مفيـدة في هـذا البرنامج».

ويقول: «هذا يجعل دور الدولة الإسـلامية يتماثل مع دور التنظيمات الأخـرى في عنقـود الإخـوان، سـواء كان ذلـك في العـراق أو سـوريا أو مصر، أو باقي المناطق التي تهمنا».

إلى هنـا ينتهـي نص التقريـر الإسرائيلي الـذي يكشـف حقيقة دور الكيان الصهيوني في صناعة داعش.

أمـا عن قطر، فقـد تولت منـذ البداية تمويل إنشـاء التنظيـم وتحمُّل تكلفـة الوافدين مـن دول العالم للانضمام إليه، حيث لعبت السـفارات والاسـتخبارات القطرية في شتى أنحاء العالم دورًا مهمًّا في تسهيل مهمة العناصر الأجنبية التي دخلت إلى العراق وسوريا عبر تركيا.

فقطر هي التي تولت دفع ثمن العديد من صفقات الأسـلحة ومنح جوازات سـفر للعديـد من هذه العنـاصر، وارتبطت ببعـض كوادره،

الذيـن سـاهموا في إنجاح العديد من الوسـاطات القطريـة للإفراج عن بعـض مَـنِ اختطفتهم جبهـة النصرة في سـوريا مقابل دفـع مبالغ مالية كبيرة كفدية للخاطفين.

إن الـدور القطـري في دعم «داعـش» وتحمُّل تكلفـة التمويل أكدته حقائق الواقع وتقارير الأجهزة المعنية.

. إن ذلـك الأمر أقلق الكثـير من الدوائر الغربية، وهـو ما دعا رئيس الـوزراء البريطـاني «ديفيد كاميرون» إلى مواجهة أمـير قطر تميم بن حمد خـلال لقائه به في لندن في 30 أكتوبـر 2014 للتعبير عن قلق بلاده من الدور القطري في تمويل «داعش».

لقد خرجت صحيفة التايمز البريطانية لتؤكد في تقرير لها «أن الأمير تميـم لا بـد أنـه توقع زيارة سلسـة، لكنه وجد نفسـه في خضم اتهامات لبلاده بتمويل الإرهابيين، وأن المهمة الآن أمام الأمير الشاب هي تغيير المسار الذي اتبعته بلاده أثناء حُكم والده، مع حفظ ماء الوجه!!».

■■■

لم يكـن الأمـر مقتصرًا عـلى دعم القـوى الإقليميـة والدولية نشـأة التنظيـم واحتضانه، بل جرى اسـتغلال الظـروف الداخلية وتحديدًا في العراق لتكون دافعًا قويًا للالتفاف حول «داعش» التي رفعت شعارات حظيت بقبول واسع في المحافظات السنية العراقية.

استطاع تنظيم «داعش» في البداية أن يخدع فئات عديدة من السنة لبعض الوقت، بعد أن قدم نفسه كمخلص لهم من الممارسات القمعية التي يقوم بها حكم نوري المالكي، إلا أن الحقائق تكشفت سريعًا بعد أن سقط القناع عن التنظيم بأسرع مما يتوقع الكثيرون.

لقد ظل أهل السنة في العراق ومنذ الاحتلال الأمريكي عام2003 يعانون الأمرَّين من الحكومات المتعاقبة، حتى جاء نوري المالكي ليبدأ حملات من التطهير الطائفي والعِرقي وليطلق ميليشياته التي أخذت الطابع الطائفي «الشيعي» لتُحدث مجازر وترتكب أفعالاً إجرامية ضد أهل السنة في العراق.

منذ هذا الوقت بدأت عناصر تنظيم القاعدة في استغلال هذه الحالة، واللعب على أوتار الطائفية، ومقاومة المحتل الأمريكي، وأصبح للقاعدة نفوذ داخل الطائفة السنية، وتحديدًا في المحافظات السنية المهمة «الموصل والأنبار وتكريت وغيرها».

ومع تزايد نفوذ القاعدة بدأ الصدام يحدث مع مشايخ ووجهاء العشائر الذين رفضوا نهج القاعدة وملاحقتها للمواطنين وأبناء العشائر ومحاولة فرض سطوتها عليهم، فجرى تشكيل الصحوات العشائرية عام 2007 والتي سعت إلى مواجهة القاعدة في هذه المحافظات ومحاولة الحد من نشاطها، إلا أنها لم تنجح في اقتلاعها من المناطق التي زرعت فيها القاعدة عناصرها.

كان الصـدام قويًـا وعنيفًا، وكان أبو مصعـب الزرقاوي قد قاد هذه الحـرب منذ عام 2004 مع فصائل رئيسـية مثل كتائـب ثورة العشرين والجيـش الإسـلامي وحمـاس العـراق، وكل ذلـك أدى إلى تراجع قوة ونفوذ القاعدة في هذه المناطق خاصة بعد مقتل الزرقاوي عام 2006.

ومـع تزايد حدة القمع وجرائم الميليشـيات التـي كان يرعاها نوري المالكي في أوقات لاحقة، بدأت الدعاوى تنطلق في أوسـاط السـنة بأن العـدو الرئيسي الـذي يريد اجتثاثهم مـن المجتمع العراقـي وإجبارهم على الهجرة هو الميليشـيات الشيعية الصفوية، وأن العدو الرئيسي الذي تجب مواجهته هو هذه الميليشـيات وكذلك حكومة المالكي التي كانت تمثل في نظر الكثيرين حكومة معادية للسنة في العراق.

وكان أخطـر التحديات التي واجهت السـنة في ظـل حكومة نوري المالكـي هـو حالة العقـاب الجماعي التـي فُرضت ضدهم عـبر إصدار القوانين التي أقصتهم عن المناصب الحكومية وإلصاق التهم بقياداتهم، والتي طالت نائب الرئيس العراقي (طارق الهاشـمي) وعددًا كبيرًا من الوزراء والنواب وكبار المسئولين السنة.

وفي عـام 2010 جرى تزويـر الانتخابات البرلمانيـة لصالح المالكي والمتحالفـين معه، وضاعت أصوات أهل السـنة دون جـدوى، بعد أن تواطـأ الكثير من القـوى داخل العراق وخارجه، وهو نفس ما تكرر في انتخابـات2014 ، التـي لم يحصل فيها المالكي عـلى الغالبية، ومع ذلك أصر حتى وقت قريب على التمسك بمنصبه رئيسًا للحكومة.

لقـد كانت تلك الأحوال التي تـردت والأوضاع المجتمعية الخطيرة التي عاشـها السُّـنة في ظل الحكم الشـيعي (الطائفي) العامل الأساسي وراء البحث عن خيار بديل ينهي معاناة أهل السنة في العراق.

كانت (الدولة الإسـلامية في العراق والشـام) «داعش» قد ترعرعت وحققت انتصارات عديدة على السـاحة السـورية، وقد اسـتطاع تنظيم «داعـش» أن يبنـي تحالفات قوية مع القوى السـنية الأخـرى ومن بينها ثوار العشـائر وتنظيم النقشـبندية والجيش الإسـلامي، ولذلك نجح في تحقيق انتصارات عديدة في العراق بعد أن وجد ترحيبًا قويًا في البداية من عشائر السنة التي كانت تبحث عمن يخلِّصها من ظلم وفساد المالكي.

وكان جيش رجال الطريقة النقشـبندية من أبرز القوى المتحالفة مع «داعش».

وهـو فصيـل مـن أتبـاع الطريقة النقشـبندية (سـني صوفي) أسسـه عـزة الدوري ـ نائـب الرئيس العراقي (الراحل) صدام حسـين ـ الذي اسـتهدف مقاومـة الاحتـلال الأمريكي وعمـلاءه مـن المتحالفين معه الذيـن تولـوا الحكم في ظل فـترة الاحتلال، وهذا الفصيل يعتبر نفسـه مدافعًـا عـن السـنة في مواجهـة ما يسـميه بالحكـم الصفـوي الطائفي العميـل للاحتلال ولإيران التـي يحمِّلها هذا الفصيل مسـئولية ما آلت إليه الأوضاع في العراق.

ورجال هذه الطريقة بدءوا تحركاتهم في مناطق شـمال العراق وأيضًا في بعـض المناطـق الكرديـة، وهـم يمتلكون أسـلحة متقدمـة للغاية من

دبابـات وصواريـخ حصلوا عليها مـن الجيش العراقي السـابق، كما أن لديهـم خبرات واسـعة في عمليات القتال اكتسـبوها تحديدًا خلال فترة الحرب مع إيران.

وهؤلاء لهم تواجد في مناطق بغداد وديالى والأنبار ونينَوَى وصلاح الدين، إلى جانب بعض المناطق الأخرى داخل حدود كردستان.

وقـد بلغـت قـوة هذا الجيش أكثـر مـن 15 ألفًا وحولهـم عشرات الألـوف مـن المسـاندين، ومـن بينهـم ضباط كبـار في الجيـش العراقي السابق وقيادات بعثية سابقة.

والطريقة النقشـبندية هي واحدة من الطرق الصوفية المعروفة، تنتسب للشـيخ محمد بهـاء الديـن النقشـبندي الذي توفي سـنة 791 هــ وعقيدة النقشبندية، وفقًا لما تضمنه موقع هذا الفصيل، مستمدة من الكتاب والسنة بفهـم السـلف الصالح، فلا تكفير لأحد من أهـل القبلة، كما أنهم يلجئون إلى سياسة النصح للحكام الذين لا يحكمون بشرع الله ولا يكفِّرونهم.

وبالرغـم مـن إعـلان جيـش النقشـبندية أنـه لا يُكفِّـر ولا يـمارس الإرهاب، فإنه انضم إلى تحالف «داعش» وكان من القوى التي أسهمت في سيطرة «داعش» وخداع الجماهير السنية.

وهناك أيضًا مجلس ثوار العشـائر العراقية: وهذا المجلس يتحرك في أوسـاط العشـائر العراقية السـنية، وقد اسـتقطب أغلب أبناء العشائر، وقـد كان لهؤلاء الثوار الدور الأكبر في السـيطرة على غالبية المحافظات

السنية وفتح الطريق أمام تنظيم «داعش»، حيث يرى البعض أن وحدة الأهداف بين ثوار العشائر وتنظيم داعش قد جاءت لأسباب معروفة. وفي ضوء الظروف الحالية، فإنه من المستبعد استمرار هذا التحالف؛ لوجود فارق شاسع بين مشروع ثوار العشائر، وهو مشروع وطني يهدف إلى بناء دولة مدنية، وبين مشروع «داعش» الذي يهدف إلى فرض نظام الخلافة وبناء دولة إسلامية.

وقد بدأ تنظيم ثوار العشائر بالتمرد والعمل المسلح ضد الجيش العراقي بقيادة رئيس الحكومة السابقة «نوري المالكي» بعد أن قام الجيش بفضِّ اعتصامات الأنبار عندما اقتحم ساحة اعتصام الرمادي في 30 ديسمبر 2013.

وكانت مطالب عدد من محافظات أهل السنة في غرب وشمال العراق محددة في:

- الإفراج عن المعتقلين من الرجال والنساء.
- وقف تنفيذ أحكام الإعدام التي صدرت ظلمًا بحق العديد من أبناء طائفة السنة.
- سحب قوات الجيش من داخل المدن بعد الممارسات القمعية التي تعرض لها السكان على يد القوات المتمركزة في هذه المناطق.
- إعادة دور العبادة والسماح لأهل السنة بممارسة شعائرهم الدينية بحرية ودون تدخل.

- وضع حد لتدهور مستوى المعيشة، والاهتمام بالخدمات في محافظات السنة.

لقد ظل أبناء الطائفة السنية يرفعون هذه المطالب لفترة لم تقلّ عن العام، بعد أن بدءوا اعتصامًا مفتوحًا في عدد من المدن والمحافظات، إلا أن نوري المالكي لم يستجب لأيٍّ من هذه المطالب، بل أصدر أوامره بحرق مخيم الاعتصام وإطلاق النار عليهم، مما تسبب في سقوط وجرح المئات منهم.

ومنذ هذا الوقت استطاع ثوار العشائر فرض سيطرتهم الكاملة على العديد من المدن العراقية، ومن بينها مدينة «الفالوجة» غرب بغداد ومناطق واسعة من مدينة الرمادي وغيرها.

وقد لعب ثوار العشائر دورًا رئيسيًا في تمكين «داعش» من المدن العراقية التي سيطرت عليها، وقد قال رعد عبدالستار السليمان، رئيس الهيئة التنسيقية لثوار العشائر التي جرى تشكيلها في الثامن من يوليو 2014: «إذا استطاع «داعش» طرد الإيرانيين من العراق فسنؤيد خلافته».

وقال السليمان في حديث لجريدة الشرق الأوسط نشرته في 10 يوليو 2014: «إن العراقيين مستعدون للاستعانة بأي جهة أو طرق من أجل الخلاص من هذه الزمرة التي تحكم العراق».

وقال السليمان: «إن هناك تنسيقًا مع تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وقد أبلغناهم عن طريق بعض الأشخاص الذين دخلوا على

الخط بيننا بأن الوقت ليس مناسبًا لإعلان الخلافة، بل هدفنا هو دخول بغـداد وتطهيرها من هـذه الحكومـة، وطلبنا من قادتهم إبـلاغ أبي بكر البغـدادي بأننـا في حينه سـنعلنه «أميرًا للمؤمنين» وليـس خليفة فقط، وسـنضع التاج على رأسـه، لكننا حاليًّا لا نؤيد الخلافـة؛ لأننا لم ندخل بغداد بعد، وهدفنا التالي بغداد».

وأكمـل حديثه مسـتدركًا بالقـول: «لكننا لـن نتقاتل مـع «داعش» حول هذه الجزئيات الصغيرة كالخلافة وغيرها، وسبحانه الوحيد الذي لا يخطئ».

وقـال: «نحـن الذين حررنـا الأنبار والموصـل، وأعـداد «داعـش» لا تتعـدى 2000 مسـلح أو أكثـر بقليـل، لكننـا بالملايـين نقاتـل هذه الحكومـة للخـلاص مـن بطشـها وفسـادها، والدولـة الإسـلامية في العـراق والشـام مـع هـؤلاء في جبهة واحـدة ضد الحكومـة، ونحن لا نريد أن نقاتل «داعش» فهم معنا لمحاربة المالكي»، مشـددًا على أنه «إذا حررت «داعش» العراق وطردت الإيرانيين فسنباركها للخلافة ونؤيد خلافتها. المهم أن تنقذنا من الإيرانيين».

هكذا وصل الحال بالسنة في العراق، لقد تحالفوا، كما هو واضح، مع تنظيم «داعش» الإرهابي ليس إيمانًا به وبأفكاره المتطرفة، بل انتقامًا من أفعال حكومة المالكي وميليشياتها الإجرامية المدعومة من إيران.

وكانت القوة الثالثة هي الجيش الإسلامي: وهو جيش أسسه الشيخ أحمـد الدبـاش البالغ من العمـر 47 عامًا، وقد أكـد الدباش في حديث نشره موقع إيلاف في 12 يونية 4102 أن رجاله يحاربون جنبًا إلى جنب مـع عناصر تنظيـم الدولة الإسـلامية في العراق وبلاد الشـام من أجل اسـترداد بغـداد، حتى ولو كان ذلك يعني التسـبب في دفـع البلاد نحو حرب أهلية.

وقال الدباش في مقابلة خاصة أجراها مع صحيفة «الديلي تلغراف» البريطانيـة: «إن الآلاف مـن رجـالي يشـاركون بالفعـل في العمليـات المسـلحة التـي يقودها تنظيم «داعش» عبر شـمال العـراق، والتي باتت تهدد الآن أبواب العاصمة العراقية بغداد».

وأكد الدباش أن جيشـه لا يتبنى الفكر المتطرف نفسه مع «داعش»، ملمحًـا في هـذا الشـأن إلى أن رجاله قد يلجئون يومًا ما لحمل السـلاح ضد عناصر «داعش».

وقـال الدبـاش: «إن المالكي يجب أن يرحل أولًا، وبعدها سـنطلب تقسـيم العـراق إلى ثلاث مناطـق ذاتية الحكم، على أن يتقاسـم السـنة والشـيعة والأكراد الموارد بصورة متساوية، وسنطلب تعويضًا للمليون ونصف مليون عراقي، ومعظمهم من السنة، الذين تم قتلهم على أيدي الأمريكيين ورجال نظام نوري المالكي.

وقد تساءل الدباش في حديثه: «هل يمكن أن يفرض بضع مئات من جهاديي «داعش» سيطرتهم على الموصل بكاملها؟ الإجابة «لا»؛ لأن كل القبائل السنية اتحدت ضد المالكي، وهناك أجزاء من الجيش، والبعثيين من فترة حكم صدام حسين، ورجال الدين، والجميع كلهم قرروا الخروج من حالة الاضطهاد التي نعانيها، وأنا أفضِّل التوصل إلى حل سياسي تقوم الحكومة العراقية بموجبه بتلبية مطالب الجيش الإسلامي».

وكانت وكالة «شفق نيوز» العراقية قد أكدت «أن الأحداث التي شهدتها الساحة العراقية في ديسمبر 2013 تفاعلت بقوة، لا سيما بعد اقتحام قوات الجيش العراقي ساحة الاعتصام في الحويجة بمحافظة كركوك وما نجم عنها من ضحايا، وما تبع ذلك من تصعيد في المواقف وتصاعد نبرة الخطابات في ساحة الاعتصام وخارجها من شتى الأطراف».

وقالت الوكالة: «إنه في إطار هذه التفاعلات واختلاف المواقف يظهر وبقوة على الساحة مرة أخرى ما يُعرف بالجيش الإسلامي في العراق، وهو تنظيم جهادي إسلامي سلفي عراقي».

ونقلت الوكالة عن أحمد الدباش (منسق الحراك الشعبي في الجيش الإسلامي) في هذا الوقت قوله: «لقد أعلنَّا النفير العام وتشكيل جيش العشائر، وإن فصائل المقاومة جزء من العشائر».

وحـول تواجد الجيش الإسـلامي ومواقفه قال: «نحـن متواجدون في كل العـراق وليـس في الأنبار فقط، في شـمال بغـداد وغربها وجنوبها وشرقها، نحن متواجدون في كل الساحات».

■■■

وبعد مضي عدة أشـهر على سـيطرة «داعش» على الكثير من المناطق بمسـاعدة القوى الحليفة، راح التنظيم يشق لنفسه خطًّا مستقلًّا وينحي حلفـاءه جانبًا ليبـدأ مرحلـة ترسيخ قواعـده عـلى الأرض، ولا أحد يسـتطيع أن يحسـم في ظل هذه المواقف أين موقع «داعش» بالضبط مع مَنْ تقف وضد مَنْ تعلن الحرب!

لقـد رسـمت «داعش» لنفسـها خريطة عـلى جغرافية المنطقـة لتبني عليها دولة تمتد من حلب في سـوريا شمالًا إلى البصرة في العراق جنوبًا، لتحكم فيها بحد السيف الذي لم يستثن حتى حلفاء الأمس!!

2- الغنيمة السورية

منذ عام 2011 ، كان الهدف واضحًا: إسقاط نظام الأسد، وتقسيم سوريا. كل له أهدافه ومطامعه، إسرائيل تعتبر أن إسقاط النظام الحاكم في سوريا قضية أمن قومي، فهذا النظام لا يزال يسبب لها صداعًا مزمنًا، خاصة أن النظام لا يخفي دعمه لحزب الله وقوى المقاومة في لبنان التي لا تزال تمثل خطرًا استراتيجيًا على الأمن القومي.

وتركيا ترى أن سوريا لا تزال تشكل عائقًا أمام حلم أردوغان بإحياء الخلافة العثمانية التي سقطت في عام1924 ، كما أن إدخال سوريا في فوضى عارمة سوف ينعكس سلبًا على الأكراد وحلمهم في إقامة دولة مستقلة على الحدود مع تركيا.

أما واشنطن والغرب فلديهم مطامع كبرى في حقول الغاز السورية التي يمكن أن تُغنِي الغرب عن الغاز الروسي الذي وضع أوربا تحت رحمة الروس، كما أن استغناء الغرب عن الغاز الروسي واستبدال الغاز السوري به سوف يزيد الأزمة إحكامًا ضد روسيا.

أما قطر فقد تبنت بدورها توكيل «الفوضى المدمرة وما سُمِّي بثورات الربيع العربي»، وكانت تأمل في أن سقوط نظام الأسد وسيادة الفوضى في سوريا من شأنه أن يعيد رسم الخريطة الجيوسياسية في المنطقة. كما أن هناك أنظمة رأت أن الفرصة باتت مواتية لوضع حد لعناد بشار الأسد وتطاوله على العديد من الأنظمة.

أما واشنطن فقد رأت أن خيار إسقاط الأسد هو وحده الذي يمكن أن يفتح الطريق أمام حل القضية الفلسطينية وإنهاء وجود المقاومة، بما يحقق مصلحة إسرائيل ويمهِّد الطريق أمام أطماعها في المنطقة.

كما أن واشنطن رأت أن دعمها للمعارضة السورية وحركات التمرد الإرهابية من شأنه أن يحقق هزيمةً كاسحة لإيران وروسيا صاحبتي النفوذ على الساحة السورية؛ ولذلك وبعد مرور أكثر من عامين ونصف العام من الحرب التي تُشَنُّ ضد النظام السوري والتي حشد لها الخصوم الإقليميون والدوليون كلَّ الإمكانيات لصالح القوى المناوئة لم يحققوا الانتصار الذي كانوا يتوقعون حدوثه خلال شهور محدودة، بعد أن فتحت العديد من البلدان خزائنها وترسانات أسلحتها ودعمها السياسي والإعلامي، كما أن تركيا تولت فتح الحدود واستقبال الإرهابيين وتدريبهم، وكل ذلك لم يجبر النظام السوري على إسقاط خياراته الأساسية.

كان من الطبيعي في هذا الوقت أن تسعى واشنطن إلى حشد قواها والتهديد بغزو سوريا بعد أن نفد صبرها، وضاقت ذرعًا بالأزمة التي صدَّرها نظام الأسد إليها داخل الولايات المتحدة ذاتها، بعد أن تبخرت وعود أوباما في الهواء، وأصبح أمام خيار من اثنين.. إما أن يُسقط نظام الأسد بالقوة، وإما أن يَسقط هو في نظر الأمريكيين والغربيين والحلفاء.

كانت البداية ادعاءات كاذبة، ساقتها واشنطن باتفاق مع قطر وتركيا وإسرائيل والقوى المتمردة على الأرض السورية، كان الكل يعلم أن الحكومة السورية لم تتورط -وليس من المعقول أن تتورط- في ضرب منطقة الغوطة الشرقية بالأسلحة الكيميائية؛ لأنه لم يكن من مصلحتها على الإطلاق، فهي التي وجَّهت الدعوة للجنة التفتيش الدولية، وهي كانت المستفيد الأكبر من عقد مؤتمر جنيف2.

أعلنت واشنطن الحرب على سوريا، وسعت إلى حشد الحلفاء لمشاركتها في توجيه ضربة عسكرية إلى مواقع سورية منتقاة، كان الهدف ضرب منصات الصواريخ والمطارات وتدمير السلاح الكيميائي السوري. إنها حرب بالوكالة قررت واشنطن أن تخوضها نيابة عن إسرائيل، وانتظرت اللحظة المناسبة والمبررات المقبولة دوليًّا.

جاءت الضربة الأولى للمخطط من بريطانيا، حيث رفض مجلس العموم مشاركة بلاده في الحرب، ولم يكن أمام «ديفيد كاميرون» رئيس الحكومة من خيار، فقرر الرضوخ وأبلغ أوباما بأن بلاده لن تشارك.

قبـل هذا الموقف كانـت ألمانيا وبلـدان غربية أخـرى عديدة ترفض المشـاركة في توجيـه أي ضربـة عسـكرية إلى سـوريا إلا بموافقة مجلس الأمـن، وكان ذلـك مسـتحيلًا، بسـبب المعارضـة الروسـية – الصينية والتهديد باستخدام حق الفيتو.

حاول أوباما إقناع الأمريكيين بالحرب، أجرى العديد من المقابلات التليفزيونيـة إلا أنـه فوجـئ بـردود فعل رافضـة، لجـأ إلى الكونجرس للحصـول عـلى دعمـه، إلا أن التقارير أكدت وجود معارضة شـديدة ترفض إعادة إنتاج سيناريو العراق مرة أخرى، فاضطر إلى طلب تأجيل التصويـت الـذي كان محددًا له، بحجة انتظار معرفـة نتائج المبادرة التي أعلـن عنها وزير الخارجية الروسي «سـيرجي لافـروف» التي دعا فيها سـوريا إلى وضـع ترسـانتها الكيميائية تحت رقابة دوليـة؛ لضمان تجنب ضربات عسكرية غربية ضدها.

لقد وجدت واشـنطن في هذه المبادرة طـوق النجاة الوحيد لإخراج أوباما من ورطته، لقد كشـف أوباما في حديث تليفزيوني لقناة «إن. بي. سي» الأمريكيـة أنه ناقش مع بوتـين فى أثناء قمة العشرين، التي عُقدت مؤخرًا، احتمالات مبادرة دبلوماسـية بشأن سـوريا، وقال إنه غير واثق بدعم الكونجرس الأمريكي له في توجيه ضربة عسكرية إلى سوريا.

لقـد وصـف أوبامـا العرض الـروسي بأنـه ينطوي عـلى احتمالات إيجابية، وأن جون كيرى سيبحث مع روسيا جدية العرض.

لم تختلف رؤية جون كيري عن الطرح الذي أعلنه الرئيس أوباما، لقد قال في وقت سابق إن بشار الأسد يمكنه أن يتجنب ضربة عسكرية أمريكية بتسليم كل أسلحته الكيميائية خلال أسبوع، وقال إن الحل للنزاع السوري يجب أن يكون سياسيًا وليس عسكريًا!!

كان الحل السياسي قاسمًا مشتركًا بين المسئولين الأمريكيين والروس في جميع اللقاءات، كان الطرفان على قناعة أن الحل العسكري لن يُنهي الأزمة، وكانت روسيا تجدد مطلبها في كل لقاء بضرورة الإسراع بعقد مؤتمر جنيف(2)، باعتبار أن ذلك هو الأساس لإنهاء النزاع سلميًا.

لقد تهربت واشنطن، أكثر من مرة، من تحديد موعد نهائي لانطلاق المؤتمر المأمول، بحجة أنها في حاجة إلى مزيد من الوقت للتشاور مع الحلفاء، إلا أن الحقيقة كانت على العكس من ذلك، لقد كانت واشنطن تنتظر حدوث تقدم عسكري للمعارضة على الأرض يسمح بفرض الشروط السياسية في المؤتمر.

وكان الروس لديهم قناعة بأن حلفاء الأمريكان في المنطقة طلبوا مزيدًا من الوقت وقدموا للمعارضة المزيد من المال والأسلحة، إلا أنهم فشلوا في دفع المتمردين لتحقيق إنجازات عسكرية على الأرض، في موعد غايته شهر سبتمبر الحالي.

فشل المتمردون في تحقيق الهدف، بينما الجيش السوري، وبفضل المساندة الروسية الإيرانية، حقق انتصارات مذهلة على الأرض، مما

دفـع القـوى المعادية إلى اسـتخدام لعبة الأسـلحة الكيميائية في الغوطة الشرقية، التي أعطت حجة للأمريكيين للتهديد بتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا.

كان الـروس عـلى قناعة تامة بأن النظام السـوري ليـس متورطًا في استـخدام السـلاح الكيميائي أبـدًا، وأن الجيش السـوري ليس لديه ما يدفعه إلى ذلك، فهو يحقق تقدمًا كبيرًا على الأرض، وقوى التمرد تخسر المزيد، كما أن الروس يعرفون أن النظام السـوري كان مصرًّا على طلب لجنة تحقيق دولية، للتحقيق في استـخدام الأسـلحة الكيميائية في «خان العسـل» في حلـب، ولم يكن من المعقول أن يسـتخدم النظام السـوري الأسـلحة الكيميائيـة في منطقـة أخـرى في اليـوم الأول لوصـول بعثـة التفتيش الدولية.

وكان الروس يعرفون أيضًا أن الحكومة السورية تمتلك جميع الوثائق والأدلة، التي تدل على تورط فصائل المعارضة المسـلحة في سـوريا، في اسـتخدام الأسلحة الكيميائية، ولذلك مارست واشنطن ضغوطًا على مجلس الأمن لمنعه من إرسال هذه اللجنة لمدة خمسة أشهر سابقة.

وقد سـلَّم الرئيس بوتين في وقت سابق، المستشارة الألمانية «ميركل» صـورًا حيـة التقطتها الأقـمار الصناعية الروسـية لصواريـخ تنطلق من أماكن وجود المعارضة، وتحمل مواد كيميائية، وقبلها سـلَّمت روسـيا ألمانيا عشية قمة الثمانية في «دبلن» شريط فيديو، يوثق اعترافات ضابطين

قطريين قبضت عليهما الحكومة السورية، تؤكد قيام قطر بتوريد أسلحة كيميائية إلى سوريا وتدريب فصائل من المعارضة المسلحة على استخدامها وضربها.

وعشية قمة العشرين سلَّم الروس عددًا من المشاركين في هذه القمة معلومات موثقة، تؤكد تورط المعارضة السورية في إطلاق الأسلحة الكيميائية على منطقة «الغوطة الشرقية»، وربما لهذا السبب لم تنجح واشنطن في تحقيق النتائج التي كانت تأملها من وراء قمة العشرين، حيث حدث انقسام حاد في المواقف.

لقد أدركت واشنطن أنها خسرت قمة العشرين، وأن معركتها الداخلية في الكونجرس لن تكون سهلة، وأنه لا أمل لديها في تشكيل حلف قوي لضرب سوريا، بعد تراجع بريطانيا ورفض ألمانيا والعديد من البلدان الأخرى المشاركة في هذه الضربة إلا بموافقة مجلس الأمن أولاً.

لجأ الرئيس أوباما إلى المستشارة الألمانية «ميركل» للبحث عن خيار للخروج من المأزق، خاصة بعد أن أدرك أنه سيخسر كثيرًا من وراء هذه الحرب.

وقد توصلت «ميركل» إلى مبادرة للحل، أبلغتها سرًّا إلى روسيا وأمريكا، وتم الاتفاق على أن تتبنى روسيا طرحها على سوريا وغيرها من البلدان.

لقد تضمنت المبادرة الألمانية السرية خمسة بنود، هي:

1- انتظار نتائج لجنة تحقيق الأمم المتحدة بشكل نهائي.

2- تقديم نتائج هذه اللجنة إلى مجلس الأمن لدراستها.

3- يدين مجلس الأمن بالإجماع كل من يثبت تورطه باستخدام الأسلحة الكيميائية.

4- يتخذ مجلس الأمن قرارًا واضحًا وملزمًا بتدمير الأسلحة الكيميائية واستئصالها من الجهة التي يثبت التقرير أنها تورطت في استخدامها.

5- البحث بشكل جدي من قِبل مجلس الأمن في الاتفاق على كيفية السيطرة على الترسانة الكيميائية لدى الجيش السوري ونزعها، وإرغام سوريا على التوقيع على الاتفاقية الدولية لحظر الأسلحة الكيميائية.

أدرك الروس حجم المأزق الذي يعيشه الرئيس أوباما وعرفوا أنه كان وراء دفع ألمانيا للقيام بهذا الدور وإطلاق تلك المبادرة سرًّا، لدفع روسيا إلى تبنيها، فقام الروس بدورهم بإبلاغ ألمانيا أنهم يتفهمون هذه المبادرة، وأن تحفظاتهم عليها محدودة، وأن وزير الخارجية الروسي سيتبنى مضمونها، وأنهم سيبادرون بالاتصال بكل من سوريا وإيران لضمان الموافقة عليها.

وبالفعل تم إطلاق هذه المبادرة باعتبارها مبادرة روسية، وتم إبلاغ سوريا، فأرسلت وفدًا سوريًّا كبيرًا برئاسة وزير الخارجية وليد المعلم،

ضـم عددًا من أبـرز القيادات الأمنية والعسـكرية السـورية، كما تزامن وصول وفد إيراني إلى روسـيا في نفس الوقت، ولنفس الغرض برئاسـة نائب وزير الخارجية الإيراني.

كان الوفد السوري يحمل تفويضًا مفتوحًا للقيادة الروسية، للتصرف وفق ما تراه مناسبًا وملائمًا، خاصة بعد أن أثبتت روسيا أنها حليف قوي ونزيـه إلى جانـب سـوريا وأنها لعبـت دورًا مهمًّا في التراجـع الأمريكي عندما أبلغت واشـنطن أن حشـودها في المنطقة ليست في نزهة، وأن من حق روسـيا أن تحارب الإرهـاب بنفس الحق الذي تسـتخدمه أمريكا، وأنها سوف تقوم بضرب تجمعات المعارضة المسلحة في أماكن وجودها في سـوريا؛ لأنها تضم نحو 5 آلاف شيشـاني وقوقازي في سـوريا، وهم مطلوبـون جميعًا للأمـن الروسي، خاصة أن هناك قـرارًا لمجلس الدوما الـروسي سـبق أن فوَّض بمقتضـاه القيادة الروسـية بملاحقـة ومعاقبة هـؤلاء الإرهابيين أينما وجدوا، وقد أبلغت روسـيا القيـادة الأمريكية وبعـض الـدول الأوروبيـة أن الضربـة الروسـية للإرهابيـين الشيشـان والقوقاز سـتبدأ في نفس التوقيت الذي سـتوجه فيـه أمريكا وحلفاؤها الضربة إلى القوات السورية.

كان ذلـك يعني أن روسـيا سـتقضي عـلى آمـال الإدارة الأمريكيـة، بإحـداث خلل في ميزان التوازن العسـكري يمكِّن القوات المتمردة من تحقيـق تقـدم على الأراضي السـورية، على حسـاب الجيش السـوري؛ ولذلك راحت أمريكا تراجع موقفها من جديد.

كان طبيعيًـا والحـال كذلـك، أن يتم وضـع المخـرج الجديد موضع التنفيـذ، حيث رحبت سـوريا بالمبـادرة التي أعلنتها روسـيا في تصريح على لسان وزير الخارجية وليد المعلم، والذي قال إن بلاده على استعداد لكشف مواقع أسـلحتها الكيميائية أمام روسيا والأمم المتحدة، مؤكدًا رغبـة بلاده في الانضمام إلى معاهدة حظر انتشـار الأسـلحة الكيميائية، واسـتعدادها لتطبيـق المبادرة الروسـية بشـكل كامل، معتـبرًا أن التزام سـوريا بالمبـادرة الروسـية يهـدف إلى إنهـاء حيـازة سـوريا للأسـلحة الكيميائية.

لقد سعت روسـيا إلى اقتناص الفرصة واستغلال المأزق الأمريكي، فلجـأت إلى دعـوة مجلـس الأمـن الـدولي لعقـد جلسـة طارئة لمناقشـة الأزمة السـورية، كـما أعلن وزيـر الخارجية الفرنسي أن بلاده سـتطرح مشروع قرار على مجلس الأمن، يطالب سـوريا بوضع ترسانة أسلحتها الكيميائية تحت السيطرة الدولية، حتى يمكن تدميرها.

أمـا الأمـين العام للأمـم المتحدة «بـان كي مـون» فقد سـارع أيضًا بإعلان أنه سـيحثُ مجلـس الأمن على أن يطالب سـوريا بالانضمام إلى اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية التي لم توقع عليها دمشق قط.

وفي الوقت الذي رحبت فيه المفوض العام للاتحاد الأوربي «كاترين أشتون» بالموقف الجديد، وكذلك إعلان وزير الخارجية الأمريكي جون كيرى أنه سيعقد لقاء في جنيف مع نظيره الروسي لبحث المبادرة، خرج

الرئيس أوباما في خطاب ألقاه من البيت الأبيض، ليعيد فيه الأزمة إلى المربع صفر.

لقد قال أوباما إنه قرر شن عملية عسكرية محدودة ضد نظام بشار، وإن الضربة لن تكون طويلة المدى مثل العراق، كما أنه شدد على أنه لن يرسل جنودًا أمريكيين إلى سوريا وأن الضربة ستكون بواسطة سلاح الجو الأمريكي، وقال إن على إسرائيل أن تحمي نفسها تجاه أي رد فعل سوري.

وقال أوباما في خطابه إن نظام الأسد لديه قدرة على تهديد قواتنا العسكرية، وإنني طلبت من الكونجرس تأجيل التصويت على قرار الضربة، مؤكدًا أن الضربة العسكرية ستؤدي إلى حل دبلوماسي للأزمة السورية دون استبداد.

وقال إنه يُجري مشاورات مع الرئيس الروسي بوتين، من أجل تفهم سبب التدخل العسكري، وقال: من المبكر القول إن الخطة الروسية ستُكلَّل بالنجاح.

غير أن الأحداث التي تلت ذلك أكدت أن تهديدات أوباما، لم تكن سوى محاولات مقصود بها الضغط على سوريا وحلفائها، ولذلك مضت الأيام دون حدوث العدوان الذي هدد به أوباما، وكان البديل هو مفاوضات في جنيف والرضوخ للمبادرة الروسية بتدمير الأسلحة الكيماوية لتصعيد المواقف ضد نظام الرئيس بشار الأسد.

هكذا كان المشـهد حتى هذا الوقت، غير أن واشنطن راحت تشكل «خليـة أزمة» لبحث الخيارات البديلة والمقبولة التي تمكنها من إسـقاط النظـام السـوري عبر تحالف دولي تشـارك فيه قوى عديدة تحت شـعار «محاربـة الإرهاب»، فكانت داعش هي المخرج، وهـي بوابة العبور إلى قلب سوريا.

■■■

مع بداية شـهر ديسـمبر من عام 2013 وصل نائب وزير الخارجية الإيراني حسـين أمـير عبداللهيان إلى بـيروت في زيارة غـير معلنة للقاء قيادة حزب الله ومن ثم التوجه إلى دمشق للقاء القيادة السورية، وذلك في أعقـاب زيـارة قام بهـا وزير الخارجيـة التركي في هـذا الوقت «داود أوغلو» إلى طهران في 27 من نوفمبر 2013.

توجَّـه عبداللهيـان غـداة وصولـه إلى بـيروت برفقة غضنفـر آبادي السـفير الإيراني في بيروت للقاء الأمين العام لحزب الله حسـن نصر الله، وقد حضر اللقاء برفقة حسن نصر الله: عمار الموسوي والحاج وفيق صفا.

ووفقًـا لتقريـر منسـوب إلى مصـادر دبلوماسـية موثوقـة فقـد نقل عبداللهيـان لحسـن نـصر الله رسـالة مـن القيـادة الإيرانيـة مفادهـا أن تغيـيرًا ما قـد حصل في الموقف التركي بشـأن الأزمة السـورية وبشـأن المنطقـة بأسرها، وأن الأتـراك قد أبلغونا أنهم بصـدد تقييم وإعادة نظر بشـأن الأزمـة السـورية، وأنهـم على اسـتعداد كامـل للتنسـيق المباشر

والمتواصل مع القيادة الإيرانية، وأنهم قد تركوا لنا إيجاد المخارج لهم والانتقال التدريجي للموقف التركي بخصوص الأزمة السورية، وأنهم (أي الأتراك) قد بدءوا بخطوات عملية على الأرض للتضييق على التنظيمات الإرهابية التي تستهدف سوريا.

أبلغ الإيرانيون حسن نصر الله أنهم يرون في هذه المرة مصداقية واضحة في الموقف التركي، وأن تحليلهم نابع من أن تركيا قد أصبحت على قناعة مطلقة بأن إسقاط النظام قد أصبح من ورائها، وأن أهم ما تهدف إليه تركيا الآن هو أن تحجز مقعدًا على الطاولة كمقرر أساسي في خارطة المنطقة الجديدة، وأن كل ما يهدفون إليه هو تحجيم أي دور إقليمي لأي دولة سنية دونهم وبالتحديد الدور السعودي.

كما أبلغ الجانب التركي الجانب الإيراني أن لا مشكلة لتركيا مع دول الخليج، باستثناء السعودية التي تنافسهم بعد «اختفاء» الدور المصري في قيادة المنطقة.

كان الإيرانيون واثقين كل الثقة، من خلال رسائلهم التي نقلوها لحسن نصر الله، بأن تركيا لا تناور معهم هذه المرة، فقد أعلن الجانب التركي استعداده للبدء بتنسيق أمني مع السوريين من خلال القناة الإيرانية.

ويقول التقرير: إن حسن نصر الله بدأ كلامه مخاطبًا المسئول الإيراني قائلًا: أنا لا أريد أن أتدخل بالقرارات الإيرانية، وأنا على ثقة مطلقة بحرص القيادة الإيرانية وإلمامها بما يجري في المنطقة، ولكنني كعبد فقير

لله أرى لزامًـا عـليّ أن أوضح وجهة نظري بشـأن الموقـف التركي ولكم أن تأخـذوا أو لا تأخذوا به، ولكـن واجبي أن أكون صادقًا وأن انتمائي يُلزمني أن أقول لكم موقفي بكل صراحة.

أنـا لا أثـق بالمطلق بالسياسـة التركية ولا بأردوغان شـخصيًّا؛ فكل مواقفه السـابقة وسياسته تقوم على المراوغة والكذب والنفاق والخداع وهو في غاية البراجماتية، ولا يمكن أن تمسـكه في نقطة محددة؛ فهو دائم الهـروب، ولا يمكـن أن تأخـذ منه موقفًـا ثابتًا في أي قضية؛ فهو أشـبه بالتاجر الذي ينزل إلى بازار وكل همه الكسب وليس غير الكسب، حتى لو كان من قوت وخبز الفقراء والحلفاء.

أنـا هنا أرى لزامًا عليّ أن أوضح لكـم وبالتحديد موقف أردوغان، أرجوكـم أن لا تنخدعوا فيه، فهو يعمل مع جماعة الإخوان المسـلمين، يشـارك في رسـم سياسـتها، وهـو منفِّـذ أمـين لسياسـة هـذه الجماعـة، قـراره عند الإخوان المسـلمين، وهو الآن في راحـة تامة لأن الأمريكان والإخوان المسـلمين عـلى تواصل وتنسـيق، أردوغان ليـس بعيدًا عن ذلـك.. أي أن مشروعه ينفَّـذ بغطاء أمريكي كامل، وإذا كان للأوربيين بعـض التحفظات تجاه سياسـته، لأنها سـتأتي بالمصائب والويلات على أوربا، لكن الضغوط الأمريكية التي تسـتغل الوضع الاقتصادي المتأزم في أوربا تجعل الأوربيين يلوذون بالصمت حتى وإن كانوا غير مقتنعين بالموقـف الأمريكي.

أنـا أتسـاءل بصوت هادئ: هـل نحن على قناعة تامـة بأن الإخوان المسـلمين قد عدلوا عن مشروعهم في سـوريا، خاصة بعد أن هُزموا في مواقـع أخرى؟! يجب أن نرى الصورة كاملـة ونبحث موقف الإخوان المسـلمين ككل، هـل غـيَّروا وجهـة نظرهـم أم أنهـم قد بدءوا مشـوار التسـوية مـع النظام السـوري؟ وجهة نظـري وما لديَّ مـن معلومات أن موقف الإخوان المسـلمين عكس أكاذيـب أردوغان، حتى وإن كان الإخوان المسلمين يريدون تسوية مع النظام السوري فأنا على ثقة كاملة أن الموقف السـوري سـيرفض ذلك بالمطلق؛ فهو غير مسـتعد ولا يريد أي تسوية معهم، ونحن نتفق مع الجانب السوري في هذه النقطة.

وقال نصر الله: كل تحركات أردوغان كما نراها تشير إلى أنه في مأزق؛ فالدور السعودي يتعاظم، وقطر كحليفة لتركيا في طريقها إلى التحجيم مـن قِبل دول الخليـج والمنطقة، كما أن هزيمة الإخـوان في مصر دفعت بأردوغـان لطرق أبواب إيران وكل الذي يبحـث عنه الآن هو مصالح ذاتية له ولحزبه ولجماعة الإخوان المسلمين، وأؤكد أنه يناور ويخادع.

وقال: إن موقفي النهائي دون أن أتدخل في الموقف السيادي الإيراني هـو أنـه إذا كان لإيـران مصالحهـا وظروفهـا في المنطقة والتـي نقدِّرها ونراعيها جيدًا، لكنني لا أثق بهذا الرجل نهائيًا، فأردوغان يريد كسـب الوقـت والبحـث عن مخارج جديدة بعد الأزمـة الكبرى التي وصل لها الإخوان.

وقـال: إن أردوغـان يريد منكـم أن تحتضن إيران قيـادات الإخوان الهاربين من كل مكان، وهو يهدف لأن تكون سـاحة إيران هي الساحة الخلفيـة لقيـادة الإخـوان في المنطقـة بعـد أن أصبـح هو غير قـادر على استيعابها بفعل ضغوط داخلية وخارجية.

وهـو أيضًا يريد أن يريح الموقف القطـري الذي يمر بأزمة كبيرة مع دول الخليج الأخرى والتي سـتزداد تفاقمًا في المستقبل؛ حيث تنظر دول الخليج لقطر الآن على أنها مأوى للإرهابيين وقادتهم.

وقـال: لذلـك فإن كل مـا يهدف لـه أردوغان الآن هـو البحث عن مأوى جديد ومستقر لجماعة الإخوان.

وتسـاءل نصر الله: هل سـتكون إيـران على اسـتعداد لذلك؟ وهل ستتدخل إيران فيما يحصل في مصر؟ هذا ما يجب علينا التفكير به بجدية.

وأضـاف نـصر الله أن الإخـوان المسـلمين في لبنـان ومن خـلال الجماعة الإسـلامية هـم رأس الحربـة في مجابهـة حـزب الله، وأن معظـم مَـن قامـوا بالتفجـيرات التـي وقعت في البـلاد كان وراءهم مَنْ هـم على علاقة مباشرة بالبيئة الحاضنة لهم في لبنان وهم (الإخوان المسلمين) ومَنْ هم على شاكلتهم.

وقـد تمنـى حسـن نصر الله عـلى نائـب الوزيـر عبداللهيـان أن يبلغ السوريين بما أبلغه به الجانب التركي، وأن يستمع لوجهة نظرهـم بتبصر، وكذلك تمنى عليه أن ينقل لهم موقفه.

■■■

بعد ذلك توجّه الوفد الإيراني إلى سوريا، وأبلغ الجانب السوري - المكون من وليد المعلم وفيصل المقداد والمملوكي - بما لديه، ناقلًا موقف القيادة الإيرانية بهذا الشأن.

وقد كان السوريون أكثر صراحة تجاه ما نقله إليهم الوفد الإيراني.

لقد اعتبر الجانب السوري أن التجاوب مع طروحات «أوغلو» هو بمثابة طوق نجاة لأردوغان لا يجوز أن يُعطَى له، خاصة من قِبل الأصدقاء الإيرانيين، وكرروا أوصاف حسن نصر الله لأردوغان بالكذب والخداع.

وتناولوا بالتفصيل شرح التاريخ الطويل لتجربتهم بالتعامل مع أردوغان، قائلين: «عندما حضر أوغلو وأردوغان في بداية الأزمة السورية إلى دمشق حيث نقل لنا أردوغان مشروعًا لتسوية الأزمة، كان تقييمنا أن هذا المشروع كان مشروعًا إخوانيًّا».

وقال وليد المعلم: «في آخر لقاء لأردوغان مع بشار الأسد قال للرئيس: إنه إذا لم توافقني على ما أطرحه فإن سوريا في طريقها إلى الدمار وستكون أنت المسئول عن ذلك».

وأضاف أردوغان للرئيس: «إنني أحمل مبادرة ومشروعًا بتشكيل حكومة جديدة يشارك فيها الإخوان بثقل ملموس، وإذا ما تم ذلك سينتهي ما يحدث في سوريا خلال أيام إن لم يكن خلال ساعات»، وهو نفس المشروع الذي طرحه علينا القطريون منذ البداية.

وقال المعلم: لقد رفضنا عروض أردوغان التي لم تكن تهدف إلا إلى تقسيم سوريا وتدميرها.

وقـال: إن كل مـا يهدف له أردوغان الآن هو اخـتراق جبهة الحلفاء (روسـيا ـ إيـران ـ حـزب الله ـ سـوريا)، وهو دور أمريكي مرسـوم له ومتفق عليه مع جماعة الإخوان المسلمين.

وقـال: إن مـا حـدث في مصر وضـع الإخوان في ورطـة ومأزق فلا يمكـن لأحـد أن يأويهم، وهـم يتطلعون مع إيران لتحقيـق هذا الهدف وسيدعمهم الأمريكان في ذلك، وبذلك ستكون إيران ـ لو تحقق لهم ما يريدون ـ رأس حربة في المنطقة لتحقيق مصلحة الإخوان.

وقال: نبلغكم الآن وبشـكل واضح أننا لسـنا مع هذه السياسة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هناك تسويات مع الإخوان.

وأضـاف: لا نُلزمكـم برأينـا، لكم مصالحكـم، ولكننـا نثق بصدق موقفكـم معنـا، نرجوكـم أن لا تثقـوا بأردوغان؛ فهو يريـد الآن غطاءً ودعمًا لتدخله في الشأن المصري، وإن قطر تسير معه في هذه السياسة.

هـم يريـدون أن تكون طهران في مواجهة سـافرة مـع القاهرة، وهو شيء لا نقبلـه ولا يمكـن لنـا الموافقـة عليه، حتـى لو فرضنا جـدلًا أنه سيعود بالخير الكبير علينا.

وقـال: نحـن الآن نرى أن مـا حدث في مـصر في 30 يونية هو بداية الخلاص مما يحدث في سوريا، إننا نثق بالقيادة المصرية الجديدة وندعمها

بكل قوة، ولا نريد لإيران أي دور سلبي في مصر؛ لأن ذلك سينعكس علينا و على حلفائنا في المنطقة سلبيًا.

إننا نعرف أن كل ما يهدف إليه أردوغان في هذه المرحلة هو إعادة الحوار والتواصل مع إيران أولًا وحركة حماس ثانيًا، ونحن موقفنا واضح ونهائي بالنسبة لحركة حماس، وأنتم على علم بموقفنا بعد أن زودناكم بالملف الكامل لدور حماس فيما حدث ويحدث في سوريا.

وقال: إن أردوغان يريد أن يكون القناة ما بين حماس وطهران بعد أن خسرت حماس حلفاءها القدامى (إيران ـ سوريا ـ حزب الله)، وإن احتضانكم لحماس في هذه المرحلة هو رسالة سيئة لمصر؛ لأنه يعني احتضانكم للمشروع التدميري للإخوان المسلمين في مصر.

وقال: إن مشروع الإخوان في المنطقة لم ينتهِ، وهم يراهنون على ثغرات هنا، وإن الأمريكان لم يسلموا حتى الآن بنهاية دور الإخوان، ولذلك فإننا نرى في سوريا أن الأمريكان سيكونون في غاية السرور غير المعلن تجاه أي علاقات جديدة ما بين الإخوان وطهران.

وقال: كانت وجهة نظرنا منذ البداية وقد أبلغناها لكم أننا ندفع ونؤيد أي اختراق إيراني بتحسين العلاقات مع دول الخليج وبالذات مع السعودية بالرغم من كل المواقف السعودية ضدنا سواء كانت بالمال أو الرجال أو السلاح، إلا أننا نرى أن السعودية يمكن التفاهم والتسوية معها، وهذا ما نتمنى على أصدقائنا الإيرانيين السير به، ولكننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نرى إمكانية تسوية مع تركيا وأردوغان.

فأردوغــان رجل مريض نفسـيًّا وهو يريد أن يدخـل ذاكرة الأتراك كأتاتـورك وغيره من الزعـماء الأتراك ولا يهمه أي شيء، سـواء دُمِّرت سـوريا أو دُمِّـرت مصر أو دُمِّرت السـعودية، فكل ذلـك لا يعنيه.. إنه يبحث عن مجد شخصي وعودة للخلافة.

هـذا هو موقفنا ونحن نتكلم ضمن المعسـكر الواحد، فأرجوكم ألَّا يخدعكم أردوغان وألَّا تلقوا له بطوق النجاة للخروج من أزمته.

■■■

لم يجـد أردوغان في زيارته لطهران يوم 29 يناير 2014 تجاوبًا مع ما نقله أوغلو لهم يوم 27 نوفمبر2013 ؛ حيث شـعر أن الجانب الإيراني ليـس على اسـتعداد للتجاوب معه فيما سـبق ذكره، ممـا أدى به إلى دعم المعارضة بشـكل مباشر لاجتياح بعض المناطق في شمال سوريا ومحاولة توسـيع رقعتها لتصل إلى مشـارف اللاذقية، فعقد عـدة اجتماعات بعد عودتـه من طهـران مع قادة المؤسسـة العسـكرية التركية، ويبـدو أن ما حصل في مشارف اللاذقية وفي منطقة «كسب» بالتحديد في هذا الوقت هو إحدى خطوات أردوغان لإظهار خطورة عدم التجاوب، في محاولة منه أيضًا لنقل الصراع الداخلي بعد التسريبات ضده بالفساد إلى الخارج.

أبلغ الروس السـوريين أن ما حـدث في اللاذقية كان مخططًا أمريكيًّا بتنفيـذ تركي وبتمويل قطري، كما أبلغوهم أيضًا أنهم مع سياسـة ضبط النفـس حتى تمرير موعد الانتخابات البلدية في تركيا، وبعدها سـيكون لروسـيا موقف حاسـم تجاه تركيا، ومن المؤكد أن تشـتد حدة المواجهة

في تلك المنطقة خلال الفترة المقبلة، خاصة أن الروس متذمرون للغاية من الموقف التركي في أوكرانيا الذي انكشف كاملًا للجانب الروسي.

بعد المعارك على مشارف «اللاذقية وكسب» أبلغ الإيرانيون الجانب السوري والروسي أن أردوغان قد حاول خداعهم، وأن موقف إيران سيكون عنيفًا تجاه تركيا، وقد أرسلت إيران حشودًا كبيرة للحدود مع تركيا تتكون من ثلاث فرق مجهزة تجهيزًا كاملًا.

وصل وفد عسكري إيراني كبير إلى سوريا يوم الجمعة 28 مارس 2014 لحق به وفد عسكري روسي آخر، والعنوان الشاغل الآن هو شمال سوريا وتلقين أردوغان درسًا لا ينساه.

كما أبلغ الإيرانيون حزب الله والسوريين أنهم عندما أبلغوهم بأن هناك تحوُّلًا بالموقف التركي كانوا يأملون أن يكون أردوغان صادقًا ولو لمرة واحدة، لكنه تبين لهم صحة موقف السوريين وحزب الله من أردوغان، وأن تقديراتهم (أي الإيرانيين) كانت خاطئة وذلك بعد تطورات الأحداث في الشمال السوري.

في هذا الوقت اتفق الروس والسوريون والإيرانيون ومعهم حزب الله على ضرورة سرعة الحسم العسكري كما حدث في منطقة القلمون ويبرود، فكل الأحاديث عن مفاوضات وحلول سياسية قد أصبح مجمدًا، وأن الوضع أصبح أكثر ملاءمة لإعادة السيطرة على الكثير من المواقع في سوريا.

وبالفعل، لقد اسـتطاعت سـوريا أن تحقق العديد مـن الانتصارات العسـكرية التي اسـتعادت بمقتضاها العديد من المناطق التي سيطرت عليهـا قوى المعارضة المدعومة من الولايـات المتحدة وتركيا وإسرائيل وقطر.

وأمـام هـذه الانتصارات بـدأ العديد مـن دول العـالم يراجع موقفه السـياسي من سـوريا، بما يؤكد على وحـدة شـعبها وأراضيها واحترام اختيارات الشعب السوري.

لم تقبل تركيا بهذه التحولات الخطيرة، وأدركت أن اسـتمرار الأسد في الحكم واستمرار النجاحات التي يحققها الجيش العربي السوري على الأرض سـوف يشـكِّل خطرًا كبيرًا على أمنها واسـتقرارها، خاصة مع حدوث قلاقل وتظاهرات عديدة ضد حكومة أردوغان في هذا الوقت.

وفي هـذا التقـت الإرادة الأمريكية ـ التركيـة ـ الإسرائيلية ـ القطرية لدعم تنظيم «داعش» الذي يمكن أن يمثل القوة الفاعلة على الساحتين العراقية والسـورية، وبما يمكِّن من إقامة دولة للسـنة تزحف للاستيلاء على الأراضي السورية؛ لبدء مخطط التقسيم على الأرض السورية.

كانت الخطة تمضي إلى الأمام في سرية كاملة، ولم يكن فقط الهدف هو إسـقاط النظام السـوري، بل راحت تركيا تضع مخططًـا كاملًا للمنطقة بالتعاون مع أمريكا وإسرائيل وقطر.

■■■

في الرابع من أكتوبر 2014 زار صالح مسلم ـ زعيم حزب الاتحاد الديمقراطي الوطني الكردي ـ أنقرة، حيث التقى في أثنائها بعدد من المسئولين الأتراك بهدف بحث التطورات الخطيرة التي كانت تشهدها مدينة «عين العرب» كوباني.

ويُعَدُّ صالح مسلم من الشخصيات المقربة إلى النظام السوري وله نفوذ واسع وقوي في المناطق السورية المحاذية لتركيا.

لقد أبلغ المسئولون الأتراك صالح مسلم خلال اللقاء بأن تركيا لا يمكن لها أن تتدخل أو تعمل على وقف هجمات داعش في «عين العرب»، إلا إذا فك الأكراد تحالفهم مع النظام السوري وشاركوا في الحرب لإسقاط النظام وتخلوا عن الحكم الذاتي، وإن لم يفعلوا ذلك فسيواجهون حرب إبادة من داعش!!

كان الطرح التركي صادمًا لزعيم حزب الاتحاد الوطني الكردي، حتى وإن كان يعرف أن ما تقوم به «داعش» في المناطق الكردية لا يتم إلا بتغطية واضحة من الحكومة التركية، غير أن المفاجأة كانت في تبني تركيا لهذا الطرح المباشر وإبلاغه للمسئول الكردي دون لف أو دوران.

لقد تمسك صالح مسلم في هذا اللقاء بموقف حزبه الموالي لسوريا وللدولة السورية، وقال إن حزبه والأكراد جميعًا هم جزء من سوريا، وضد الإرهاب، وهم يتصدون لهذا العدوان الذي يستهدف وحدة سوريا أساسًا.

وأبلغ مسلم المسئولين الأتراك بأن تبني تركيا لهذه السياسة إنما يضع بذلك حاجزًا قويًّا أمام أي تفاهم مع الأكراد، سواء في تركيا أو غيرها، ورفض عقد أي صفقة مع الأتراك على حساب سوريا ووحدتها.

كانت هذه النقطة كاشفة بالنسبة لحلفاء سوريا الذين أدركوا حقيقة الدور التركي في دعم «داعش» وموافقة الأمريكيين على هذا الدور، فتركيا التي رفضت أن تكون طرفًا في التحالف الدولي لمواجهة داعش خلال اجتماع جدة في 11 سبتمبر 2014، تقدمت الآن بخطة جديدة لهذا التحالف بأن تكون هي رأس الحربة، ولكن بشرط إسقاط النظام السوري، وتقسيم سوريا والعراق بين الأطراف المختلفة، بحيث يكون لتركيا نصيب الأسد.

لقد وجدت تركيا الفرصة سانحة لتحقيق أهدافها في المنطقة مستغلة الأزمة التي تمر بها، وقد اعتقد أردوغان ـ وتحديدًا بعد الانتخابات الأخيرة التي فاز فيها ـ أنه قد أصبح بإمكانه فرض شروطه على التحالف الدولي و على الولايات المتحدة، فشروطه ومطامعه في سوريا والمنطقة لم تتغير.

وقد اعتقد «أردوغان» أن «داعش» والمنظمات الإرهابية الأخرى مثل جبهة النصرة وغيرها لا تمثل عقبة أمام تنفيذ مشروعه، وأنه قادر ـ بعد تحقيق أولويته في هذه المرحلة والمتمثلة في إسقاط النظام السوري ـ على محاصرة هذه التنظيمات وتصفيتها.

وقـد أكـد «أردوغـان» للمقربين منـه أكثر مـن مـرة أن بإمكانه وفي هـذه الظروف تحديدًا إجبـار الأمريكان على التجـاوب مع رغباته بعد أن هيـأ لهـذه الخطة في أوربا، وبعـد أن قدَّم الكثير من المغريات لفرنسـا التي وعدها بأنه سـيكون لها دور أسـاسي في اسـتخراج الغاز السـوري الموجود في «الحسـكة والرقة ودير الزور»، وأن هذا المخزون الكبير من الغاز السوري سيعوض الغاز الروسي وهو أكثر جودة منه.

ويبـدو أن الفرنسـيين والأوربيـين باتـوا مقتنعين أيضًا بـأن الوضع الراهـن يمثـل فرصة تاريخية لهـم للتحرر مما يسـمونه بالابتزاز الروسي فيـما يتعلق بالغاز، لذلك كان الفرنسـيون هـم الأسرع تجاوبًا مع الخطة والمسعى التركي بإقامة المنطقة العازلة داخل الأراضي السورية.

لقـد اتفق الأتراك والفرنسـيون على تفاصيل هـذه الخطة، وقد أبلغ الفرنسـيون الأتـراك بأنه في النهاية عليهـم إقناع الأمريـكان بها، وأنهم «الفرنسـيون» قـد قطعوا شـوطًا مهمًّا في هـذا الاتجاه، ويبقـى المطلوب من الجانـب التركي إقناع الأمريكان بتفاصيـل الخطة من خلال اللجنة العسكرية الأمنية التركية.

ولم يقتـصر دور تركيـا في التحـرك على أوربا، بل إنـه مع بدء الأزمة الأوكرانيـة واحتدام الصراع الروسي ـ الأمريكي بشـأن الوضع هناك، نقل أردوغان مقترحًا أمريكيًّا لإيران مفاده «أنه لا مانع لدى واشنطن من أن تأخذ إيران دورًا مهمًّا في تصدير الغاز إلى أوربا بعد إنجاح المباحثات

النووية ورفع العقوبات وذلك من أجل تطويق روسـيا بالاسـتغناء عن غازهـا المرسـل إلى أوربـا، مع وعد آخر بـأن يكون لإيـران دورٌ رئيسيٌّ ومهم في الإشراف وتصدير الغاز السوري الواعد إلى أوربا».

وقـد رفضـت إيـران في ذاك الوقت، هـذا العرض وأبلغت روسـيا بمضمونـه، وحذرت من أن تركيا تقوم الآن بدور العرَّاب للسياسـات الأمريكية المناهضة لأي دور روسي في المنطقة.

وعندمـا علـم حلفاء سـوريا بمضمـون المحادثات التـي جرت بين المسـئولين الأتراك وزعيم حزب الاتحاد الديمقراطي الوطني الكردي، جزموا بأن كل ما جرى في المرحلة السـابقة في تشـكيل التحالف الدولي ليس إلا خطوة سـتعقبها خطوات أخـرى تصعيدية وتراكمية تهدف في النهاية إلى إسقاط النظام السوري وتدمير وحدة سوريا.

وفي ضوء ذلك تم عقد لقاء مهم وطارئ في طهران خلال الأسـبوع الأول من شـهر أكتوبر 2014 ، شـارك فيه مسـئولون إيرانيون وروس وسـوريون، ناقشـوا خلاله كافة الخطط لمواجهة ما يُعد للمنطقة، ورأوا أن الـدور التركي مخطط لـه أمريكيًا، وأن ما يتـم الآن يأتي ضمن اتفاق خفـي أمريكـي ـ تركي، وأن مـا تلح عليـه تركيا بإقامة المنطقـة العازلة متفق عليه مع الأمريكان أيضًا، ولكن الخلاف هو على التوقيت.

لقـد أدرك المشـاركون في هـذا اللقاء أن خطـة أمريـكا وحلفائها في إسقاط النظام السوري هي خطة جادة، بغض النظر عن توزيع الأدوار بين الأطراف المعنية.

ولذلك استنفر الإيرانيون بعد هذا الاجتماع المشترك بشكل سريع وأدركوا أن أردوغان ما زال يمارس معهم الخديعة، ولو كانوا في السابق لسعوا إلى تمثيل دور الغباء أمامه من خلال تصديقهم لدعاويه، إلا أنهم في هذه المرة اتخذوا قرارًا بأن يكشفوا لأردوغان عن كافة ألاعيبه، التي أصبحت مفضوحة ومكشوفة لهم. كانت بداية هذه المواجهة بعد أن طلب «أردوعان» زيارة طهران على وجه السرعة ولقاء المرشد «آية الله خامنئي» والرئيس «روحاني» حتى يضعهما في صورة الخطة التركية وأهدافها من وراء المنطقة العازلة، بزعم حماية الأمن الداخلي التركي، وليس مواجهة وإسقاط النظام السوري، بزعم أن قواته لا تستطيع أن تخوض حربًا برية في مواجهة داعش في سوريا دون أن تكون هناك منطقة عازلة داخل الأراضي السورية، يتم من خلالها صد الهجمات الارتدادية من داعش وجبهة النصرة وأيضًا الأكراد داخل العمق التركي.

وبعد أن وصلت مبررات الزيارة للجهات الإيرانية، أبلغ الإيرانيون الأتراك بوقف الاستعدادات لزيارة «أردوغان» وإلغاء فكرة هذه الزيارة من الأساس.

وفي ضوء ذلك، عقد مجلس الأمن القومي الإيراني جلسة طارئة شارك فيها الإمام «خامنئي» رغم مرضه و«علي لارجاني» رئيس مجلس الشورى، وعلى أثر هذا الاجتماع والمناقشات التي جرت فيه تم استدعاء السفير التركي إلى وزارة الخارجية الإيرانية، حيث التقى موظفًا في الخارجية ـ ليس ذا شأن ـ (في خرق للبروتوكول الدبلوماسي)

وتم تسليم رسالة واضحة وصريحة وشديدة اللهجة من إيران إلى تركيا.

لقـد تضمنـت هذه الرسـالة رفضًـا صريحًـا للمخططـات التركية ـ الأمريكية ـ الغربية التي تسـتهدف إسـقاط النظام السـوري، وحذَّرت من خطورة السعي نحو إقامة منطقة عازلة على الحدود.

لقـد حملت الرسـالة تهديـدًا جديًّا لتركيـا من قِبل إيـران، وتضمنت الرسـالة عبارة نصها التالي: «إذا كان السـيد أردوغـان يعتقد أنه في قمة الذكاء لاسـتغباء الجمهورية الإسلامية فهو واهم، فموقف إيران الذي تماشـى مع الأتراك في بعض الأمور كان من أجـل التعرف على النوايا، لكننا منذ اللحظة الأولى كنا ندرك ألاعيب وأهداف تركيا».

وأبلغت إيران تركيا في هذه الرسـالة بأن دخول تركيا لأي سـنتيمتر واحـد داخل الأراضي السـورية هو بمثابـة احتلال، وأن إيـران ملزمة ضمن اتفاقية الدفاع المشـترك بينها وبين سـوريا بالـرد المباشر والسريع على هذا العدوان.

وفي اليوم التالي لتسـليم هذه الرسـالة للسفير التركي، طلب خامنئي من حسـين أمير عبداللهيان مسـاعد وزير الخارجية الإيـراني الاتصال بوزيـر الخارجيـة التركـي «أوغلو» وإبلاغـه بمضمون الرسـالة الأولى وبلغة أكثر جدية.

وبالفعـل اتصـل «عبداللهيـان» بأوغلـو – وهـي مكالمـة خـارج البروتوكول – وأبلغه «أن رد إيران سيكون سريعًا وحاسمًا إذا ما أقدمت

تركيا على اختراق الأراضي السورية، وأن أراضي تركيا وقواتها ستكون أهدافًا مشروعة للإيرانيين».

لقد جرى الاتفاق خلال الاجتماع الروسي - الإيراني - السوري الذي عقد في طهران خلال الأسبوع الأول من شهر أكتوبر على عدد من التوصيات المهمة، أبرزها:

- تقديم كل الدعم لسوريا وجيشها وتحصين اقتصادها.
- أن تقوم روسيا على الفور بإرسال صفقة أسلحة استراتيجية للجيش السوري مع خبراء روس للتدريب على هذه الأسلحة.
- مواصلة التدريب لعشرات الألوف من السوريين المنتشرين في إيران وسوريا ولبنان على المهام القتالية في حرب العصابات لمواجهة التنظيمات الإرهابية والعمل خلف خطوطها الدفاعية.

لقد سبق أن نفذ الجيش الثوري وحزب الله والحرس الثوري الإيراني أكبر عملية خلف خطوط داعش في دير الزور أدت إلى تدمير جسر استراتيجي يربط قراها بعضها ببعض يوم 15 سبتمبر 2014، وكان لهذه العملية دور كبير في إرباك وتشتيت قوات داعش هناك، مما مكَّن هذه القوات الموجودة على الأرض من تصفية مجموعات كبيرة من عناصر «داعش» كانت منتشرة بين قري دير الزور وهضابها وتلالها، وقد كان لهذه الضربة نتائج مهمة واستراتيجية فاقت في أثرها وقوتها كل ضربات التحالف الدولي.

.. وقد جاءت الرسالة الأكثر قوة من قِبل حلفاء سوريا ضد أمريكا وقوى التحالف الدولي مـن البوابة اليمنية، حيث أصبحت بوابة البحر الأحمـر الجنوبية تقريبًا تحت السـيطرة الإيرانية كاملـة، من ناحية مضيق باب المندب وأيضًا من ناحية مضيق «هرمز».

وقد أرادت إيران من وراء ذلك أن تبلغ الغرب والتحالف «بأنه إذا كنتم تريدون الذهاب في المواجهة إلى آخرها فنحن جاهزون لذلك».

- لقـد جرى الاتفاق خلال هذا الاجتـماع على ضرب القوات التركية ومـن معها في حال دخولها الأراضي السـورية بصواريخ بعيدة المدى من قِبل الإيرانيين والروس والسوريين.

- وقـد هـدد الإيرانيـون الأتراك بشـكل واضـح وصريح باسـتخدام الورقـة الكردية وكذلك ورقة العلويين وأحـزاب المعارضة في تركيا مهما كانت النتائج.

- وقـد أبلغ الروس والإيرانيون والسـوريون الحكومة المصرية رسـالة موجهـة إلى دول الخليـج، بأنـه في حـال مشـاركة دول الخليج في أي عدوان على سـوريا من خلال مشروع المنطقة العازلة فسـتكون دول الخليـج منذ تلك اللحظة معرَّضة لبدء اضطرابات داخلية سـتتوسـع وتنتشر ليصبح الخليج في قلب الحدث.

وأبلغـت الحكومـة الروسـية مصر معلومـات تفيد بـأن هناك خطة تركيـة - قطريـة تم البـدء بتنفيذها، مضمونها أنه بعـد الضربات الجوية لبعـض مواقع داعـش، تقوم تركيـا وقطر حاليًّا بتسـفير عناصر داعش

الذيـن هربوا من داخل الأراضي السـورية إلى ليبيـا عبر تركيا لإدخالهم بعد ذلك إلى الأراضي المصرية.

وبـدوره أبلـغ الجانب المصري المسئولين الروس بـأن مصر أجرت اتصالات مع دول الخليج حذرتها من مخاطر المشروع التركي في سوريا، وأبلغت مصر دول الخليج بأنها تعتبر أي عدوان تركي على سـوريا هو اعتداء على العرب جميعًا، وسيكون لمصر موقف من هذا العدوان الذي يستهدف احتلال أراضٍ سورية.

أمـا عن «إسرائيـل» فهي طرف حاضر في كل ما يجري، وتسـعى إلى اسـتغلال الأحداث في محاولة لإنشـاء منطقة عازلة في جنوب سـوريا، وتشـكيل جيـش سـوري لبناني شـبيه بجيـش (أنطوان لحـد) في منطقة الجولان وجبل الشيـخ وجبل جدعون، وعندما عُرض الأمر على وليد جنبـلاط (الزعيم الدرزي) رفض وتصـدى لمحاولة الزج بالدروز لأن يكونـوا طرفًا في هذا المـشروع وحذَّر بعض الضباط الدروز السـابقين مـن التـورط في ذلـك المخطـط، وقال لهـم إن إسرائيـل سـتضع طائفة «الموحديـن» الدرزية كلها في لبنان وسـوريا في مواجهـة العرب، وأكد أن خلافه مع النظام السوري لن يدفعه إلى أن يكون حليفًا لإسرائيل.

وهكـذا رويدًا رويدًا تتضح أبعاد المخطط الذي تشـارك فيه أطراف دوليـة وإقليمية عديدة بهدف إسـقاط الدولة السـورية، وإعادة صياغة الأوضاع الجيوسياسية في المنطقة بأسرها.

3- المنطقة العازلة والورقة الكردية

مضت الأيام ثقيلة على سكان مدينة عين العرب، انتظروا تدخل التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد التنظيم، الذي يفرض حصارًا على المدينة بدءًا من 16 سبتمبر2014 ، إلا أن ذلك لم يحرك ساكنًا، بل كان من نتيجته هروب أكثر من مائتي ألف من سكانها إلى منطقة الحدود التركية - السورية.

ومدينة «عين العرب» التابعة لمحافظة حلب في الشمال السوري تقع على بعد نحو ميل واحد من الحدود التركية ـ السورية، حيث تضم حولها نحو 365 قرية، نزح أغلب سكانها إلى مناطق الحدود..

لقد قيل منذ البداية إن مقاتلي التنظيم الإرهابي «داعش» استهدفوا هذه المدينة وقراها بهدف الاستيلاء على المنفذ الحدودي المهم مع تركيا؛ وذلك لمنع مقاتلي المعارضة الذين تدعمهم تركيا من تلقي المعونات اللوجستية، وبحيث تبقى «داعش» وحدها المسيطرة على المناطق التي تمكنت المعارضة السورية من الاستيلاء عليها في أوقات سابقة..

وهنـاك وجهة نظر أخرى تقول إن اتفاقًا جرى بين داعش وحكومة أردوغـان يقـضي بـترك «داعـش» تنفـذ مخططهـا للقضاء عـلى الأكراد وإخضاعهم لسيطرتها، خاصة بعد أن لاحت في الأفق مؤخرًا محاولات لإقامـة دولـة كردية على الحدود مع تركيا، يمكن أن تشـكل لها صداعًا مزمنًا نظرًا لأن غالبية الأكراد البالغ تعدادهم نحو 30 مليونًا موجودون داخل الأراضي التركية.

ومنذ بداية الهجوم على هذه المدينة التراثية التاريخية انطلقت المناشدات تحذر من خطورة مذبحة قادمة سـوف يدفع فيها سكان المدينة من الأكراد وغيرهـم ثمنًـا فادحًـا، إلا أن العالم التـزم الصمـت، دون أي تحرك قوي وفاعل يضع حدًّا لهذه الهجمة وعلامات الاستفهام المثارة حولها.

وفي الوقـت الذي حاصرت فيه قوات «داعش» المدينة، وتمكنت من السيطرة على نحو 40٪ منها بعد أن زحفت إلى شرق المدينة، وتقدمت نحوهـا مـن جهتـي الجنـوب والغـرب وصـولًا إلى وسـطها، لم يحـرك التحالف الدولي سـاكنًا، سـوى ضربات للطـيران متقطعة وغير مجدية، الأمر الذي لم يَحُلْ دون تقدم مقاتلي التنظيم.

لقـد أقـر البرلمان التركـي بأغلبية كبـيرة مشروع قـرار حكومي يجيز للجيـش تنفيـذ عمليـات عسـكرية ضـد تنظيـم «داعـش» في سـوريا والعراق، ويسـمح للتحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد هـذا التنظيـم باسـتخدام الأراضي التركيـة والقواعد العسـكرية في أي

عمليـات عسـكرية محتملة، وكان يمكـن أن يمثل ذلـك فرصة لتدخل القـوات التركيـة ضد محاولات «داعش» للسيطرة عـلى «عين العرب» وإنقاذ مئات الآلاف من سـكانها الأكـراد، إلا أن ذلك لم يحدث، وكأنه جاء ليزيد علامات الاستفهام تعقيدًا.

لقـد شـهد العديد من مدن جنـوب شرق تركيـا، «ماردين وشرناق وبطـمان» وغيرهـا مظاهـرات عارمـة نظمتهـا أحـزاب وقـوى كرديـة مطالبـة تركيا بالتدخل لإنقاذ الأكراد أو السـماح لهم بعبور الحدود، إلا أن قـوات الأمن التركية تصدت للمتظاهريـن وقتلت العشرات منهم، واسـتخدمت كل أسـاليب العنف والقوة لردعهم، كما أعلنت الحكومة حظر التجول في ست ولايات تركية شهدت هذه المظاهرات.

وعندما وجَّه حزب العمال الكردسـتاني الدعـوة إلى مقاتليه بالتوجه إلى مدينـة «عين العـرب» تحركت القوات التركية لتحـول دون وصول المقاتلين لإنقاذ المدينة المحاصَرة، مما دعا عبدالله أوجلان ـ زعيم الحزب والمسـجون في تركيا ـ إلى التهديد بإلغاء اتفاقية السلام بين حزب العمال الكردستاني والحكومة التركية .

إن الغريـب في الأمر أنـه ومع تقدم تنظيم «داعش» للاسـتيلاء على المزيـد مـن أراضي منطقة عين العرب «كوبـاني»، لم يكن هناك في المقابل رد عملي إقليمي أو دولي يُذكر لمواجهة محاولات التنظيم للاستيلاء على المدينة السورية التاريخية.

لقـد صرح وزيـر الخارجيـة الأمريكـي جـون كـيرى في 9 أكتوبـر 2014 بـأن تقـدُّم مسـلحي «تنظيـم الدولـة ـ داعـش» في بلـدة «عـين العرب» الحدودية السورية يمثل مأساة، لكنه لن يثني الولايات المتحدة وحلفاءها عن مواصلة استراتيجيتهم في المنطقة على الأمد الطويل.

وقـال كـيرى في تصريحـات صحفيـة في بوسـطن: «كوباني» مأسـاة لأنها تجسـد شرور «داعـش»، لكن ذلك لا علاقة له بالاسـتراتيجية أو الإجراءات الكاملة لما يحدث ردًّا على «داعش».

وقال كيري: «لم يبق أمامنا سوى بضعة أسابيع لبناء التحالف ومازال يجـري توزيـع المهـام، والهـدف الرئيس لهـذا المجهود هو إتاحـة المجال للعراق حتى تكتمـل حكومته ويبدأ الهجوم المضاد حتى يمكن حرمان مسلحي التنظيم من القيادة والسيطرة ومراكز الإمداد والتدريب، وهذا هو ما يجري».

وبـشَّر «كـيري» العـالم باحتمالية اسـتيلاء «داعـش» عـلى المزيد من الأراضي عندمـا قال «إن بلدات أخرى على الأرجح ضعيفة أمام تقدم تنظيم «داعـش»، بينما الجهود التي تقودها الولايـات المتحدة في المنطقة سوف تستغرق أسابيع وأشهرًا لتعمل»!!

وهكـذا كشـف كيري مجـددًا عـن أن التحالـف الدولي لن يسـتطيع التصـدي لوقف اسـتيلاء «داعش» على مدينة «عـين العرب» أو غيرها مـن المـدن؛ لأنـه يركز فقـط على حرمـان «داعش» مـن مراكـز القيادة

والسيطرة ومراكز الإمداد والتدريب.. متجاهلاً أن تغلغل «داعش» واحتلالها للمزيد من المدن والأراضي إنما يصعب من مهمة دحر هذا التنظيم، وهو ما يدفع إلى طرح المزيد من علامات الاستفهام حول أسباب نشأة هذا التحالف الدولي من الأساس!!

لقد سعت واشنطن إلى تحميل تركيا المسئولية الكاملة عن تردي الأوضاع في مدينة «عين العرب» السورية، ليس فقط لإبراء ساحتها أمام الرأي العام في الداخل والخارج، وإنما أيضًا بهدف إحراج أردوغان أمام الأكراد الذين راحت مدنهم وقراهم تسقط الواحدة تلو الأخرى بيد تنظيم «داعش»!!

لقد قالت «النيويورك تايمز»: إن البيت الأبيض يشعر بمزيد من الإحباط إزاء عدم تحرك تركيا للتصدى لتنظيم «داعش» ومنع مدينة «عين العرب» الواقعة على الحدود التركية ـ السورية من الوقوع في أيدي التنظيم الإرهابي.

ونقلت الصحيفة عن مسئول كبير بالإدارة الأمريكية انتقاداته للحكومة التركية بشأن تقاعسها عن منع وقوع مذبحة على بعد أقل من ميل واحد من حدودها، مضيفًا أنه على الرغم من اشتعال المأساة الإنسانية في سوريا لا يزال الأتراك يخترعون الأسباب لعدم التحرك لمنع وقوع مأساة إنسانية أخرى.

وقال مسئول أمريكي كبير لقناة «سي.إن.إن» الأمريكية يوم الأربعاء 8 أكتوبر 2014: إن مدينة عين العرب السورية «كوباني» التي تخوض قوات كردية فيها مواجهات قاسية منذ ثلاثة أسابيع، ستسقط في يد المهاجمين من عناصر «داعش»، ولكنه رأى أن ذلك لا يقلق أمريكا كثيرًا؛ لأن مهمتها في سوريا ليست حماية المدن والبلدات.

وقال المسئول الأمريكي لـ«سي.إن.إن»: «كوباني ستسقط بيد داعش، ولكن هذا ليس مصدر قلق كبير لأمريكا، رغم أن ذلك سيسمح للتنظيم بالسيطرة على كامل الأراضي الممتدة بين «عاصمة خلافة» التنظيم والحدود التركية التي تبعد عنها أكثر من مائة كيلومتر»!!

وذكر المسئول الأمريكي «إن هدف الولايات المتحدة من مواجهة التنظيم في سوريا ليس الحفاظ على المدن والبلدات من خطر الوقوع في قبضة المسلحين، بل القضاء على قادة التنظيم ومنشآته النفطية وبنيته التحتية، بما يشلُّ قدرته على العمل وخاصة في العراق».

لقد تساءل البعض عن الأسباب التي تحول دون تدخل تركيا المباشر لإنقاذ منطقة «عين العرب» رغم الضغوط التي قيل إن التحالف الدولي مارسها ضدها.

وهنا يمكن القول إن التحرك التركي، لا يستهدف إطلاقًا دخول الحرب ضد «داعش»، خاصة أن كثيرًا من المعلومات تكشف يومًا بعد يوم الدور الرئيس والمركزي للحكومة التركية في صناعة «داعش» لاستخدامها

لتحقيق أهداف مشتركة، بعضها متعلق بالمصالح التركية، والآخر مرتبط بالخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط.

لقد حددت تركيا استراتيجيتها في التدخل العسكري المباشر وفقًا للتفويض الممنوح لها من البرلمان بثلاثة شروط أساسية:

- الأول.. هو أن تتضمن حملة التحالف الدولي هدفًا رئيسيًّا وهو إسقاط النظام السوري جنبًا إلى جنب مع مواجهة التنظيمات الإرهابية، ولا تختلف واشنطن كثيرًا مع ضرورة أن تتضمن أهداف الحملة إسقاط نظام الأسد، حيث صرح وزير الخارجية الأمريكي جون كيري بأن «الحملة التي تخوضها الولايات المتحدة ضد تنظيم «داعش» المتطرف لا تسهم في بقاء الرئيس السوري بشار الأسد في الحكم».

وقال كيري في مقال نشرته صحيفة «بوسطن جلوب» في نهاية شهر سبتمبر 2014: «نحن لسنا في الجانب ذاته الذي يقف فيه الأسد، فهو في الواقع العامل الذي اجتذب مقاتلين أجانب من عشرات البلدان إلى سوريا قدموا للقتال مع تنظيم «داعش».

وكرر كيري القول «إن الرئيس الأسد فقد - منذ وقت طويل - كل شرعية للبقاء في الحكم، وهذا يعني باختصار أن الحملة العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة تستهدف أيضًا إسقاط نظام بشار الأسد أو دفعه إلى إقامة دويلة علوية تحت قيادته في منطقة «اللاذقية» على شاطئ البحر المتوسط».

- الـشرط الثـاني.. هـو إقامـة منطقة حظـر جوي في سـوريا، حيث طالبـت بهـا تركيا علانيـة، وقال رئيـس الـوزراء التركـي داود أوغلو: «لنفـترض أننـا قضينا على داعـش - وهذا أمر صعب، لكننا سـنفعله - ففي اليوم التالي سيشن النظام السوري غارات على حلب أو على غيرها من المدن، الأمر الذي سـيؤدي بكل تأكيد إلى أزمة إنسانية، لذلك يبقى مطلبنا هو فرض منطقة حظر جوي».

وقال: «نريد منطقة آمنة بجوار حدودنا، وإلا فإن هذا الحِمل سيظل معلقًا في عنق تركيا وغيرها من دول الجوار».

- أما الشرط الثالث.. فهو ما صرح به الرئيس التركي رجب طيب أردوغـان بالقول إنه بحث مع الرئيـس الأمريكي باراك أوباما وحلفاء من حلف شـمال الأطلـسي خلال قمة الحلف في مطلع سـبتمبر2014 إقامـة منطقـة عازلة على الحـدود مع سـوريا والعراق، وهـو أمر يمثل تطورًا خطيرًا يهدد الأمن القومي لكل من سوريا والعراق.

وقـد أثارت هذه التحـركات الغضب الروسي مجـددًا، حيث ذكرت وزارة الخارجية الروسية في بيان لها إن وزير الخارجية الروسي «لافروف» أبلـغ نظـيره الأمريكـي جـون كـيرى في اتصـال هاتفي بينهـما، ضرورة الالتزام التـام بلوائح الأمم المتحدة وأعـراف القانون الدولي والاحترام غير المشروط للسيادة السورية خلال إنجاز خطط التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة والذي يشمل استخدام القوة ضد مواقع «داعش».

وقـال البيـان: «إن (لافروف) بحـث مع كيري التحـركات الدولية لمحاربة تنظيم «داعش»، مشـددًا على ضرورة تنسيق هـذه التحركات من دون أي معايير مزدوجة».

وتهـدف تركيا من وراء المنطقـة العازلة إلى فرض حظر على الطيران السـوري بعمق 30 كيلومترًا، بزعم حماية اللاجئين الفارين من سوريا، وتدريب القوات البرية للمتمردين السـوريين الذين يلقون دعمًا تركيًّا ـ أمريكيًّا بهدف إسقاط النظام السوري.

في البدايـة أبدت واشـنطن حذرها تجـاه مطلب تركيـا بإقامة منطقة عازلـة عـلى الحدود مع سـوريا؛ إذ رأت أنه لا حاجـة الآن لهذه المنطقة العازلة، بينما رأت فرنسا ضرورة الموافقة على هذه المنطقة.

لقد عقدت الناطقة باسم وزارة الخارجية الأمريكية «جنيفر بساكي» يوم الخميس 9 أكتوبر مؤتمرًا ردت فيه على التساؤلات المطروحة حول أسباب عدم التدخل الدولي لإنقاذ مدينة عين العرب «كوباني» بالقول: «نحن لا نريد لأي دولة على الإطلاق أن تحل أزمة «عين العرب» أو أن تأخذ على عاتقها مهمة مواجهة تهديد «داعش» بمفردها»!

وأضافـت: «بالتأكيد لتركيـا دور يمكنها أن تقوم بـه، لكننا نريد أن نتحدث عن نواياهم وما يريدون فعله».

وقالـت: «إن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، لم تطلب مـن أي دولة أخرى أي شيء، ولم تقم بتوزيع مهام، ولكن لا شـك أن تركيا في وضع

يجعلها قادرة على المساهمة بشكل جيد للغاية في التحالف الدولي ذي المشاركة الواسعة، وذلك من خلال: التعاون العسكري، ووقف تمويل الإرهابيين، ومكافحة تدفق المحاربين الأجانب».

إذن تلك - فقط - هي المهام التي تحدثت عنها الناطقة باسم الخارجية الأمريكية في مواجهة زحف «داعش» على مدينة «عين العرب»، وهي كلها مهام لا توقف العدوان ولا سعي «داعش» للسيطرة على المدينة والقرى التابعة لها والبدء في تنفيذ مذبحة كبرى ضد سكانها وأغلبيتهم من الأكراد.

لقد أبدى كثير من المراقبين دهشتهم في هذا الوقت من موقف التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة ورفضه مواجهة زحف «داعش» لاحتلال «عين العرب»، وترك المدينة مُحاصَرة منذ 16 سبتمبر 2014، حيث لم يُرصد توجيه أي ضربات جادة أو محاولات حقيقية لإنهاء هذا الحصار أو الحيلولة دون سقوط «عين العرب».

وقد تجاهلت الولايات المتحدة - عن عمد - تحذيرات المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى سوريا «ستيفان دي ميستورا» من حدوث مذبحة بحق آلاف المدنيين حال وقوع مدينة عين العرب «كوباني» السورية المتاخمة لتركيا في يد مقاتلي «داعش».

لقد استطاع مقاتلو «داعش» الوصول إلى المربع الأمني في وسط المدينة من الجهة الشرقية وسيطروا عليه، حيث توجد في هذا المربع

أكثريـة الإدارات التابعـة لكانتون الإدارة الذاتيــة الكرديـة، وهـو أمر لا يخلو من دلالة.

إن أحدًا لا يستطيع أن يبرئ تركيا من مخطط «داعش» الذي استهدف إسـقاط هذه المنطقة التي تعج بالأكراد على الحدود السـورية ـ التركية، فالدولة التركية لا تُخفي عداءها مع حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي في سـوريا، صاحـب العلاقة الخاصة مـع حزب العمال الكردستاني في تركيا.

لقد خلَّفت الحرب بين الأكراد وتركيا أكثر من 40 ألف قتيل ويقدَّر عدد الأكراد داخل تركيا بما يقارب خُمس السكان، وإذا ما نجح الأكراد في بناء دولة مستقلة لهم، كما كان معلنًا في الفترة الماضية، فهذا يعني أن تركيا سـوف تكون أمام حرب لا تنتهي ومطالب كردية لن تتوقف عند حد معين.

وإذا كانـت تركيـا ترتبـط بعلاقات تجاريـة وثيقة مع أكـراد العراق، فـإن الموقـف على العكـس تمامًا مع أكراد سـوريا؛ حيـث يرفع الأكراد في المناطق السـورية علم حزب العمال الكردستاني الذي يتزعمه عبدالله أوجلان الذي يمضي عقوبة السجن المؤبد داخل السجون التركية.

إن تركيـا هـي الدولـة الوحيدة من بـين دول التحالف الـدولي التي تمتلك حدودًا مع المناطق التي يسيطر عليها تنظيم «داعش»، ومع ذلك لم تسـتطع حتـى الآن أن تـؤدي دورًا فعـالًا في هذه الحـرب، خاصة أن

المناطـق الحدوديـة بين تركيا وإسرائيل تمتد لأكثـر من 820 كم، غير أن هاجس تركيا الدائم والمستمر هو أن غالبية هذه المناطق الحدودية واقعة تحـت سـيطرة الأكراد وقـوات حماية الشـعب الكردي وحـزب الاتحاد الوطني الكردي.

لقـد كان الهـم الأسـاسي لتركيا في ملـف التحالف الـدولي هو إقامة المنطقة العازلة وهو أمر بقدر ما هو موجَّه ضد سوريا، فهو أيضًا موجَّه ضد الأكراد السـوريين الموجودين على الحدود بين البلدين، ويومًا عن يوم تتكشـف الحقائق لتؤكد أن مشروع المنطقة العازلة الذي تسعى إليه تركيا سـوف يسهل من مهمة الأجهزة السورية في حصار وغزو المناطق الكردية بهدف إسقاط طموح الأكراد وإنهاء مشروع الحكم الذاتي الذي ترسَّخ على أرض الواقع.

لقـد حققت الحكومة التركية انتصارًا مهـمًّا في الفترة الماضية في إطار تحقيق السـلام مع حـزب العمال الكردسـتاني، ووقعـت اتفاقية بذلك، غـير أن تركيـا رصدت حـدوث حالة مـن الانفتاح والتواصـل الغربي والإسرائيلي مع الأكراد، بما يمثل خطرًا على الأمن القومي التركي.

وأمـام حالـة القلـق التي اعـترت الحكومـة التركيـة من جـراء هذا الانفتـاح الغربي على حزب العمال الكردسـتاني، كان طبيعيًّا أن تسـعى تركيـا إلى توظيف «داعش» لخدمة اسـتراتيجيتها في تحجيم الطموحات الكردية وإضعاف المقاتلين الأكراد.

لقـد رفضَـت تركيـا التدخـل في مواجهـة «داعـش» لوقـف زحفها لاحتلال عين العرب «كوباني»، بل شاركت في حصار الفارين وأوقفت زحف المقاتلين، ومنعت الأسـلحة عن المحاصَرين، وذلك لأن سقوط «كوباني» سـوف يؤدي إلى اختراق المنطقة التركيـة لتحقيق هدف تركيا في إقامة المنطقة العازلة وكذلك فصل شرق المنطقة الكردية عن غربها.

لقـد كشـف استطلاع الرأي الـذي أجرته شركـة «غيـزي» التركية لاسـتطلاعات الرأي في شهر أكتوبر 2014 على 3300 مواطن في 36 محافظـة تركية عـن أن 55٪ من العينـة قالوا إن الحكومـة التركية تدعم «داعش» وتسـهل عمله على أرضها. كما كشف الاستطلاع عن تراجع دعم الشـارع التركي لعملية الحل السـلمي للقضيـة الكردية مع حزب العمال الكردسـتاني، إذ قال 72٪ إنهم يرفضون المفاوضات الجارية بين رئيس الاسـتخبارات التركية وزعيم حزب العمال الكردسـتاني عبدالله أوجـلان، كما أعرب 85٪ عن اعتقادهم بأن الحزب الكردسـتاني يخدع الحكومة ولا نية لديه لترك السلاح.

إن تركيا تدرك جيدًا أن المشـهد الراهن في الشمال السوري، وتحديدًا في المنطقـة الواقعـة عـلى بعـد نحـو 160 كيلو مـترًا من مدينـة حلب، والمحاذية للحدود التركية، سوف يضع المنطقة أمام أحد خيارين:

- إما توافق دولي إقليمي لإقامة منطقة عازلة في شمال سوريا.
- وإما أن ينتهي الأمر بإقامة منطقة كردية مسـتقلة على غرار كردسـتان العراق.

وإذا كانـت الأهداف التركيـة قد تلاقت مع أهداف «داعش» في ضرورة القضـاء عـلى المشروع الكـردي بإقامة حكم ذاتي يكون مقدمـة لإقامة دولة مسـتقلة من زاويـة أنه يتعارض مع مشروع الخلافة الإسـلامية الـذي تتبناه «داعـش» ويتعـارض أيضًا مع الأمـن القومي التركي، هنا تكـون المصلحة مشـتركة في القضـاء على قـوات حماية الشـعب الكـردي، وفي نفس الوقت إخضاع المنطقة لسيطرة القوتين الأساسيتين في هذه المنطقة: تركيا و«داعش».

لقـد كان الوضـع مختلفًا عندما سـعى مقاتلو «داعش» إلى السـيطرة على مدينـة «أربيل» الكردية في العراق، حيـث تحركت قوات التحالف الدولي على الفور وأرغمتها على الانسحاب والتراجع، وهو عكس ما يحدث في «كوباني».

وإذا كان هذا الأمر يدعو إلى الدهشة، إلا أن إدريس نعسان ـ مساعد وزير خارجية مقاطعة «كوباني» في الإدارة الذاتية ـ يوضح أسـباب هذا الموقـف بالقول: «إن ما يتم الآن في «كوبـاني» يتم بغطاء دولي فطائرات التحالـف تراقـب تقدم «داعـش» مـن دون أي ردة فعـل حقيقية، بينما على العكس من ذلك في كردسـتان العراق، ذلك أن حكومة كردسـتان العراق مرتبطة بالرغبات والأطماع الدولية وتعمل بالتعاون مع الغرب على تحقيق مصالحه، لذلك تحرك لإنقاذ الإقليم الكردي الغني بالنفط».

ويقول المسئول الكردي: أما هنا في «كوباني» فالوضع مختلف، نحن مسـتقلون بإرادتنا وندافع عن خيارنا وقرارنـا، وهذا يتنافى مع مصالح

الغرب الذي يدَّعي أنه يعمل على حماية الوجود الإنساني. إننا نشكل عقبة في وجه مصالحهم، لذلك قاموا بتسليم المعارك للإدارة الأمريكية التي قدَّمت كل الدعم لـ«داعش».

ورصد المسئول الكردي أسباب الحشود العسكرية التركية على الحدود مع «كوباني» بالقول: «إنها مؤشر لعمل عسكري بري قد تقوم به القوات التركية في الأراضي السورية الكردية»، مشددًا على أن هذه الخطوة جاءت بعد فشل «داعش» في التقدم وتمكن القوات الكردية من التصدى لها، ومؤكدًا في الوقت ذاته أن القوات الكردية ترى في أي تدخل بري عدوانًا واحتلالاً للأرض التي ستدافع عنها، وقال: «إن ما يحصل في «كوباني» في الوقت الحالي هو ضريبة الاستقلال في الرأي وعدم الانخراط في مشاريع الغرب».

وهكذا تتضح خيوط المؤامرة بين تركيا و«داعش» والولايات المتحدة، ويبدو أن الاتفاق يقضي بترك «داعش» تفرض سيطرتها وهيمنتها على «كوباني»، فهذا في حد ذاته سيحقق العديد من الأهداف التي تسعى إليها تركيا ولا تمانعها أمريكا في ذلك.

من هنا يتضح أن الورقة «الكردية» في هذا الملف كانت ضرورية وأساسية ومهمة، ليس فقط لأنها ستحقق لتركيا أهدافها في هذا الملف، وإنما أيضًا لأنها سوف تساعد على تنفيذ مخطط إسقاط الأسد وتقسيم الدولة السورية!

4- الحنين التركي إلى الموصل

عندما انضمت تركيا إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى التي اندلعت عام1914 ، وبعد انتصار الحلفاء، بدأت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا، وهي القوى المنتصرة في الحرب، في تقسيم تركة الدولة العثمانية، حيث تم الاتفاق على أن تكون القسطنطينية والجزء الأوربي من تركيا وبعض الجزر الأخرى في بحر إيجة أو الساحل الآسيوي من مضيق البوسفور من نصيب روسيا.

أما بريطانيا وفرنسا فقد جرى الاتفاق بينهما على تقسيم الشرق الأوسط في إطار اتفاقية سايكس ـ بيكو التي جرى توقيعها عام1916 ، ولم يُكشف النقاب عنها إلا عام1917 .

لقد أصبحت سوريا الساحلية من الإسكندرونة حتى رأس النافورة بمقتضى هذه الاتفاقية من نصيب فرنسا، بينما أصبح جزء كبير من العراق يمتد من البصرة إلى بغداد وأيضًا ميناءَيْ حيفا وعكا من نصيب بريطانيا.

أما المنطقة الثالثة وهي تشـمل ما تبقى من فلسطين فتم الاتفاق على أن تقـام فيـه إدارة دوليـة، والمنطقة الرابعـة تتألف من سـوريا الداخلية وولايـة الموصل، أما المنطقة الخامسـة والأخيرة فقد ضمت ما تبقى من العراق، وتم الاتفاق على أن تقام في هاتين المنطقتين دولة عربية أو اتحاد دول عربية تدعمه فرنسا وبريطانيا.

وبعـد هزيمة تركيا، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام 1918، تـم الاتفاق عـلى تنفيذ بنود اتفاقية «سـايكس ـ بيكـو»، وبدأت قوات بريطانيـا وفرنسـا تحتـلان المناطـق المقسـمة بينهـما، كـما فـرض الحلفاء المنتـصرون ما سُـمِّي باتفاقيات «الإذعـان» على الـدول المهزومة ومن بينها تركيا، والتي عقدوا معها اتفاقية «سيجر» عام 1920.

وبمقتضى هذه الاتفاقية أقرّت تركيا بتنازلها عن الشعوب غير التركية التي كانت تحتلها وتحكمها، ومن بينها سوريا وفلسطين والعراق.

وبعد أن اكتشـفت إحدى الـشركات البريطانية وجود كميات هائلة مـن النفـط في منطقة كركـوك التابعـة لولاية الموصل، قـررت الحكومة البريطانيـة الاسـتيلاء عـلى هذه المنطقـة، بالرغم من أنهـا وفقًا للاتفاق الموقـع سـابقًا عـام 1916 تُعَدُّ مـن ضمن الدولـة العربيـة التي تخضع للإشراف الفرنسي.

لم يكن أمام فرنسا من خيار آخر، فبعد تفاهمات جرت مع بريطانيا، اسـتولت بريطانيـا على هـذه المنطقة وبعثـت بجيوشـها لاحتلال هذه

المنطقـة، وعندما احتجّت تركيا على ذلك، وطالبت بضم الموصل إليها بزعم أن غالبية سـكانها مـن الأتراك، تمَّ رفع الأمـر إلى «عصبة الأمم» التي كلفت لجنة دولية بالتحقيق في هذا الملف.

وبعـد عدة زيارات ولقاءات قدمت اللجنة تقريرها إلى عصبة الأمم والـذي أوصت فيـه ببقاء الموصل مـع العراق شرط بقـاء العراق تحت الانتداب البريطاني مدة 25 سنة ومنح إحدى الشركات البريطانية حق الاستثمار النفطي في كركوك.

اضطـرت تركيـا إلى الخضـوع لتوصيـات اللجنة المكلفـة من عصبة الأمـم، وأقرت بالوضع الجديد بعد حصولها على ضمانات من بريطانيا بعدم إقامة دولة كردسـتان على الحدود التركية؛ لأن ذلك سـيؤثر على الأمن القومي للبلاد نظرًا لوجود غالبية الأكراد داخل الحدود التركية.

وفي هـذا الوقـت قامـت اللجنـة الدوليـة برسـم الحدود بـين تركيا والعـراق عـام1926 ، في إطار الخـط الفاصل بـين الاحتلالين التركي والبريطـاني، كما جرى رسـم الحدود في مناطق أخرى، ممـا أدى إلى قيام دولـة والسـيطرة على مناطق أخرى بين فرنسـا وبريطانيـا ومنح اليهود وعدًا لإقامة وطن قومي في فلسطين في 2 نوفمبر1917.

لقد تعرض الباحث والكاتب «سـكوت أندرسون» المراسل الحربي الـذي سـبق له العمل في لبنـان وإسرائيل ومصر ومناطـق أخرى، وهو مؤلـف عـدة كتـب مـن بينهـا «لورانـس العـرب» إلى هـذه الأحداث

بالقول: «ربما يبدو تركيز العالم الآن منصبًّا على الانقسـامات في العراق بين الشـيعة والسـنة والأكراد، ولكـن نفس البلقنة حدثـت في ليبيا بعد ما سُـمِّي بالربيع العربي، حيث انقسمت ليبيا إلى ثلاث دويلات بحكم الأمر الواقع».

وقـال «أندرسـون» في مقـال نـشره موقـع شـبكة «سي.إن.إن»: «في حكم المؤكد أن تكون سوريا هي المقبلة على نفس اللائحة، فقد قسمت الحرب الأهلية الوحشية الأمة في سوريا إلى أجزاء تسيطر على عدد منها الحكومـة، والمعارضة المسـلحة على أجزاء أخـرى، وهناك الآن حديث خافت داخل أوساط نظام بشار الأسد، حول الانزواء بغرب سوريا ذي الحضور القوي من قِبل العلويين من أجل تسهيل الدفاع عن مناطقهم».

ويطرح «أندرسون» السؤال: لكن كيف وصلنا إلى ذلك؟!، ويجيب في مقاله بالقول: «للإجابة على ذلك سـيكون أمـرًا جيدًا أن نلقي نظرة عـلى خريطة المنطقـة أثناء الإمبراطورية العثمانية، فللحفاظ على السـلم والتنوع الرائع في المناطق التي تتبعها، لجأ السـلاطين العثمانيون إلى نظام ذكـي جدًّا، اسـمه «النظام الملي» الذي يُلزم تلـك المناطق بالولاء للباب العالي ودفع الضرائب مقابل أن تحافظ تلك المناطق على حكم نفسـها، وهي التي تمتاز بتنوع أعراقها وطوائفها».

وقـال: «رغـم أن «النظـام المـلي» كان تقريبًـا مثاليًّا مـن حيث عدم احتوائه على بذور المشـاكل، فإنه شـكَّل حجر الزاوية تقريبًا في ضعف

الإمبراطورية العثمانية حتى أصبح يطلق عليها «الرجل المريض»، وانتهى أمر تلك الإمبراطورية عام 1914، عندما انضمت إلى ألمانيا والحلف النمساوي ـ المجري أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث اعتبرت كل من فرنسا وبريطانيا بسبب ذلك الإمبراطورية العثمانية «الغنيمة الأكبر» لا سيما أنها تُعَدُّ أكبر تحدٍّ أمام سيطرة أوربا ومد سطوة الاستغلال الاقتصادي».

وقال «أندرسون»: «ولكن قبل ذلك كان يتعين على فرنسا وبريطانيا أن تفوزا بالحرب، لكنهما عانتا ضعفًا استمر. وفي حركة يائسة، توصلت بريطانيا إلى اتفاق مع الشريف حسين بن علي، على إطلاق ثورة عربية ضد الأتراك، ومقابل ذلك مُنح وعدًا بأن تُمنح كل الدول العربية الاستقلال».

وقال «أندرسون»: «إن بريطانيا لم تنفذ وعدها بسرعة ودخلت في مفاوضات مع فرنسا انتهت باتفاقية «سايكس ـ بيكو»، التي كانت تقليصًا لمساحة المنطقة الموعودة بالاستقلال».

ويقول «أندرسون»: «خلال ربع قرن من تغطيتي الحروب ومناطق النزاع في مختلف أنحاء العالم، أيقنت أن حركات التمرد والاحتجاجات، أينما كانت في العالم، تعبر عن مطالبها بشأن ما ترغب فيه من قضايا، لكن في الشرق الأوسط، ويالَلمفارقة، يبدو الأمر تقريبًا في مجمله يتعلق بالتعبير عمَّا يرفضه الشارع العربي وليس ما يرغب فيه».

وقـال: «نتيجة لذلك، على ما أعتقد، يحدث فراغ بمجرد إزالة الوضع الراهـن، وبدلًا من ذلك، يقوم الشـارع العربي بتعبئة ذلـك الفراغ بتركيز الأنظار على الأمور التي كانت تسبق سبب غضبه، معتقداتهم وعشائرهم. وفي الوقت الذي يبدو الوضع أقل سوءًا في الدول التي تتمتع بهوية قومية قوية مثل مصر، فهناك يتسـبب عدم التوصل إلى توافق فقط في خنق ثورة الشعب، فإن الأمر مختلف تمامًا في أمة «مركبة» مثل العراق».

وقال: «نحن الآن بصدد الوضع نفسه في سوريا، فما دام أي من فصائلها المقاتلة غير قابل للخسـارة عسكريًّا، لا سيما مع دعم القوى الإقليمية لكل فصيل حسب أجندتها، فإن سفك الدماء سيستمر إلى أن تنبثق بحكم الأمر الواقـع «أمـم مصغـرة». وفي العراق، تبدو كردسـتان مسـتقلة ولا ينقصها سوى الاسم؛ خجلًا من أن يثير ذلك حنق حاميها الرئيس التركي».

وقال: «إن السؤال الأكبر الآن يدور حول ما إذا كان تنظيم «داعش» سـيضم المناطق التي يوجد فيها في العراق إلى تلك التي يسيطر عليها في سوريا، وهو ما قد يؤدي إلى مفارقة يقتنع فيها النظام الشيعي في العراق والعلوي في سوريا بأنه من المحتمل أن الدولة التي بناها «الإرهاب» قد تكون الأسلوب الأمثل لتجنب أعدائهما السنة».

وقال «أندرسـون»: «إن المؤكد أيضًا أن المفاجأة الأكبر حتى الساعة تتعلق بالهدوء الكبير حتى وإن كان نسـبيًّا في الأردن، تلك المملكة التي أُنشئت بقطع أرض من هنا وهناك، من قِبل القوى الأوربية بعد الحرب

العالمية الأولى، ورغم الخشية من أن تسقط بدورها في الفوضى، يمكن القول: إنها نجحت في الصمود بسبب حاجة الجميع ولا سيما جيرانها إلى ما يشبه سويسرا في المنطقة».

وتساءل الكاتب: «ما الذي سينفجر لاحقًا؟»، وقال: «نحن فقط بصدد الاستعداد لأن نعود عيوننا على عدم رؤية أماكن رسمتها الإمبريالية الأوربية!».

هكذا تبدو الصورة والرؤية المستقبلية كما رسمها الباحث والكاتب والمراسل الحربي (السابق) «سكوت أندرسون»، وهي رؤية في كل الأحوال تجسد الحالة الراهنة والتوقعات المستقبلية لخارطة المنطقة العربية، وتحديدًا سوريا والعراق.

وإذا كانت تركيا تعود اليوم من جديد لتكرر مقولة الرئيس التركي الأسبق تورجت أوزال على لسان وزير الخارجية الأسبق «عبدالله جول»، وتهدد مجددًا بإلغاء اتفاقية 1926 واستعادة الموصل مرة أخرى وضمها إلى تركيا، فإن ذلك في حد ذاته يجيب عن الكثير من التساؤلات الغامضة حول داعش وحقائق الدور والتآمر التركي على العرب.

إن هذه الاتفاقية «الدولية» التي يخرج المسئولون الأتراك بين الحين والآخر يهددون بإلغائها حال تقسيم العراق، لم تكن منحة من تركيا أو حقًّا لها تم اغتصابه؛ فالموصل عربية حتى النخاع بحكم الواقع والتاريخ والجغرافيا.

فبعد انهيار الإمبراطورية العثمانيـة وظهور الجمهورية التركية بقيادة «مصطفى أتاتورك»، تم اقتطاع منطقة الموصل وجرى ضمها إلى تركيا، إلا أن أبنـاء الموصـل قاوموا هذا التوجه بكل حسـم، وكانـت بريطانيا تواجـه في هذا الوقت تحديات كبيرة في العـراق بعد فرض الولاية عليه وتطبيق معاهدة 1922 بالقوة، مما دفع تركيا إلى التحرك ومحاولة فرض سطوتها على الموصل واسترداد بعض ما فقدته في وقت سابق، وتحديدًا في اتفاقية «سيجر» الموقعة في العاشر من أغسطس 1920.

وفي العشريـن من أكتوبر 1922، عُقـد مؤتمر «لوزان الأول» بهدف بحـث وإنهاء الخلافـات المتصاعـدة بين تركيـا وجيرانهـا والتنصل من التزاماتها السـابقة التي أقرتها في اتفاقية «سـيجر»، ومن بينها تخليها عن منح الأكراد حق تقرير المصير والذي رفضه المجلس الوطني التركي.

في 23 إبريـل 1923 تم عقـد مؤتمر «لوزان الثاني» لبحث المشـاكل العالقـة، وانتهـى المؤتمـر بالتوقيـع عـلى معاهـدة الصلـح دون أن يتـم التطـرق إلى حـل المشـاكل الحقيقيـة وبينها قضيـة الموصل وحـق تقرير المصـير للأكراد، حتى بدا الأمـر وكأنه صفقة بين تركيـا وبريطانيا على حسـاب شـعوب المنطقـة العربيـة، ولذلك جـرى الاتفاق عـلى إحالة الخلاف التركي العراقي حول الموصل إلى عصبة الأمم في حال الفشـل في الوصول إلى حل خلال تسعة أشهر من تاريخ إبرام المعاهدة السابقة.

وفي 30 سـبتمبر 1924، قررت عصبة الأمم، تشكيل لجنة من عدد من الشـخصيات المتخصصة في علـوم التاريخ والجغرافيا والعسـكرية

لبحث الخلاف حول الموصل وتبعيتها، وكان من أبرز رموز هذه اللجنة خبراء من بلجيكا وإيطاليا وفرنسا وسويسرا وتركيا والعراق وغيرها.

وقد استقبل أهالي الموصل هذه اللجنة بمظاهرات غاضبة ضد تركيا، وتولى عدد من أحزاب الموصل والشخصيات العامة بالمدينة تقديم مطالب أبناء الموصل الرافضة للانضمام إلى تركيا.

وبعد الإجراءات واللقاءات والبحوث التي أجرتها «لجنة الحدود الأممية» أصدرت تقريرها عن الخلاف التركي ـ العراقي حول الموصل في 311 صفحة بالإضافة إلى إحدى عشرة خارطة، وصدر عن اللجنة تقرير نهائي تضمن الآتي:

ـ ترى اللجنة أنه من المستحسن عدم تقسيم المنطقة المتنازع عليها، وهي ترى أن هناك حججًا مهمة تساعد على ارتباط كل المنطقة ابتداءً من جنوب خط بروكسل بالعراق، ومن تلك الحجج خصوصًا الحجج والثوابت الجغرافية والاقتصادية مع كل التحفظات المذكورة، على أن تراعي الشروط التالية:

1- يجب أن تبقى تحت انتداب عصبة الأمم لمدة 25 سنة.

2- يجب مراعاة رغبات الأكراد فيما يخص تعيين موظفين أكراد لإدارة ممتلكاتهم، وترتيب الأمور العدلية والتعليم في المدارس، وأن تكون اللغة الكردية هي اللغة الرسمية في هذه الأمور.

وقد قُدِّم التقرير إلى مجلس عصبة الأمم، وبعد مناقشـات مستفيضة، انتهـت عصبة الأمم إلى إصدار قرار بهـذا الصدد في 19 نوفمبر1925 تضمن عدة بنود، هي:

1- البـت في عائديـة الموصـل بشـكل قاطع للعـراق، وعـدم قبول كل الذرائـع والحجـج والحيثيـات التـي بنـت عليهـا تركيـا للمطالبـة بالموصل.

2- حسـن الجوار، حيث حثت العصبة طرفي النزاع - تركيا والعراق - عـلى إقامـة أفضل وأحسـن العلاقـات على مبـادئ حسـن الجوار وعدم التدخل في الشـئون الداخلية والتعـاون المثمر والبنَّاء لفرض الاستقرار والهدوء في عموم المنطقة.

3- النظـر لموضـوع القضيـة الكرديـة نظرة جـادة وقائمة على أسـاس احترام الحقوق القومية المشروعة للأكراد، وعدم المسـاس بثقافتهم ولغتهم وإدارتهم المباشرة لشئونهم.

4- تثبيت الحدود المتنازع عليها بين تركيا والعراق وفق خط بروكسل.

وخط بروكسل هو الخط الذي يفصل بين الأراضي العراقية والتركية ويبدأ من ملتقى «دجلة والخابور» متبعًا وسط مجرى «الخابور» إلى ملتقاه من «الهيزل» ثم يسير وسط مجرى «الهيزل» إلى نقطة واقعة على بعد ثلاثة كيلومـترات فـوق ملتقـى النهر، ويسـتمر الخط بالتعـرج والانخفاض والارتفاع لينتهي في نقطة ملتقاه بخط مستقيم المياه، الواقع بين حوضي

نهـر «حاجي بك» ورافـده الذي يمر من شرق أوربا، وبعد أن يتبع خط تقسـيم المياه المذكور يسـير رأسًا إلى نهر «حاجي بك»، ثم يسير مع النهر معاكسًا الجيران إلى الحدود الإيرانية.

لقـي القـرار ترحيبًـا عراقـيًّـا كبيرًا، وبعـد جدل ونقـاش وضغوط اضطـرت تركيـا إلى القبـول بهـذا القـرار، وقـد تـم عقد محادثـات بين الحكومتين العراقية والتركية وفقًا لهذا القرار، أسـفر عن توقيع معاهدة تضمنت نص قرار عصبة الأمم وبعض التعديلات الأخرى.

ووفقًـا لرؤية الباحث العراقي «حليم الأعرجـي» فإن هذه المعاهدة ركزت على أربعة محاور رئيسية هي:

1- إقرار تثبيت خط بروكسِل مع بعض التعديلات.

2- إقرار بطلان مطالبة تركيا بولاية الموصل في ضوء الحقائق التاريخية والجغرافيـة والجيوسياسـية؛ حيث إن تركيا اسـتندت عند مطالبتها بالموصل إلى جملة من النقاط، منها:

- خضـوع الموصل للسـيطرة العثمانية لأكثر من أربعـة قرون، وهذا الخضوع لا ينطبق على الموصل فحسـب، بل شمل العراق وبلدانًا كثـيرة في آسـيا وإفريقيـا وأوربا، ومن ثـم فقد كان ذلـك احتلالاً للمنطقة وليس حقًّا من حقوق تركيا.

- وجود جالية تركية في الولاية، وقد تم إسقاط هذه الحجة في مؤتمري لـوزان الأول والثاني ثم في قرار عصبـة الأمم وفي معاهدة 1926

وفقًـا للترتيب؛ حيث تنـص المادة 30 من المعاهدة على أن الأتراك الســاكنين في البـلاد التي انفصلت عـن تركيا سـيكونون بمقتضى أحـكام هـذه المعاهدة تابعين للدولة التي انتقلـت إليها البلاد وفق الشروط الموضوعية في القوانين المحلية ـ أي يكونون تابعين لدولة العراق وليس تركيا.

ومـن أجـل أن توافق تركيـا على إغلاق هذا الملـف نهائيًّا طرحت ثلاثة شروط وافقت عليها العراق جميعًا في هذا الوقت، وهي:

- تنازل العراق عن مساحة حوالي 1000 كيلومتر في منطقة «اشوشار آمون» باعتبار أن هذه المنطقة لها أهمية استراتيجية للأمن التركي.
- منـح تركيـا عـشرة في المائة من حصــة الحكومـة العراقية في شركة النفط التركية لمدة 25 عامًا.
- تسـديد مبلغ عشرة ملايـين و750 ألف جنيه إسـترليني تعويضًا لتركيا عن العربون الذي بذمة الدولة العثمانية.

لقد تضمنت معاهدة 1926، التي أنهت كل المزاعم التركية حول الموصل وغيرها عدة ثوابت أساسية، منها:

- أن هـذه المعاهـدة تـم إبرامهـا بكفالـة وضمانـة سـويسرية وعبر لجنـة مكونة من اثنـين تعينهما الحكومة التركية واثنـين آخرين تعينهما الحكومتان البريطانية والعراقية.

- كما أن المعاهدة نصت على تحرير محضر تخطيط نهائي وخرائط ووثائق ملحقة بثلاث نسخ تُرسَل اثنتان منها إلى الدول المتاخمة والثالثة إلى الحكومة الفرنسية، ونسخ إلى الدول الموقعة في معاهدتي لوزان الأولى والثانية.

- وأن المعاهدة جاءت نتيجة تحقيق دولي جرى بإشراف عصبة الأمم التي أقرت بعائدية ولاية الموصل للعراق بقرار يشمل ترسيم الحدود بين البلدين بصفة نهائية.

- وأن قبول تركيا بالتوقيع على المعاهدة بقرارات عصبة الأمم المتعلقة بها لم يكن نتيجة ظروف قهرية بالنسبة لتركيا وإنما نتيجة أوضاع داخلية وإقليمية ودولية وقوانين تركية.

وهكذا.. وبالرغم من جميع الحجج والأسانيد فإن حلم تركيا في الاستيلاء وفرض السيطرة عاد من جديد، بحجة أن العراق بات مقسمًا، وأن توقيعها على اتفاقية 1926 كان بإرادة قهرية، وأنها تجد أن الظروف باتت مناسبة الآن لعودة سيطرتها على هذه المنطقة مجددًا، عبر الوكيل الرسمي لها «تنظيم داعش».

لقد دعا رئيس معهد الدراسات التاريخية التابع للحكومة التركية «يوسف هالاج» رئيس الحكومة «أحمد داود أوغلو» إلى إعادة النظر في اتفاقية عام 1926 التي تخلت بموجبها تركيا عن الموصل وكركوك للعراق.

وقال «هالاج»: «إن من حق تركيا أن تسترجع الموصل وكركوك إذا قررت واشنطن تقسيم العراق؛ لأن الأتراك تركوا الموصل وكركوك لدولة عراقية موحدة».

وهكذا يبدو الخطاب التركي المؤيَّد من عناصر الحكم، وكأنه يعود بعجلة التاريخ إلى الخلف وإعادة الحلم العثماني بالسيطرة على شمال العراق ودول أخرى مجاورة.

لم يكن هذا الأمر جديدًا على الخطاب السياسي والإعلامي التركي، بل إن أطماع تركيا باتجاه العراق ظلت مستمرة بعد سقوط النظام الملكي، فاستهدفت إسقاط النظام الجمهوري الذي سعى إلى مواجهة حلف بغداد الذي تزعمته تركيا في هذا الوقت، غير أن وقفة العالم الحر إلى جانب النظام العراقي الجديد الذي تلا سقوط الملكية أنهت هذا المخطط مبكرًا.

ونشرت وزارة التربية التركية خارطة جديدة لتركيا جرى توزيعها على طلاب المدارس الابتدائية، تضم ثلثي أراضي شمال العراق - التي كان يُطلَق عليها خلال فترة الاحتلال العثماني ولاية الموصل - بالإضافة إلى الشريط الحدودي إلى الجنوب الشرقي وصولًا إلى الحدود الإيرانية - التركية -العراقية.

وهذه الخريطة التي تكشف عن المطامع التركية في أراضي العراق تضم محافظات الموصل وكركوك وأربيل ودهوك بالإضافة إلى الموصل،

باعتبـار أن هـذه المناطق جزء من تركيا، وأن تركيا انسـحبت منها مجبرة بموجب المعاهدة التي تلت الحرب العالمية الأولى.

إن المتابـع للشـأن التركي يـدرك أن حكومة أردوغـان بدأت تصعِّد من لهجتها باتجاه اسـترداد ما كان يسمى قديماً بولاية الموصل، متجاهلة بذلك جميع الاتفاقات الدولية التي وقَّعت عليها في أوقات سابقة.

إن ذلـك يعطـي دليلًا جديدًا على أن تركيـا متورطة حتى النخاع في دعـم «داعش» وصناعتها من الأسـاس؛ حتى تقوم بالمهـام التي تعجز تركيـا عـن القيام بهـا في الوقت الراهـن، فمنحت لـ«داعـش» التوكيل الرسمي لتنفيذ الأجندة كاملةً.

«دامس» الوجه الآخر لـ «داعش»!!

وضع تنظيم «داعش» استراتيجية للسيطرة بالتمدد من العراق شرقًا حتى نيجيريا وبلدان المغرب العربي غربًا، بالإضافة إلى العديد من البلدان الإسلامية الأخرى في شمال إفريقيا.

كان طبيعيًّا، والحال كذلك، أن يسعى التنظيم، منذ فرض سيطرته على الموصل والعديد من المناطق العراقية والسورية الأخرى، إلى أن يُحكم سيطرته الكاملة على هذه المناطق، وأن يسرع الخطى لفرض إرادته، وأن يستخدم كل آليات العنف لإخضاع سكان هذه المناطق لجبروته، وأن يقيم ما يسمى بالمحاكم (الشرعية) لإصدار الأحكام الجائرة والفتاوى البعيدة عن صحيح الدين، وأن يستولي على مصادر النفط والثروة والمياه للتحكم في مصير الملايين من البشر.

وفي غضون أشهر قليلة استطاع تنظيم ما يسمى بالدولة الإسلامية «داعش» أن يمتد إلى منطقة «عرسال» السنية في لبنان، وأن يسعى إلى

تحقيق انتصارات سريعة بعد أن وصل بحدود ما يسـميه بـ«الدولة» إلى مناطق قريبة من حلب، كما أنه اسـتطاع إسقاط محافظة «الرقة» السورية كاملة بعد أن انتصر على قوات الجيش السـوري واسـتولى على القاعدة الرئيسـية لـه في «الرقـة» وأسر نحو 250 ضابطًا وجنديًـا وجرَّدهم من ملابسهم ثم قامت ميليشياته بإعدامهم إعدامًا جماعيًّا.

ولقـد مثَّلـت هذه الأحـداث والانتصارات ردود فعـل إيجابية لدى قيـادة التنظيـم وقواعـده وشـجعتها عـلى الإسراع بتحقيـق المزيـد من طموحاتها لمد هذا المشروع إلى حدود تتجاوز المشرق العربي.

وكان مـن بـين العوامـل التـي شـجعت «داعـش» على السـعي لمد مشروعها إلى المغرب العربي هو توافر البيئة الحاضنة لهذا المشروع في كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا.

وتشير جهات الرصد داخل تنظيم «القاعدة» إلى أن عدد مَنْ شاركوا في الحرب الأفغانية ضد السـوفييت في ثمانينيات القرن الماضي وصل إلى نحـو 50 ألف مقاتل مغاربي، كانت نسبتهم على الوجـه التالي: 17٪ ليبيـون، 20٪ جزائريون، 2٪ مغاربة، 1٪ تونسـيون، 3٪ موريتانيون، وذلك من حجم عدد (المجاهدين) الذين شاركوا في هذه الحرب.

وخـلال فـترة الاحتـلال الأمريكـي للعـراق، كان «المجاهـدون» المغاربـة حاضرين، وارتبطوا بعلاقـات وثيقة مع أبي مصعب الزرقاوي ومـن بعده أبو عمـر البغدادي، ثـم تعمقت هـذه العلاقة في عام 2010

مع تولي أبي بكر البغدادي مهام تنظيم ما يسمي بـ«الدولة الإسلامية في العراق».

وبعد الحرب على سوريا، انضم الكثير من العناصر المرتبطة بتنظيمات إرهابية في المغرب العربي إلى «جبهة النصرة لبلاد الشام» التي ترأسها محمد الجولاني الذي أعلن ولاءه لتنظيم القاعدة.

وبعد الخلافات والانشقاقات التي جرت بين الجولاني وأبي بكر البغدادي على خلفية إعلان أبي بكر البغدادي قيام «الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام» (داعش) لتضم جبهة النصرة دون التشاور مع قيادتها، وإعلان الجولاني رفضه الانضواء تحت راية التنظيم الجديد، أصبح (المجاهدون) المغاربة في حيرة من أمرهم.

لقد فضَّل بعضهم الاستمرار في القتال إلى جانب «جبهة النصرة لبلاد الشام»، والقطاع الأكبر منهم أعلن مبايعته للدولة الإسلامية «داعش» ولقائدها أبي بكر البغدادي، الذي أعلن نفسه خليفة للمسلمين في يونية 2014.

وفي فترة لاحقة استطاع أكثر من عشرة آلاف من المقاتلين على الساحتين العراقية والسورية العودة إلى بلادهم مجددًا؛ للعمل على نشر الفكر، وتمدد التنظيم في بلاد المغرب العربي.

لقد عادوا وقد امتلكوا خبرات كبيرة في القتال واستخدام الأسلحة المتقدمة، سعوا إلى توظيفها في بناء تنظيمات تمثل امتدادًا لـ «داعش» في بلاد المغرب العربي وتحديدًا في ليبيا وتونس كبداية.

كانت أهم الحركات الحاضنة لهذا الفكر في هذه الفترة هي:

-حركة أنصار الشريعة الإسلامية في ليبيا.

-حركة أنصار الشريعة الإسلامية في تونس.

- حركة أنصار الشريعة الإسلامية في درنا.

- كتيبة سيف الله سحاتي في ليبيا.

- كتيبة شهداء 17 فبراير في ليبيا.

- جماعة تحكيم الدين في ليبيا.

- جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا.

- حركة النهضة في تونس.

لقد أدرك العائدون من مسرح القتال في سوريا أن المال عامل مهم في مساعدة التنظيم على الانتشار والتسلح بأحدث الأسلحة وفرض السيطرة وشراء النفوذ، وكما هو الحال في سوريا والعراق، فقد استطاعت الحركة الأصولية الإرهابية في ليبيا على وجه التحديد الاستيلاء على الكثير من منابع النفط والأموال البنكية الحكومية في العديد من المدن الليبية.

لقد كان من عوامل نجاح «داعش» في تحقيق انتصاراتها السريعة هو نجاحها في الاستيلاء على العديد من الحقول النفطية في سوريا والعراق وتسويق النفط بأسعار متدنية وبطرق غير مشروعة، حتى بلغت جملة

مـا حصل عليه التنظيم من وراء عمليات البيع نحو 5 مليارات دولار، واسـتطاع من خلالها شراء الأسـلحة المتقدمة ورشـوة الكثـير من قادة الجيش العراقي وفرض نفوذه وسيطرته على العديد من المدن في سوريا والعراق.

كانـت الخطـة في ليبيا تقـضي باسـتيلاء «التنظيـمات الإرهابية» على العديد من الحقول النفطية وموانئ الشـحن وأيضًـا أنابيب نقل النفط، ولذلـك ركزت هذه التنظيمات في البدايـة على مناطق يوجد فيها النفط وأنابيب نقله وتحديدًا في «راس لانوف وسدرا وبنغازي والبريقا».

وأمـام التمـدد الذي شـهدته هذه الحـركات وفـرض نفوذها وقوتها بـدأ أمير جماعة أنصار الشريعة التونسـية (سـيف الله بن حسـن) الملقب بـ«أبو عيـاض» في الإشراف عـلى سلسـلة من الاجتماعات مـع قيادات «داعش» في تونس وليبيا العائدين من سوريا، بحضور قيادات من تنظيم أنصار الشريعة في ليبيا، لتأسـيس تنظيم جديـد يمثل امتدادًا لـ«داعش» في المغرب العربي أطلق عليه تنظيم «دامس» (دولة المغرب الإسلامية).

وقد أعقب هذه الاجتماعات عقد اجتماع على جانب كبير من الأهمية في منطقـة «درنا» الليبية بحضور قـادة حركتي أنصار الشريعة في تونس وليبيـا في أواخر شـهر يونيـة 2014، وقـد حضره أيضًا صـلاح الدين الشيشاني نائب أبو بكر البغدادي زعيم تنظيم داعش قبل أن يعلن نفسه أميرًا للمؤمنين.

وفي هـذا الاجتـماع المهـم تم اعتماد هذه الحـركات الأصولية المتطرفة لتكون نواة للتنظيم الجديد الذي كان يجري الإعداد له في هذا الوقت.

كانـت الخطـة التي جرى اعتمادهـا في هذا الاجتماع هـي الرؤية التي طرحها «أبو عياض» زعيم تنظيم أنصار الشريعة في تونس والتي تقضي بضرورة توسيع دائرة الانتشـار للتنظيم لتمتد من «درنـا وبنغازي» في الـشرق الليبـي إلى العاصمـة الليبيـة «طرابلس» بهدف السيطرة عليها وعـلى موانيهـا الجويـة والبحريـة وطـرد المؤسسـات الحكوميـة منها، واستبدال مدينة «مصراتة» بعد ذلك بها كعاصمة بديلة.

وبالفعل ربما كان ذلك واحدًا من أهم الأسباب التي دفعت ما يسمى بكتائـب (فجر ليبيا) التي تنتمـي جغرافيًا لمصراتة للزحف إلى طرابلس والاسـتيلاء عليهـا وعلى المطار بعـد أن اسـتطاعت هزيمة ميليشـيات «الزنتان» التي كانت مسيطرة على هذه المناطق.

وقد جرى الاتفاق في هذا الاجتماع أيضًا على أن يتولى تنظيم «دامس» إدارة العمليـات ضد مصر ودول المغرب العربي والدول الإسـلامية في جنوبهـا انطلاقًا من الأراضي والقواعد الليبيـة باعتبارها البيئة الحاضنة لعناصر التنظيم القادمة من العراق وبلاد الشام.

واعتمد التنظيم خطة التحرك في هذه البلدان وكذلك الحال في دول الجوار الإسلامي وتحديدًا «مالي والنيجر وتشاد وموريتانيا ونيجيريا».

واتفـق قادة التنظيم الجديد على اتخـاذ تونس نقطة عبور إلى الجزائر، خاصـة أن تنظيم القاعدة في الجزائر أصبحت له كوادره المنتشرة في عدة مناطـق جزائريـة، واسـتطاع أن يجمع ثروة قُـدِّرت بنحـو 300 مليون دولار من جراء الفدية التي كان يحصل عليها من وراء عمليات الخطف التي كانت تتم بحق الجزائريين والأجانب.

ويعتقد الضابط السـابق في الجيش الجزائري (أنور مالك) أن التأخر في الإعلان عن ميلاد تنظيم «دامس» في المغرب العربي حتى هذا الوقت يعود لأسباب تنظيمية وتكتيكية، حيث إن الجماعات الإرهابية تريد أن يكون لما سـتعلنه «الصبغة المغربية». وقال في حديث لصحيفة «الصباح الأسـبوعي» التونسـية في 18 أغسـطس 2014: «إن المشـكلة القائمـة تتعلـق بالمنطقـة، فتنظيـم الدولـة يختلف عـن تنظيم القاعـدة؛ إذ يحتاج إلى رقعـة جغرافيـة على عكس تنظيـم القاعدة الـذي يتمركز في الجبال والأدغال».

وقـال «مالـك»: «إن القاعدة بدأت تلفظ أنفاسـها وحان وقت طي صفحتها الذي بدأ بالإعلان عن مقتل زعيمها أسـامة بن لادن»، مشيرًا إلى أن بعبـع الإرهاب الذي خدم القوى الغربية مازال في حاجة لوجود تنظيمات أخرى أكثر تشددًا من القاعدة.

ورأى مالك في هذا الإطار أن سـيناريو «داعش» هو الفصل الجديد مـن هـذا «البعبع» الـذي يخدم مصالـح أمريـكا وحلفائهـا في ترويض

الثـورات وإيقـاف مد الربيـع العربي وإعادة رسـم خارطـة المنطقة من خـلال خريطـة جديدة تبدأ بعد مرور قرن على اتفاقية سـايكس ـ بيكو سنة 1916.

وقال في تصريحاته: «بلا شـك، توجد جماعات إرهابية تابعة للقاعدة على الحدود بين تونس والجزائر، وهناك مخطط إرهابي اسـتراتيجي لدى القاعدة يتمثل في توسيع دائرة نشاطها على مستوى المغرب الكبير».

وقال: «لقد كانت حرب ليبيا هدية نزلت عليهم من السماء وأنقذتهم مـن النهاية المحتومة، وبعد ما كانوا بقايـا جماعات عادت لهم قوة كبيرة وخطيرة».

وأضـاف: «توجد معلومات اسـتخباراتية تفيد بأن هـذه التنظيمات بصدد تأسيس تنظيم الدولة الإسلامية في المغرب «دامس»، وسيبايعون البغدادي خليفة لهم».

لقد تلقت الحكومة الجزائرية معلومات على جانب كبير من الأهمية أشـارت إلى أن ما يجري في ليبيا وتونس يمثل تهديـدًا للأمن الجزائري، وأن أي تأخـر في التدخـل العسـكري في ليبيـا سـيترتب عليـه سـقوط آبـار الغاز والنفظ في الجنـوب الغربي الليبي على يد الجماعات السـلفية الجهادية وعلى رأسها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب.

وقالـت المعلومـات الغربيـة «الاسـتخباراتية» التـي تلقتهـا الجزائر مـن دول غربية عديـدة: إن تنظيم القاعدة في بلاد المغـرب ومعه جماعة

(المرابطـون) التـي يتزعمها بالمختـار، يتجهان لخلق كيان شـبيه بالدولة الإسـلامية في العراق والشام، يضم ليبيا وأجزاء من الصحراء الكبرى، ويعتمد على تهريـب النفط والغاز من حقول حوض «غدامس» بغرب ليبيا.

أمـا صحيفـة «الـشروق» الجزائريـة فقـد أوردت في السـياق ذاتـه معلومـات عن مخطط لزعامـات إرهابية ليبية مرتبطـة بأجندة «داعش» تعمـل منـذ مـدة على زرع موطـئ قدم لهـا في الجزائر من خـلال: اتخاذ تونس نقطة عبور، وسحب الزعامة من تنظيم القاعدة.

لقـد أشـارت التقاريـر الصـادرة عن جهـات أمنية في تونـس إلى أن تنظيم «داعش» يتجه نحو احتواء العناصر المتشـددة الموجودة في تونس والعائدين من سـوريا، من خلال دمج أنصـار الشريعة وجملة الكتائب المتشـددة الأخرى على غرار كتيبة «عقبة بن نافع» لتكوين تنظيم الدولة الإسلامية في المغرب «دامس».

لقـد كانت الجزائـر ولاتزال هدفًا لهذه التنظيـمات، ليس فقط لأهمية الجزائر كدولة بترولية يمكن توظيف ثروتها لصالح التنظيم، وإنما أيضًا لأن سـقوط الجزائر يعنـي تنفيذ المخطط وبنجـاح في جميع دول المغرب العربي والدول الإفريقية الإسلامية.

وخـلال الزيارة التي قام بها الرئيس المصري عبدالفتاح السـيسي إلى الجزائر في يونية من العام 2014، سـلَّم السيسي إلى الرئيس عبدالعزيز

بوتفليقة ملفًّا أمنيًّا مهـمًّا يتضمن معلومـات حصلت عليهـا الأجهزة الأمنيـة المصريـة بعد القبض عـلى تنظيم لخلية جزائرية متشـددة كانت تنـوي القيام بتفجيرات كبرى ضد منشـآت سـياحية، وأن هـذه الخلية مرتبطـة بخلايـا أخرى في الجزائر وعـلى علاقة بتنظيم أنصـار الشريعة في ليبيا.

وقـد اتفق الرئيسـان السـيسي وبوتفليقة عـلى أن الخطـر القادم من ليبيا من شـأنه أن يُحدث قلاقل في كل المنطقة، وأنه يتوجب التنسيق بين الأجهـزة المعنية في كلا البلدين بهدف التوصل إلى رؤية موحدة لمواجهة هذا الخطر.

وإلى جانـب هذه المخاوف يبـدو أن التحركات نحو تشـكيل تنظيم «دامـس» في بـلاد المغرب تحقق نتائـج ناجحة على صعيـد توحيد جميع التنظيـمات الإرهابيـة في هذه البلدان وفي مقدمتهـا تنظيم القاعدة لبلاد المغرب العربي.

وقـد نشر «عبدالملك درودكال» الملقب بـ«أبو مصعب عبدالودود»، وهو من أبرز قادة هذا التنظيم، تسـجيلاً مصورًا تناقلته وسائل الإعلام أعلـن فيـه ولاءه لتنظيـم «داعـش»، موجهًا انتقـادات ضمنيـة لتنظيم القاعـدة الأم الـذي لم يعلن دعمـه الصريح لدولة العراق والشـام، كما رفض أيضًا وصف الموالين لهذا التنظيم الجديد بالخوارج.

وأعلن الشيخ «أبو عبدالله عثمان العاصمي»، قاضي تنظيم «القاعدة» في منطقة وسط الجزائر، في تسجيل صوتي، تأييده أيضًا لتنظيم «داعش»، مؤكـدًا أن عنـاصر الفرع المغـاربي للقاعـدة «يريدون وصـل حبل الود بينهـم وبـين داعش»، وقـال: «أنتم أحـب إلينا من الأهل والعشـيرة»، وقـال: «إننا مازلنا ننتظر فروع القاعدة من هنا وهناك أن يبينوا موقفهم ويعلنوا نصرتهم لكم» في إشـارة واضحة إلى زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري.

ولم تكن مصادفة أن تشهد منطقة المغرب العربي العديد من الأحداث الإرهابيـة خـلال الآونة الأخيرة لإحـداث نقلة سريعـة في خطة وأداء التنظيم الجديد «دامس»، فالهجوم الذي شنَّه تنظيم «عقبة بن نافع» ضد قوات الجيش التونسي في 17 يوليو 2014 - وأسـفر عن استشهاد 14 جنديًّـا وجـرح عشرين آخريـن -كان مؤشرًا على تصعيد هـذا التنظيم والقُوى المكونة له هجماته ضد الدولة التونسية وجيشها.

لقد أثار هذا الهجوم ردود فعل متباينة في تونس، كان أبرزها ما أشار إليه وزير الدفاع التونسي «غازي الجرمني» الذي قال: «إن الحرب التي تواجهها تونس، هي حرب غير تقليدية، تُستخدم فيها أسلحة حديثة ومتطورة».

وهذا الهجوم جـاء تحديدًا متوافقًا مع التهديدات التي أطلقها تنظيم «داعـش» في العراق بفتح أكثر من جبهة خارج ما تمت تسـميته بحدود الخلافة التي أُعلن عنها في العراق وسوريا.

وكان هناك تطور آخر جرى على الساحة المصرية، فقد أعلن تنظيم «أنصار بيت المقدس» في يوم الإثنين 10 نوفمبر 2014 عن مبايعته لتنظيم «داعش» وزعيم التنظيم «أبي بكر البغدادي».

ودعا أبو أسامة المصري، القيادي بتنظيم أنصار بيت المقدس، في بيان البيعة، أهل مصر إلى ما أسماه بالجهاد في سبيل الله، وقال: «لن تنفعكم السلمية المخزية ولا الديمقراطية الكفرية وقد رأيتم كيف أودت بأصحابها»، وقال: «إن السعيد هو مَنِ اتعظ بغيره».

وقال البيان: «طاعة لأمر الله ورسوله بعدم التفرقة ولزوم الجماعة نعلن مبايعة الخليفة إبراهيم بن عواد بن إبراهيم القرشي الحسيني على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، وندعو المسلمين في كل مكان لمبايعة الخليفة ونصرته طاعةً لله وتطبيقًا لواجب العصر المضيع».

لقد مثَّل هذا البيان تحولاً مهمًّا في استراتيجية جماعة أنصار بيت المقدس، إلا أن ذلك لن يفتح الطريق أمام «داعش» لتعيد تكرار سيناريو ما جرى في سوريا والعراق، فالواقع مختلف، والدوافع والأهداف تبدو على النقيض في الساحة المصرية.

لقد ترددت معلومات في فترة سابقة عن دخول عناصر تنتمي إلى تنظيم «داعش» الأرض المصرية قادمة من ليبيا، إلا أن جهات الأمن

استطاعت أن تقضي على هذه العناصر المحدودة وأن تلقي القبض على آخرين.

وبالرغم من المبايعة السرية لعدد من شباب جماعة الإخوان لهذا التنظيم الإرهابي إلا أن ذلك لم يُحدث أثرًا أو يُعطِ مؤشرًا على وجود خلايا عنقودية واسعة.

أيًّا كان الأمر فسوف يسعى التنظيم خلال المرحلة القادمة إلى أن يجد له موطئ قدم على الأرض المصرية، خاصة بعد أن انطلقت تهديدات عديدة من قيادته في العراق بالسعي إلى بناء التنظيم في مصر، غير أن الحقائق على الأرض تعطي مؤشرات مختلفة.

الوثائق

(سري جدًّا)

1- الطريق إلى الفوضى!!

2- محضر اللقاء بين كيري والمالكي

لا يمكـن فهم حقيقـة ظهور تنظيم «داعـش» والانتصارات المذهلة التـي حققها في أراضي العراق وسـوريا، وتحديدًا منـذ العاشر من يونية 2014، دون وعـي بحقائـق المخطـط الأمريكي ـ الإسرائيـلي ـ الغربي الـذي يحاك ضـد المنطقـة بهـدف تفتيتهـا وتقسـيمها والسـيطرة عليها لحساب هذه البلدان.

وفي التاسـع عـشر مـن مـارس 2014 عقـد ممثلـون مـن وزارات الخارجيـة ورجـال الاسـتخبارات لكل من أمريـكا وبريطانيا وفرنسـا وإسرائيـل اجتماعًـا خطـيرًا في القاعـدة البحريـة البريطانيـة في المملكة المتحـدة (روسـيث)، حيث جـرى الاتفاق عـلى وثيقة تضمنـت قراءة للواقـع الراهن وعددًا من التوصيات المهمة التي سـوف يجري تنفيذها بما يحقق أهداف هذا المخطط.

إن الحقائـق والمخططـات التـي تضمنتها هـذه الوثيقـة «السرية» لا تكشف فقط عن أبعاد هذا المخطط الاستعماري، وإنما أيضًا تنذر بخطر شـديد ينتظـر المنطقـة في الفترة المقبلة يسـتهدف تدمير كياناتهـا وبنيتها وإشـعال الحروب الأهلية الطائفية والعِرقية على أراضيها، بما يؤدي إلى تخريـب الأوطان وهلاك الملايـين بيد أبناء الأمة أنفسـهم من المتطرفين والإرهابيـين والعنصريـين، وفي مقدمـة هـذه القـوى تنظيـم «داعش» الذي جرى اسـتحداثه واسـتخدامه كبديل «للقاعدة» وغيرها في تنفيذ المخطط.

لقد تضمنت هذه الوثيقة سـبعة أهداف رئيسـة تتوخى تنفيذها، كما تضمنت تقييماً للدول والأقاليم المستهدفة، إضافة إلى رؤية الوثيقة لدور التيارات «الإسلامية» المتطرفة في قلب هذا المخطط، إلى جانب مجموعة القرارات المتعلقة بالترتيبات التنظيمية والبرامج العاجلة التي يُستهدف تحقيقها على أرض الواقع.

وهذا هو النص الحرفي للوثيقة «السرية»:

المقدمة:

يرحـب المجتمعون بممثـل البرلمان اليهـودي الأوربي تأكيـدًا لدور الحركـة الصهيونيـة الرئيـس في دعـم مشـاريع الحلف عـلى الضفتين، الجنوبية والشرقية من البحر الأبيض المتوسط.

تحديد الموضوع:

لقد حصلت تحولات استراتيجية كبيرة في العالم مؤخرًا، أي ابتداء من العقد الثاني من القرن العشرين، وتطرح هذه التحولات مشكلة حجم وتكلفة إدارة المناطق الواسعة التي تعتمد بدولها وشعوبها على القرار الأمريكي. كانت مسئولية أكثر هذه البلدان - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - محصورة بالولايات المتحدة.

لقد سلَّمت كل من بريطانيا وفرنسا وبشكل تدريجي إدارة إمبراطوريتيهما إلى واشنطن في الخمسينيات من القرن الماضي، ووضعتا خبراتهما تحت تصرفها. لقد ساعدت هذه التدابير، آنذاك، في الحفاظ على تأثير الناتو في القسم الأكبر من منظومة الدول التي استقلت حديثًا، أي في الخمسينيات من القرن الماضي، وقد ظهر أن إدارة أوضاع هذه الدول أقل كلفة في حالة الاستقلال منها بواسطة الإدارة العسكرية الأوربية المباشرة. وبالتأكيد، فإن الإدارة الأمريكية الإمبراطورية الجديدة قد طوَّرت طرقًا تنظيمية واقتصادية جديدة تسمح بالتأثير الناجع على القرار السياسي في هذه الدول حديثة الاستقلال.

إلا أن مستلزمات إدارة مصالحنا في العالم قد أصبحت تحتاج إلى مجهودات كبيرة. إن الإدارة اليومية التفصيلية لأوضاع كل هذه الدول قد زادت من حيث الكمية والنوعية بحيث طرحت مشكلة الموارد البشرية المتاحة لهذا الغرض في الولايات المتحدة. لقد تطورت

قـدرات الإنتـاج وكميات الناتـج المحلي في أكثر هذه الـدول، مما زاد في كميـة المجهـود الإداري المتراكم. إن تعقيدات مجتمعـات القرن الحادي والعشريـن والصعوبات المتعلقة بإدارتهـا (Social complexities) قد ازدادت وتعاظمت بشكل كبير.

إن كلفـة إدارة هـذه المناطـق والدفـاع عـن المصالح الغربيـة فيها قد أصبـحـت كبيرة، فالولايات المتحـدة قـد أنشـأت وتدير حاليًّا أكثر مـن ألف قاعـدة عسـكرية، إضـافة للقواعـد العائمـة Floating platform groups التي تتحرك إلى المناطق السـاخنة عسـكريًّا حسب الحاجة، هذا دون ذكر الإدارات الموزعة على السـفارات وفي الشركات الخاصة والتي تتابع المواضيع المتخصصة، مثل التجارة والتصدير وجمع المعلومـات بواسـطة البـشر HUMINT وبواسـطة الوسـائل الأخرى، وغيرها من مستلزمات إدارة المسائل الشائكة التي تواجه الحلف.

في هذه الحقبة، فإن العمل المشترك في حلف الناتو، والذي امتد حتى الآن على أكثر من ستة عقود، قد أتاح لأعضائه الرئيسيين أن يتعارفوا، وأن يطوروا الطرق والأساليب المشتركة، وأن يرفعوا مستوى الثقة فيما بينهـم إلى الدرجة التي أصبحـوا فيها يعتبرون الفوارق الوطنية مسـألة ثانويـة. لقـد أصبح مـن الطبيعـي إذًا توزيع المهـام الاسـتراتيجية دون المسـاس بالهرميـة المعتمـدة داخـل الحلـف، أو تغيير أي مـن الترتيبات التنظيميـة الأخـرى القائمـة حاليًّـا، ولم تكن هـذه الإمكانيـة واردة في بدايـات الحلـف أيام تأسيسـه؛ ذلـك أن الفـوارق بين الأعضـاء كانت

كثيرة، وقد استغرقت فترة طويلة لتسويتها، ويعتبر الحضور أنهم نجحوا في خلق مناخ من التعامل المشترك، يسمح لهم بالعمل كفريق واحد متناسق الأجزاء.

إن الاتحاد الأوربي الذي كان يعتبره الأوربيون مركبًا سياسيًّا هدفه حماية أوربا من القرار الأمريكي قد تطور هو أيضًا، كما تطورت السياسة الأمريكية في نفس الوقت. وقد اقتنع الطرفان اليوم بمفهوم التكامل السياسي بدل التنافس، وأصبحت سياسات أوربا والولايات المتحدة أكثر تنسيقًا.

على ضوء ذلك، فقد اقترحت الولايات المتحدة على بريطانيا وفرنسا وإسرائيل استلام الضفتين، الجنوبية والشرقية، من المتوسط بما في ذلك إيران وتركيا والعراق وسوريا وكل دول شبه الجزيرة العربية، مع استكمال المنطقة عبر البحر الأحمر نحو الصومال وكينيا ورواندا والأقاليم الشرقية من الكونغو، وصولًا إلى غينيا وإفريقيا الوسطى، وحتى السنغال.

وتحتفظ واشنطن بحق القرار في إيران وتركيا والسعودية والإمارات العربية، وذلك في الحالات الخاصة وعند حصول مبررات تجعلها تهتم بذلك.

إن الأهداف التي نتوخى تنفيذها هي:

- استمرار تسهيل الحصول على المواد الأولية الموجودة في المنطقة المستهدفة.

- وتأمين نقلها.

-والحفاظ على الأسواق المفتوحة فيها.

- وحماية الحليفة إسرائيل وأمنها ومصالحها.

- والحفـاظ على القواعد العسكرية والاستراتيجية التـي نديرها الآن والتي قد نُنشئها في المستقبل.

- واحتواء الهجمة الروسية الصينية المرتقبة فيها.

- والاستمرار في رقابة الوضع الاستراتيجي والسيطرة على معطياته.

طبعًا، فإن الولايات المتحدة تفهم جيدًا أن التكاليف المتعلقة بتوزيع هذه المسـئوليات تحتاج إلى إعادة حساب عادلة للمصاريف والعائدات مـن هذه الـدول والمناطق. لذلك، فإنه من الطبيعـي أخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار في القرارات التي سوف يتم تدوينها أدناه.

وقـد صدرت موافقـة القيادة السياسـية في كل من بريطانيا وفرنسـا وإسرائيل على هذا التوجه الأمريكي.

إن المجتمعـين يعتـبرون أن الاتفاقات التي كانت حتى الآن سـارية المفعـول، مثل اتفاقيات فيينا أو مؤتمر برلين، أو مؤتمر فرسـاي أو اتفاق سـايكس بيكو - قد أصبحـت بعيدة عن الواقع ولا يمكن الاسـتمرار بالاعتـماد عليهـا، ويلتـزم المجتمعـون بمحاولـة إقناع أعضـاء الحلف بالاسـتغناء عنهـا، ويعتبرهـا المجتمعـون بالتـالي ملغـاة وغـير صالحـة كمرجعية قانونية.

الفهم المشترك للوضع في المنطقة المستهدفة:

لقد حاولت مجموعة الدول الغربية السيطرة، وبشكل منهجي، على مصادر مواردها ومواقع مصالحها في العالم منذ القدم. وابتداء من الفترة التي تلت الحروب النابوليونية، ولمدة قرن تقريبًا، أي بين عامي 1815 و1915، ظهر واضحًا أن الدول الغربية قادرة على التعاون وتبادل الخدمات وتوزيع الموارد فيما بينها. وقد أثبتت الدبلوماسية الأوربية قدرتها على ذلك في المؤتمرات المختلفة التي جرت في فيينا، ثم فيما بعد، في برلين ولندن وباريس. إلا أن ظهور طموحات طاغية عند بعض المنافسين الأوربيين قد أدى إلى الحروب الداخلية الأوربية الكارثية (الحرب العالمية الأولى ثم الثانية). مما أجبر الولايات المتحدة على التدخل في الساحة الدولية بشكل نشط، فبدأت تشارك في المسرح السياسي الغربي، في أوربا وخارجها. لكنها اضطُرت لممارسة القيادة في الدفاع عن المصالح الغربية ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية، أي عام 1945، خاصة وقد خلَّفت هذه الحروب في أوربا أوضاعًا إنسانية واقتصادية كارثية.

لم تتحلحل هذه المشاكل إلا بدمج المنافسين (دول المحور الأوربي في الحرب العالمية الثانية) في البوتقة الغربية التي يمثلها اليوم حلف شمال الأطلسي. لم تجد الدول الغربية التي تجتمع اليوم تحت راية الناتو غريمًا جديًّا على الساحة الدولية، فقد أصبحت ألمانيا وحلفاؤها خلال

الحربـين العالميتين جزءًا من المنظومة الأوربيـة، تتعاون مع جيرانها بدل أن تتنافس معها.

وكانت أول مواجهة جدية للناتو مع غريم جديد، بقياسـات دولية، مـع الاتحاد السـوفيتي. لقد دامت هذه المنافسـة حـوالي نصف قرن، إلا أننا اسـتطعنا الانتصار، بصورة خاصة بسبب قيمنا الأخلاقية وقدراتنا الصناعية. ونحن نواجه الآن دولة صناعية جديدة، هي الصين. ولا تزال روسـيا تحنُّ لوضعها الإمبراطوري السـابق. ووراءهما، كالعادة، تجتمع مجموعة من الدول التي تحاول أن تكسب من نقاط ضعفنا. لذلك، فإن مصالـح الغرب ما زالـت في خطر وتحتاج إلى الحمايـة. نحن أمام وضع استراتيجي دولي جديد، هذا هو المبرر الرئيس لتخطيطنا الجديد الحالي.

إن المنطقة موضع البحث والجغرافيا المحيطة بها قد تم تقاسم أكثرها قبل الحرب العالمية الأولى، فقد احتلت فرنسا دول شمال إفريقيا في القرن التاسـع عشر، وتم توزيع أكثر دويلات إفريقيا في تفاهمات ومناوشات فرنسية بريطانية في نفس الحقبة. وقامت بريطانيا باحتلال مصر ووادي النيل في أواخر القرن التاسـع عشر. أما ولايات الإمبراطورية العثمانية، فقـد قامـت بريطانيـا وفرنسـا بتقاسـمها وقد قررتـا معًا إقامـة دولة في فلسطين تمت برمجتها لتصبح دولة يهودية، وهي الآن دولة إسرائيل.

إلا أن التفاهمات التي تم العمل على أساسـها منذ قرن لم تعد مناسـبة اليوم، فسكان المنطقة العربية لم يصلوا بعد إلى ما يكفي من النضج ليديروا

بلادهم بشكل عادل. إن عددهم سوف يصل إلى 800 مليون في عام 2050، أي سوف يكونون حولنا بأعداد مخيفة. وتنطبق هذه القراءة أيضًا على أكثر دول إفريقيا. وتتجه كل من إيران وتركيا نحو تصورات سياسية مشبوهة. علينا إذًا أن نمارس عملية إعادة نظر لكافة تفاهماتنا السابقة التي تعوَّدنا عليها والتي أصبحت جزءًا من الدبلوماسية العالمية.

إلا أن واقع الأمر هو أن دول المنطقة التي تهمنا قد استنفدت فائدتها.

ففي الكونغو، التزمت الدول الأوربية باتفاقية برلين 1890 التي تنص على المصالح الأوربية فيه وسُلِّمت القيادة لبلجيكا مع تحديد جغرافية وحدود هذا البلد الجديد. واليوم، بعد 120 سنة، لم يبق أي مبرر لهذه الاتفاقية. فالبلد مؤلف من إثنيات وقبائل ولغات وأديان لم تؤخذ بعين الاعتبار أصلًا عند تأسيسه، ورغم حصوله على الاستقلال، فإن الكونغو ما زال مقسمًا. نحن نتعامل معه على هذا الأساس. نستورد موارد المنطقة الشرقية (كيفو وغوما وكيسينغاني) من ماس وذهب وقهوة وأخشاب عن طريق رواندا، دون العودة لقيادة البلد في العاصمة كينشاسا. ما فائدة هذا البلد ووحدة أراضيه؟

لقد حافظت فرنسا على وحدة الجزائر بلا سبب مفهوم. إن الأمازيغ شعب يختلف عن العرب ولا يتفاهم معهم، وموارد الجزائر تذهب هدرًا في الفساد المتفشي في مجتمع يسيطر عليه العرب. والإسلام المتوحش ينتظر في الظل لممارسة القتل. هذه أوضاع تطرح أسئلتها بإلحاح.

فالسعودية يجب الحفاظ فيها على الحصة الأمريكية من النفط، كانت الترتيبـات مفيدة عندما كانت المنطقة تشـهد منافسـة أمريكية بريطانية، وذلك في الفترة السـابقة لتأسـيس الناتـو. اليوم أصبـح التفاهم الغربي واضحًـا، والتفاهمـات القائمة حاليًّا لا تسـتوجب أو تـبرر الاتفاقيات الحصرية Exclusive بالمقابل.

مـصر بدورهـا ابتكار بريطاني، كان هدفه في السـابق السـيطرة على قناة السويس وطريق الهند، من ناحية، و على باقي وادي النيل من ناحية أخرى. لقد وفرت مصر أيضًا للإمبراطورية البريطانية موقعًا اسـتراتيجيًّا لقيادتها. وبعـد 120 سـنة من احتلالها و 60سـنة من الاسـتقلال، فإن هـذه الدولة لم تجـد طريقها إلى تأسـيس نظـام يرضي شـعبها، يضاف إلى ذلـك تركيبتها الاجتماعية الفسيفسـائية التي لا يمكن أن تنجح، من عرب وقبائل وسكان مـدن ونوبـة وأقبـاط. إن وحدة مصر قـد أصبحت خطرًا على شـعبها، كما بدأت تشكل خطرًا على مصالح الحلف، خاصة الشريكة إسرائيل.

ولا داعـي لذكر دويلات الشرق الأدنى مثل العراق وسـوريا حتى اليمن وسلطنة عمان؛ فهي تقع، كلها، في نفس التصنيف.

يجب إذن وضع خطة جديدة تسـاعدنا على إدارة هذه المنطقة بشـكل مُجدٍ يفي بمصالح دول الحلف ويخدم أمن إسرائيل، وينفذ لائحة أهدافنا.

الصورة العامة المعتمدة:

إن تركيبة الحدود القائمة الآن في المنطقة المستهدفة لم تعد صالحة، إلا

أن تغييرها ليس بالأمر السهل. فقد سوَّقت أوربا خلال قرنين نظرية الدولة الوطنية التي اعتمدتها لتبرير التقسيم الجغرافي الساري المفعول اليوم. إلا أن بعض هذه الدول اقتنع فعلًا بهذه النظرية مما يدفعهم لوضع برامج تشكل اليوم عائقًا جدِّيًّا لسياساتنا. و على سبيل المثال، فإن إيران والسعودية وتركيا ومصر والجزائر قد أصبحت قوى إقليمية وازنة، مع سياسات خارجية عشوائية تزيد من المشاكل بدل أن تحلها.

إن علينا أن نتخلى عن هذه النظرية وأن ندعم المسارات الوطنية التي تعتمد على الانتماء القبلي الإثني، من ناحية، والديني من ناحية أخرى. هذا يعني أن إيران والسعودية وتركيا ومصر والجزائر سوف يتحولون، مع مرور الزمن، إلى وحدات سياسية أصغر حجماً وأكثر تناسقًا. إن مساعدتنا للمجموعات الدينية والإثنية والقبلية المحلية سوف تضمن لنا ولاء أكثرها. وبالتأكيد، سوف تضمن لنا قدرة فرض القرار السياسي الذي يناسبنا على كل منها.

إن الدول التي سوف نرتكز عليها في تنفيذ سياساتنا المستقبلية هي:

- في وادي النيل: إثيوبيا.
- في الضفة الجنوبية للمتوسط: المغرب.
- في شمال المنطقة المستهدفة: إيران وتركيا.
- في الجنوب الشرقي للمنطقة المستهدفة: رواندا وأوغندا.
- في كل هذه المنطقة: قطر.

وعلينـا أن نسـجل أن لكل بلد في هذه اللائحـة اعتبارات خاصة في حساباتنا، علينا توضيحها وتنسيق مواقفنا منها بشكل واضح.

أمـا القواعد العسـكرية التي سـوف تدعم خطتنا فهـي، وإن كانت معروفة، في التحديد الاستراتيجي بحاجة للتسجيل:

- جزر المتوسط كلها قواعد عسكرية بحرية أو جوية.
- في تركيـا 42 قاعـدة تغطـي احتياجـات الحلف في الجـو والبحر، مع قدرة تنمية إمكانات التعرض العسكري البري.
- في الخليج الفارسي: تغطية كاملة انطلاقًا من جيبوتي والسـعودية، مع نواقص في إثيوبيا يجب استكمالها.
- في شرق المنطقة المستهدفة تغطية تعاقدية مع رواندا وأوغندا.
- ومـن جنـوب المنطقـة المسـتهدفة، سـوف نكتفـي بجنـوب إفريقيـا وقواعدنا في نيجيريا.

أمـا الدول أو المناطق التي سـوف تشـارك في برامجنا أو سـوف تقبل تحمُّل مسئولية لعب دور واجهة خططنا السياسية فهي:

- جمهورية وسط إفريقيا ومالي.
- عدد مهم من التنظيمات في ليبيا.
- المقاطعات الشمالية في الصومال (من رأس الكيل إلى زيلع).
- مملكة الأردن.

وعلينا النظر أيضًا في الاعتبارات الخاصة بكل منطقة منها.

تقييم المسائل والدول والأقاليم وأهدافنا فيها:

المسائل:

تثبيت إسرائيل وتأمينها:

- إن إسرائيل شريك حيوي في الحلف، ويحظى أمنها بإجماع التأييد بين أعضائه. إن الخلافات القائمة حاليًا بين الحلف وإسرائيل حول موضوع الاستيطان مبنية على قناعة سابقة لدى الأعضاء بحقوق الأقلية المسلمة والمسيحية في المناطق التي كانت تحمل اسم فلسطين أيام الانتداب البريطاني.

- وفيما يتفق الجميع على ضرورة احترام الحقوق الإنسانية بصورة عامة، فإن النظر إلى الفلسطينيين كشعب له حقوق أمر مبالغ فيه. لذلك، وفيما يؤكد المشاركون ضرورة احترام الأعراف الدبلوماسية وتقاليدها، فإن الواضح هو أن الفلسطينيين غير قادرين على التصرف كجماعة سياسية تحسن الدفاع عن فكرة الحقوق الوطنية.

- لذلك، وفيما يصر الحاضرون على ضرورة الانتقال البطيء والمتوازن من مرحلة إلى أخرى في قراءة السياسة الجديدة وتوجهاتها، فإن على موضوع الفلسطينيين أن يأخذ دورًا أقل أهمية في مستقبل العلاقات داخل الحلف ومع إسرائيل.

- ويتفاهم الجميع، بما في ذلك إسرائيل، على ضرورة تأخير دخول إسرائيل في حلف شمال الأطلسي بصفة رسمية، وتفضيل استمرار عملها فيه وفي كافة لجانه دون المثول رسميًا على لائحة أعضائه.

أمن النفط والمنافسة مع روسيا وبرنامج الأنابيب:

- من ناحية الاستراتيجية، فإن روسيا قد حسَّنت وضعها بشكل واضح مع دول أوربا الغربية منذ أن نجحت (في ثمانينيات 2القرن العشرين) في تركيب أنابيب الغاز باتجاه ألمانيا وعبر أوكرانيا. ومع الأزمات الأولى بين أوكرانيا وروسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، قامت هذه الأخيرة بمد أنابيب غاز الخط الشمالي. لقد أمَّنت هذه الأنابيب لروسيا مدخولاً هائلاً وأعطتها أيضًا قدرة ابتزاز أوربا الغربية في موضوع استهلاك الطاقة، وهي قدرة ذات وزن كبير. إن أزمة أوكرانيا في بداية 2014 حُبلى بالمعاني. وهي تشير إلى ضرورة إنقاذ دول الحلف الرئيسة (أي دول الوحدة الأوربية) من الخطر الروسي الداهم.
- إن الحاجة لاستحداث الحلول لهذه المعضلة تمر بخطين:

• الأول مبني على فكرة بناء أسطول من السفن المتخصصة بنقل الغاز السائل. وبالرغم من ارتفاع كلفة هذا الحل، فإنه يوفر التموين الآمن لأوربا، وبلا عناء.

• والثاني مبني على فكرة مد أنابيب غاز، تمر بإسرائيل بدل أن تمر بالعراق، وسيكون ذلك ممكنًا عن طريق مد أنابيب من قطر إلى إيلات عبر السعودية والأردن. وبانتظار تنفيذ هذا المشروع، يتم نقل الغاز القطري إلى إيلات بحرًا بواسطة أسطولها الحالي.

- أما الغاز الجزائري، فهو حاليًّا مصدر قلق دائم بسبب التصرفات غير

المسئولة للحكومة الجزائرية. لذلك فإنه من الضروري إعادة النظر في أوضاع هذه العلاقة وفتح ملف الأنابيب من جديد، سواء أكانت تمر عبر تونس أو مباشرة إلى الشواطئ الأوربية. إلا أن هذا الموضوع لا يدخل على جدول الأعمال الجدي إلا عندما ننجح في تغيير نمط الإدارة السياسية الجزائرية.

أمن الممرات المائية:

إن المرور الآمن للأشخاص والبضائع من أهم اهتمامات سياسة الحلف، وهي في أعلى أولوياته. إن حضورنا العسكري في كل من البحر الأحمر والخليج الفارسي يعني بهذه القضية على وجه الخصوص. ولا توجد في مسرح العمليات هذا دول ترغب أو هي قادرة على تحدي تواجدنا.

- إلا أنه تبقى في أعلى مستويات الأجندة قضيتان: وهما القرصنة البحرية وممر قناة السويس.
- إن القرصنة وباء لا يمكن السكوت عنه، إلا أننا وحيدون في هذا الميدان. ذلك أن روسيا لا تشارك في هذا المجهود، بينما يقتصر عمل البحرية الصينية على المنطقة البحرية الممتدة من مضيق جاوا ـ بورنيو إلى أعلى بحر الصين؛ مما يضطرنا للاهتمام بهذه القضية وحدنا.
- أما قناة السويس، فإنها مصدر قلق شديد لكل أعضاء الحلف. ذلك أن مصر قد دخلت مرحلة من الاضطراب الأمني الداخلي لا تؤتمن القيادة المصرية فيه على أمن الملاحة في القناة. فالإخوان والتنظيمات

الإرهابيـة قـد أصبحـت تؤثر في الحيـاة اليومية المصرية وتشـل قدرة السـلطة على إدارة البلد. ويُخشـى من إمكانية قيـام الإخوان أو أحد شركائهـا بإعاقـة الملاحـة أو إيقافهـا، ذلـك أن مثل هـذه العمليات سـهل التنفيذ ولا تسـتوجب أكثر مما فعله عبدالنـاصر، عندما أغرق بعـض السـفن في الممـر. إن على الحلـف أن يسـتعد للتدخل السريع إذا ما فشـلت السـلطة المصرية في حفـظ أمن القنـاة أو قامت إحدى المجموعات الإسلامية بتعطيلها أو الحد من القدرة على استعمالها.

يضـاف إلى ذلك الخطر السـياسي المتمثل في قدرة السـلطة السياسـية المصريـة قانونيًّـا على منع مـرور سـفننا الحربية في القنـاة، إذا رغبت بذلك.

- إن أمـن مضيـق هرمز ومضيق البحر الأحمر عند باب المندب يشـكل قلقًـا كبيرًا لدى المجتمعين. وعلى الخطـط القادمة أن تلحظ تغييرات في الحـدود المحلية بحيـث تتأمن هذه المضائق لصالـح حرية الملاحة المنشودة.

أمـن الطـيران:

- إن طيران أسـلحة الجو التابعة لدول الحلف مؤمَّن حاليًّا فوق أراضي المناطـق المسـتهدفة. فالاتفاقـات سـارية المفعـول في شـمال إفريقيـا والشرق الأوسـط، لا تواجه مشـاكل جدية، ذلك أن سوريا لا تملك القـدرة عـلى مراقبة وحماية مجالها الجوي. أما مصر، فقد مارسـنا أكثر

من أربعين ألف رحلة فوق أراضيها، دون أن تطالب بالإبلاغ المسبق أو دفع كلفة التصريح. إلا أننا نخشى أن تتغير سياسة مصر، فهي في حالة تحول، ولا يُعرَف بعد أي سياسة سوف تنتهج، ومن غير المستبعد أن تطلب منا دفع كلفة اختراق مجالها الجوي مقابل المبالغ التي كنا قد ألغينا دفعها في إطار الاتفاقات السابقة.

- أما الجزائر، فإنه من غير المستغرب أن تفعل ما قد تفعله مصر، وأن تضع قيودًا على مجالها الجوي.

إن هذين البلدين يشكلان خطرًا مرتقبًا على مصالح الحلف وحرية حركته الجوية.

أزمات المياه المرتقبة:

- إن دول الحلف تسيطر بشكل كامل على تكنولوجيا تحلية المياه في المنطقة المستهدفة. ولا خوف حاليًا من منافسة روسية أو صينية في هذا المجال.

- إلا أن المسائل المائية التي تهمنا تتعلق بالنهرين الرئيسين: النيل والفرات، والمسائل المرتبطة بهما.

نهر الفرات:

- تقع منابع هذا النهر في تركيا ويروي أراضي سوريا والعراق. والمشكلة مع الإدارة التركية الحالية هي عدم رغبتها باستعمال سلاح الماء على

دول إسـلامية أخرى. إن التأثير الإخـواني هنا كبير (ويظهر أن هناك موانـع دينية إسـلامية لهذه المشـكلة). نحـن أمام تعـارض بالمصالح مـع نظام أردوغان والإخوان من ناحية، واسـتفادتنا من الإخوان في المناطق العربية، من الناحية الأخرى.

- إن أحـد أسـباب حـاجتنـا لإعـادة النظـر في سياسـتنا تجـاه تركيا هو حاجتنا لتنويع القرار وإدخال شيء من المرونة على مسار اتخاذ القرار في المنطقـة بصـورة عامة. إن وجود دولة مركزيـة قوية في أنقرة يجعل هذه المرونة صعبة التحقيق.

- إن توفـير القـدرة للحلـف على إجبار بغـداد على اتخـاذ القرار الذي يناسبنا يمر:

  - إما باستعمال الماء كأداة ضغط.

  - وإمـا بتوزيـع القرار على مركزين بدل مركـز واحد، عن طريق إعادة المسألة الكردية إلى واجهة الساحة السياسية.

- إن موضـوع الرجل المريض ما زال مطروحًا بعد قرن كامل من مؤتمر فرسـاي، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار مصالح الحلف بنفس الوقت الذي نحسب فيه مصالح الكرد والترك وغيرهما.

نهـر النيـل:

- إن العمـل يتقـدم ببـطء في سـد النهضـة في إثيوبيـا، إلا أن رغبتنا في

تسريع العمل فيه قد وصلت إلى أسماع المؤسسات المالية الرئيسة في كل من واشنطن ونيويورك والسيتي في لندن. هذا يعني أن الشركات المكلفة بالتنفيذ سوف تستطيع الحصول على التمويل بشروط ميسرة بضمانة وزارة المالية أو البنك المركزي الإثيوبي (وهذا وفقًا للسياسة التي تم وضعها مع الحكومة الإثيوبية).

- وإذا نجحنا في الحفاظ على تقدم الأمور على هذه الجبهة، فإن الترجيح أن يصبح تعطيل عمل هذا السد أمرًا عسيرًا ابتداء من أواخر عام 2014 وبدايات 2015. إننا نتخوف من عمل طائش من قِبل القاهرة التي تصعِّد حملتها الإعلامية ضد هذا السد.

- إن هذا المشروع محفوف بالأخطار، إلا أنه يسمح بالحد من نمو مصر التي وصل عدد سكانها إلى التسعين مليونًا تقريبًا، وهذا الرقم يكاد يصل إلى عدد سكان إثيوبيا، مما قد يخل بالتوازن بالمنطقة.

- إن التحكم بنهر النيل بواسطة السدود هو لب استراتيجية الحلف للحقبة المقبلة، وهو الذي سوف يسمح بلجم الطموحات المصرية وعزلها عن دول الخليج وبلاد الشام، ومنعها من التحالف أو التفاهم مع دول شمال إفريقيا.

- إن الحد من عدد السكان في مصر ضروري لمنعها من التحول من وضع التسول الذي تعيشه اليوم إلى وضع تنموي. لذلك فإن إنهاء العمل في السد الإثيوبي يتلاقى مع سياساتنا ويتناسق معها.

التيارات الإسلامية:

الإسلام السياسي عامة:

- إن كل التيارات الإسـلامية السياسـية خطرة. فقـد رأينا نتيجة دعمنا للوهابية وللعائلة السـعودية على مدى أكثر من سبعين سنة، أننا نكاد نفقد مصداقيتنا في موضوع الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسـان والمرأة بسـبب هذه العائلة. وليسـت إيـران أفضل حالًا من النظـام السـعودي، وقـد رأينـا كيف يمكـن تجييش المسـلمين للقتال والانتحـار، عـن طريـق بعض المشـايخ الذيـن اقتنعوا بمنطـق فقهاء قدماء (الماوردي وابن تيمية والكليني)، ومَنْ تبعهم من علماء الدين، وعلى رأسـهم محمد عبدالوهاب، مؤسـس الوهابية السـعودية. إنهم مستعدون لقتل أي مسلم آخر على أساس اختلاف لاهوتي بسيط.
- لقـد ثقَّفتنـا تجربـة مؤتمرات أصدقاء سـوريا ثقافة شـديدة عن كيفية اسـتنفار المأجوريـن المسـلمين، فتجربـة تجييـش المسـلمين من أجل أفغانسـتان كانت محدودة المدى بالمقارنة مع ما يحصل في سوريا، وما بدأ يحصل في ليبيا ومصر. إنها أدوات عسـكرية شـديدة الخطورة، لا تسـتطيع أي دولـة عربيـة أو إسـلامية الإفلات منهـا إذا قررت هذه التنظيمات التوجه إليها أو تمكنت من دخولها.
- وبنفـس الوقت، فإن خطـر هذه الحركات على دول الحلف الأطلسي محـدود جدًّا بسـبب قدرتنـا على رقابة الجاليات المسـلمة (باسـتثناء بعض الأضرار الجانبية التي لا بد منها).

- إن أخطر ما يهدد المجتمعات الإسلامية شديدة التمركز (dezilartnecrevo) والتي ترأسها دكتاتوريات متخلفة هو غضب شعوبهم وعودتهم إلى التيار الديني ليحميهم من نظامهم. إن أحد أهم أدوار استخباراتنا هو تمتين علاقاتها مع هذه التيارات بحيث يتم توجيهها إلى الداخل الإسلامي بدل السماح لها بممارسة إجرامها على دول الحلف.

- إن مركزة المعلومات عن الحركات الإسلامية وتجميع المعلومات المتوافرة لدى كافة دول الحلف وأصدقائهم وعملائهم هما الأداة الأنجع لتفادي أخطار هذه التنظيمات الفتاكة والإيحاء لها حتى تتوجه إلى ضحايا آخرين.

القاعدة:

- تواجهنا مع القاعدة مشكلتان: الأولى: استقلالية تمويلها، والثانية: تعصبهم لحرية القرار.

- إن للقاعدة مصادر تمويل مرتاحة من الدول العربية النفطية، وكذلك من الدول الإسلامية في جنوب غرب آسيا، وقد طوروا طرقًا للتحويلات من بلد إلى آخر، وأصبحت طرقهم هذه تميزهم عن غيرهم. وتريد سياسة الحلف الحالية ألا نتعرض لهذا التمويل إلا إذا كان خطره يستهدف دولًا صديقة أو دول الحلف مباشرة.

- إن نظام الرقابة المصرفي يسـمح لنا بجمـع المعلومات لمتابعة تحركات القاعـدة، وهـي معلومـات تسـمح لنـا بالإيحاء لهـم حتـى يتوجهوا بشرورهـم إلى أهداف خارجية.
- أمـا حرية قرارهـم، فهي عائـدة لتنظيمهم الأفقي الـذي لا تعود فيه الخلايـا المحلية لقيادتنا إلا عند حاجتهـا للخدمات، مثل التمويل أو التهديـف أو لحل مشـاكل فنية. فهي بهذا المعنى مجبرة على مواقفها، لا خيار لها فيها.

أما الإخوان المسلمون:

- فإننـا نرغـب بالإبقاء عليهـم لمواجهة التيارات الإسـلامية الأخرى، ولإلجـام أو توجيـه أو اسـتيعاب الحـركات الإسـلامية المتشرذمـة والكثيرة، والتي لا تستطيع العمل بشكل مجدٍ دون تنسيق مع غيرها.
- إن الإخـوان موجـودون في موقع الحكم في بعـض البلدان مثل تركيا والسـودان، وفوائدهـم واضحة هناك، لكنهم سـوف يكونون أشـد فائـدة إذا اضطررنا في المسـتقبل لمواجهة الإسـلام الوهـابي، أو حتى الإسلام الرسمي المتمثل بالأزهر.
- هـذا بالإضافـة إلى دورهـم الممكـن في المنطقـة المسـتهدفة، نتيجـة اسـتعدادهم للعمل معنا بلا شروط، وعداواتهـم الكثيرة في المنطقة، وخاصة في مصر والسعودية.

حماية المسيحيين:

- إن في الشرق الأوسط ما يقارب العشرين مليون مسيحي، موزعين في العراق وسوريا والأردن وإسرائيل وفي مصر على وجه الخصوص، حيث يبلغ عددهم فيها حوالي 16 مليونًا.

- ويعرف المشاركون أن التعامل مع المسيحيين لم يكن مجديًا حتى الآن، إلا في حالات استثنائية لا تفي بالمطلوب. كان بإمكان المسيحيين أن يحصلوا على كل دعمنا وأن يسيطروا على الكثير في مناطقهم، وبمساعدتنا، إلا أنهم اتخذوا، ولأسباب لا نستطيع فهمها، مواقف عدائية من مخططاتنا.

- إن عملياتنا، التي دامت أكثر من عقدين، لفصل جنوب السودان عن شماله، كانت ممكنة بسبب قدرتنا على استعمال العذر المسيحي، رغم كونهم أقلية في جنوب السودان.

- لا يهمنا من هذا الأمر إلا حاجتنا لعدد معين منهم إلى جانبنا، حتى يتسنى لنا أن نستعمل اسمهم في العمليات التي قد نضطر إلى أن نقوم بها في المنطقة المستهدفة.

- إن كنائس الغرب، التي كان عليها أن توفر لنا العلاقات الجيدة مع مسيحيي المنطقة العربية، تقوم حاليًا بعكس ذلك، وتؤيد قضايا لا تعكس المصالح الوطنية لدول الحلف، مثل دهم الفلسطينيين وحماية المسيحيين والدفع باتجاه الديمقراطية.

-لذلك، فإنه على مؤسسات الحلف أن تستحدث مع المسيحيين العرب علاقات جديدة وأن تنشئ شبكات للعلاقات، حتى تكون من باب الاحتياط، متوافرة للاستعمال، عند الحاجة.

الدول والأقاليم:

تركيا:

- إن الوضع التركي الحالي مناسب، ما دامت الحرب الأهلية السورية مشتعلة. إلا أن الأزمة السورية، وإن طالت، فهي إلى زوال، ومن الضروري الإشارة إلى مستقبل تركيا، إن دورها الاستراتيجي الرئيس هو في مواجهة الخطر الروسي. لكن الخطر هذا كان مختلفًا أيام الاتحاد السوفييتي، فقد تحررت الدول الإسلامية في جنوب غرب آسيا وأصبحت تشكل طبقة إضافية في الدفاع عن الغرب. فهم بالفعل خط الدفاع الأول. لقد أضحت تركيا خط الدفاع الثاني، وأصبحت أهميتها للحلف أقل نسبيًّا.
- مع انتهاء الحرب الباردة واتفاقياتنا مع الدول الإسلامية والآسيوية وتقلص قياس الخطر الروسي (رغم استمراره)، فإن نظام الحكم في تركيا قد أصبح أكثر سهولة لنا اليوم مما كان عليه خلال العقد الماضي. لقد أصبح بإمكاننا أن نتعامل معه على ضوء مصالحنا.
- لذلك، يمكننا النظر إلى أهدافنا بحرية أكبر.
- على تركيا أن تعطي الأكراد حق تقرير المصير في كل الأراضي الكردية. إنها تشتمل جغرافيًّا على السدود التي أنشأناها على نهر الفرات.

- وعلى تركيا أن تحافظ على الساحل الممتد من أضنة إلى جيهان. المطلوب، وعلى المدى المتوسط، مد أنبوب يصل عسقلان (جنوب إسرائيل) بأنابيب شبكة نابوكو مع توسيعها لتشمل الغاز الطبيعي.

إيـــران:

- تتصرف إيران بكل أدب في المفاوضات النووية، وهي مستعدة، إذا حافظنا على ماء وجهها، أن تعطينا كل ما نطلبه، وسوف نطلب بالفعل كل ما نريد، والظاهر أننا سوف نحصل عليه.

- مشكلة إيران الحالية هي أنها سجينة وعود كثيرة أطلقتها في السابق، مثل عدائها لإسرائيل وإصرارها على استقلالية الإنتاج الصناعي وغيرها من التحديات الدونكيشوتية. هذه ادعاءات ليست ذات مبرر، كما برهنت تجربتنا مع الصين. فبإمكانهم التقدم بنسبة قدرة استيعابهم الاقتصادي، بالتفاهم بدل التشاجر. إلا أن لعبة التحدي هي التي تعطي البوتقة الدينية الإيرانية في «قُم» مبرر وجودها وسببًا لاستئثارها بالحكم. وهي من الناحية الثانية، غير مستعدة للتضحية بموقعها هذا مقابل إنجازات وهمية لا طائل تحتها. مَنْ هو العدو الذي سوف تحاربه بصواريخها وصناعتها الحربية؟ هذه هي المبررات الرئيسة للنجاح المضمون لمفاوضاتنا النووية مع هذا البلد.

- إن علينا أن نقنع إيران بالعودة للتنسيق مع إسرائيل. ولتسهيل ذلك، فلا مانع من استعمال العرب الذين يكرهون الشيعة ويكرهون الإيرانيين، وهم كثر في السعودية والكويت والإمارات، وخاصرة

إيران هي ساحلها العربي، لكنه أيضًا باقي الإثنيات التي تبحث عن مخرج لها مع جيرانها في الشمال.

- على إيران، أولًا، أن تؤدي دورها في مواجهة السعودية والإمارات والكويت، قبل النظر في تشجيع التيارات الاستقلالية فيها. وفي هذا الوقت، علينا تشجيع ميل قيادتها للتعامل بالسر مع إسرائيل والتنسيق معها، ونحن مسرورون أن إسرائيل قد بدأت ترتاح فعلًا لهذه الترتيبات.

سـوريـا:

- إن البرنامج الذي تم وضعه سابقًا، والذي يستوجب الاستمرار بدعم المعارضة، يبقى ساري المفعول ومستمرًا. وعلينا التصعيد المحسوب لتسليح فرقاء المعارضة. إن الهدف هنا هو إسقاط نظام وإحلال نظام آخر محله يقبل باتفاقية سلام مع إسرائيل وعملية تطبيع نهائية. إن جزءًا مهمًّا من المعارضة قد تجرأ على إعلان هذا التوجه بشكل رسمي، ولا داعي للاستعجال بإنهاء هذا النزاع. إن الزمن كفيل بإقناع الأكثرية بهذا الخط، كما حصل في لبنان؛ ذلك أن روسيا سوف تستمر بدعمه عسكريًّا، مما يؤدي إلى النتيجة المرغوبة، وهي إنهاك النظام وإفقاده السيطرة على المناطق الكردية، وإدخال اللامركزية إلى النظام بحيث يتطور إلى ما صار إليه العراق اليوم.

السعودية:

- إن الدراسات الإثنية والأنثروبولوجية العائدة للسعودية مفصلة لدينا منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي، ولم يتغير فيها شيء يُذكر. وقد تداول أعضاء الحلف تفاصيله مرارًا. لقد حان الوقت لتغيير الوضع في هذا البلد، وتخفيف مساعدتنا له في اتخاذ القرارات. عليهم أن يأخذوا قراراتهم بأنفسهم، وأن يخطئوا، وأن ينتقلوا لمواجهة مطالب شعوبهم وحدهم.
- إلا أننا مضطرون للتذكير بأن الهدف الذي نتوخاه على المدى القصير من المملكة في وضعها الحالي هو شغلها عن تقديم المساعدات المجانية لمصر، بحيث يتسنى لنا معًا التعامل مع تلك المشكلة بشيء من العقلانية.
- يضاف إلى ذلك أننا بحاجة للسعودية أيضًا لمناوشة إيران، واستدراج إيران وتوريطها في عمليات لصالح الشيعة على ساحل الخليج الفارسي حتى يبدأ العد العكسي المتعلق بإعلان استقلال هذه المناطق.
- إن وجود إمارات جديدة على ساحل الخليج الفارسي، تدين بالولاء لنا أو هي مدينة لمساعدتنا – هو ما يبرمج له الحلف في التوقيت المناسب.

اليمن:

- إن على اليمن أن يعود فيتحول إلى دولتين كما كان سابقًا، مع إنشاء

ترتيب لفصل المنطقـة المقابلة لجيبوتي في كل من اليمن والسـعودية، وتأمين باب المندب بشكل نهائي. ويمكن الاستعانة بالطائفة الزيدية في المنطقة، وهي موجودة على جانبي الحدود اليمنية السعودية لتنفيذ مثـل هذا البرنامج. وربما كانت هناك فائـدة من التفكير بضم جزيرة البريم إلى جيبوتي، أو ضمها للدولة الشيعية الزيدية المرتقبة.

إثيوبيـا:

- إن هـذه الدولـة القديمـة والكبيرة تقـع في الموقع المناسـب، أي على منابع النيل، وعلى الحدود مع كل الدول التي يرغب الحلف بضبطها وترويضها.
- وبسـبب حجمهـا الجغـرافي وتعـداد سـكانها، فإنها مرشـحة لتكون في موقـع القيـادة في كل هـذه المنطقـة، مـن الصومال حتى المتوسـط الشرقي، أي الساحل المصري للبحر الأبيض المتوسط.
- إن اقتصـاد إثيوبيـا ما زال ضعيفًـا، ذلك أن دخل الفرد مـا زال قريبًا من 1300 دولار، لكن 85٪ من السكان ما زالوا يعملون بالزراعة، هـذا يعني أنـه بالإمكان التوصـل إلى معدلات نمو عاليـة جدًّا (ربما 10٪) مقابل مجهود متواضع.
- عـلى الحلـف أن ينظـر بشيء مـن السرعـة إلى إمكانية تشـجيع تمويل المشـاريع الصناعيـة التـي تتعلـق بالزراعة، علـمًا بأنـه لا ينقص هذا البلـد شيء، لا المـاء ولا الطاقـة. هكـذا، يمكـن لإثيوبيـا أن تصبـح دولـة نموذجية تحمل الطابع الصناعي، وتحتـل الأدوار القيادية التي

تستحقها في الاتحاد الإفريقي.

- إن التفاهمات التي أنجزناها مع القيادة السياسية في هذا البلد تسمح لنا بالاعتماد على الإدارة الجديدة. وستبدأ مؤسسات إثيوبيا بالتنسيق مع إسرائيل محليًّا، وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا أوربيًّا، للتأكد من تنسيق المواقف.

مصر:

- بخلاف إثيوبيا، فإن مصر قد دخلت نفقها الطويل نحو التخلف. الواضح أننا مشرفون على حقبة جديدة من حكم شخصيات عسكرية سوف تستمر بالترجيح لعدة عقود. إن الفريق الجديد مشاكس سياسيًّا، قصير النظر، وبالتأكيد، بطيء باتخاذ القرارات. نحن ننتظر فترة طويلة من المناوشات مع القوى السياسية التي تم عزلها، من إخوان وتنظيمات إسلامية. لقد انضمت إلى هؤلاء المجموعات المفصولة عن الحياة السياسية مجموعات أخرى ترغب بمواجهة الحكم المصري لأنه غير إسلامي. إن قدرة النظام على مواجهة التطورات السياسية المقبلة محدودة كما اضطر مبارك ومرسي إلى أن يتعلما من الميدان في أحداث 2011، 2013.

- إن قدرة مصر على استدراج وإغراء رءوس الأموال الدولية تكاد تقارب الصفر. لقد ساعدنا إراديًّا في ذلك وطلبنا من المؤسسات الاقتصادية والمالية في واشنطن ونيويورك ولندن عدم العمل في مصر حتى إشعار آخر.

- إن الأفكار المتداولة في الساحة المصرية غير مقنعة لرأس المال الغربي، كما تصلنا الأخبار من تقارير خبرائنا. وبالرغم من أن رجال المال في الغرب مستعدون أن يتحدَّوا قراراتنا (باستثناء حالات المقاطعة الرسمية، أي بقرار سياسي معلن)، فإن المصريين لم يقدموا حتى الآن لساحة الفكر الاقتصادي المصري، أي خطة مقنعة.

- نستطيع بناء على ذلك، أن نستنتج أن غياب المبادرات المقنعة من الناحية المصرية يوفر لنا الأرضية المناسبة لأن نأخذ نحن المبادرات، وأن نحقق أهدافنا بينما هم في حالة غفوة.

- إن على مصر أن تتخلى عن سيناء لصالح إسرائيل، وعلى إسرائيل أن تقبل بالتفاوض مع حماس وتسليمهم بعض أراضي سيناء، ربما ضم رفح إلى غزة في صفقة سلام نهائية مع هؤلاء الغزاويين.

- إن على قناة السويس أن تخرج من إدارة مصر، وأن تعود إلى إدارة دولية، فرنسية ـ بريطانية ـ إسرائيلية.

- إن علينا أن نجبر المسيحيين على قبول حمايتهم من أخطار الإسلام، وأن ندفعهم رغمًا عنهم ليحموا مصالحهم قبل أن يطردهم المسلمون بشكل نهائي من مصر.

- إن مصر العليا (الصعيد) منطقة تستحق ممارسة حق تقرير المصير، وعلينا تطوير علاقاتنا مع شعب النوبة وتوسيع شبكاتنا هناك.

- علينا أن نصر على برنامج صلح في مصر، تجتمع فيه الأطراف

الإسـلامية وتتفاهم على طريقـة إدارة أمور البلد. فبعد خروج مصر العليـا عن السـفلى (الصعيد عـن الدلتا)، لا يمكن للفرق السياسـية أن تسـمح باستمرار الخلافات. عليها أن تتفاهم على تقاسم السلطة بشكل عادل.

- إن الإخـوان يؤكـدون لنا أنـه بالإمكان إظهـار الوضع الشـاذ الذي يعيشـه المسـيحيون، وأنـه بإمكانهـم، بمسـاعدتنا الفنيـة، أن يعطلوا الملاحـة في قناة السـويس. فإذا حصـل ذلك، فإنه بالإمـكان التفكير بالتدخل العسكري لحماية القناة والمسيحيين في آن واحد.

الجزائر:

- إن في شـعب الأمازيـغ عـددًا كبيرًا مـن المتعلمين في أوربـا وأمريكا، وبعض هؤلاء مسـتعد لخوض معارك جدية للتوصل إلى حكم ذاتي، في المرحلة الأولى، بانتظار الاستقلال.
- إن أكثر آبار النفط والغاز موجودة في مناطق الأمازيغ.
- إن المطلـوب، عـلى المـدى المتوسـط، فصـل الجنـوب والأطلس عن الساحل، مع إعادة رسم خريطة هذا البلد اللامتناهي الحدود.
- إلى جانب الأمازيغ، فإن المشهد الإسلامي في الجزائر يقارب مثيله في سوريا، وهم ينتظرون مَنْ يسهِّل لهم الابتداء بعملياتهم.
- إن الجزائـر بحاجـة إلى تحديـث الخطط التـي كانت قـد وُضعت أيام الرئيس شيراك، بالتعاون مع خبراء بريطانيا وإسرائيل.

المغـرب والأردن:

- لدينـا هنا دولتان تدينان بكل ما تملكانه لواشـنطن، وهما مسـتعدتان لتنفيـذ أي تعليـمات، حتـى لـو كانت ضـد شـعبيهما. همـا إذًا بمثابة مستعمرتين، كل أجهزتهما، خاصة الاستخباراتية منها، تحت تصرفنا وتوجيهنا بشكل كامل.
- يجب أن تسـتمر أحوال هذين البلدين بالتحسن اقتصاديًّا، لكن ليس مطلوبًا منهما أن يتقدما حتى مسـتوى الكفاية الاجتماعية التي توصل إلى الديمقراطيـة؛ فهما لا يؤتمنان على شيء إلا تحت الضغط. لذلك، على هذيـن البلدين أن يبقيا تحـت ضغط شـعبيهما وهمومهما، وحتى لا يبدآ بالتفكير بالاستقلال السياسي.

قطـــر:

- يطلـب المجتمعـون مـن دولهم ودول الحلـف الاسـتمرار في معاملة العائلـة القطرية برحابة صدر. إنهم، بالنتيجة، لا يملكون قدرة اتخاذ أي قـرار. وتبقى فائدتهم بأنهم تغطية طيعة لكل ما نطلب منهم. ولا خـوف على الوجه الآخر مـن قوتهم الظاهرة، أي قرارهم المالي، فهو تحت السيطرة بشكل كامل.

التوجهات العامة:

لقد قرر المجتمعون اتخاذ الإجراءات التي تسـمح بتنفيذ التصورات السياسية التي اعتمدوها، وذلك حسب التوجهات التالية:

القرارات الأمنية:

- إن برنامج عمل الدول الأربع الحاضرة في هذا الاجتماع يستوجب مراعاة السرية المطلقة في كل مراحله، من التفكير إلى التخطيط إلى برمجة التنفيذ. إن هذا المستوى من السرية لا يسمح بالبحث في وجود البرنامج أصلًا، ولا بنواياه ولا بالخطط العامة التي تم تداولها في مؤتمرنا هذا. إلا أنه يسمح بالتداول بمستوى أدنى من السرية عندما يتم التعامل مع كل واحد من المشاريع المحددة.

- لذلك، فإن على الوحدة المسئولة عن الشئون الإدارية والتي سوف تهتم بمحفوظات هذا البرنامج ووسائل ميكنته، أن تخضع لتصنيف جديد للسرية اسمه (AO) حتى اسم هذا التصنيف يبقى سريًّا بتصنيف (AO).

- ويُسمح فقط للأشخاص الذين يتم تعيينهم من قِبل الحلف لإدارة هذا البرنامج بالاطلاع على محفوظات البرنامج.

- وتلتزم إسرائيل بأن تستثني هذا البرنامج والمؤسسات التابعة له من حقوق الرقابة العائدة للحكومة الإسرائيلية على الأراضي الإسرائيلية، وأن تطبق عليه نفس مستوى السرية المعتمد في الموضوع النووي الإسرائيلي، مع زيادة تصنيف (AO) على هذا البرنامج.

الترتيبات التنظيمية:

- يستوجب برنامـج العمل تأسـيس جهاز خـاص، سري، للإشراف على تنفيذه وتنسيق العمل بين وحـدات العمـل المتخصصة. ولهذا الغرض، فقد تفاهم المجتمعون على تسليم إسرائيل مسئولية تكوين هـذا الجهاز وتوفير الوسـائل اللازمـة له من اختصاصيين وأدوات ميكنة وغيرها، مع مراعاة دواعي الأمن في كل عميات التوظيف.
- في غيـاب قـرارات تعـدل ذلك، فـإن المجتمعـين حاليًا هم أنفسـهم أعضاء مجلس إدارة هذا البرنامج.
- تبقى الرئاسة بيد ممثل الولايات المتحدة الأمريكية.
- أمـا المركـز، فهو في مبنى الناتو في بروكسـل، في قسـم التنسـيق العام التابع لغرفة ممثلية الوفد الأمريكي.
- يتم رصد مبلغ سريع لمباشرة تأسيس هذا البرنامج في إسرائيل، قيمته 112 مليون دولار، يُصرف من ميزانية الاستخبارات المشتركة، وقد تم تسجيل هذا المبلغ على حساب دولة قطر، دون أخذ موافقتها ولا إعلامها بذلك.
- تُشـكَّل وحدة صغيرة مـن الاختصاصيين لتجميع ميزانية هذا الجهاز مـن مصـادر خارجة عـن الميزانيات الرسـمية؛ حفاظًا عـلى السرية. ويتم تعميم المعلومة بشـكل داخلي لتسـهيل فتح الحسابات وتسهيل

الاستفادة من نفط ليبيا. علينا أيضًا إجبار دول النفط على شراء معدات يمكن استعمال القسم الأكبر من كلفتها لتمويل الوحدة.

-إن العلاقات بين هذا البرنامج وجهازه الرئيسي من جهة، والمؤسسات التنفيذية في دول الحلف، تمر بواسطة مجلس الإدارة. لذلك، فعلى قرارات تعديل أسماء أعضاء هذا المجلس أن تأخذ بعين الاعتبار مركزها في الحلف بحيث تبقى قادرة على توزيع المأموريات بشكل سريع وهرمي.

البرامج المستعجلة:

نظرًا للوضع الانتقالي القائم حاليًا في عدد من الدول، وخاصة في الدول المركزية في خطة عملنا، يتخذ المجلس قراراته في المواضيع التالية:

إقليميًا في السعودية وإيران وفلسطين ومصر والجزائر:

تكليف الدبلوماسيات الأوربية والأمريكية بطمأنة الأنظمة المحلية فيما يتعلق بالصداقة واستمرار الدعم وإصدار الوعود بتلبية طلباتهم حالما توافق عليها برلماناتنا. إنه أساسي أن لا يستيقظوا من حالة السعادة التي يعيشون فيها، ريثما نتنهى من استعداداتنا وننتقل إلى المرحلة اللاحقة من برنامجنا.

الجزائر:

إن على الطرف الفرنسي أن يقوم بتكثيف العلاقات مع الأمازيغ، وتأسيس علاقات أوثق مع المزاب والطوارق، وتحديد المسائل التي

قـد تهمنا في هذا البلد. إن انتخاب الرئيس الحالي لولاية جديدة سـوف يعطـي زخمًـا لإمكانيات التحرك الشـعبي. وعلى الاتصـالات التي يتم إجراؤها أن تتحول إلى عمل ميداني، دون أن تتطور لتصل إلى مسـتوى العنف، وذلك حتى الاجتماع المقبل.

مصر:

إذا اسـتطاعت المعارضة أن تشـلَّ عملية الانتخابات الرئاسية، فهذا أمـر مرغوب فيـه. إن لدى وحدة التنسـيق العاملـة الآن في إسرائيل ما يكفي لتشـجيع هذا النشـاط. وعـدد المتطوعين للسـفر إلى مصر كافٍ، سـواء مـن ليبيا أو تونـس أو السـودان، إضافة لثوار مـصر في الداخل، والذين ينتظرون الدعم.

لقـد غطينا سـماء مصر بالطائـرات بدون طيار، ولدينـا قمر صناعي متخصـص فـوق مصر، وعـدد من الأقـمار التـي ترصدهـا في مداراتها العامة.

إن قدرتنـا عـلى التنصـت وعـلى تحديـد مواقـع القادة العسـكريين بلا حدود، وقدرة اتخاذ القرار في مصر واضحة الغياب.

التعليـمات هـي: المبـاشرة الحالية بتنفيـذ الخطط الموضوعيـة، والتي كانت تنتظر الضوء الأخضر.

السعودية:

إن الملك في حالة صحية تُخرجه من دائرة اتخاذ القرار بشكل يومي ودائم، لدينا إمكانيات واسعة مع عودة بندر بن سلطان.

لا نريد مشاكل كبيرة، المطلوب تجييش السعودية ضد شيعة إيران، بندر وفيصل آل سعود يحثَّان على بدء عمليات الاعتصام والتمرد في إيران. يجب ألا تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك خلال الفترة المقبلة حتى الخريف.

وفي النهاية، فإن على وحدة التنسيق أن تكون جاهزة في فترة لا تتعدى خريف هذا العام، أي قبل الاجتماع المقبل لمجلس الإدارة الحالي في 8 أكتوبر 2014.

وعلى هذه الوحدة أن تكون قد أعدت اقتراحات الخطة العامة المتعلقة بكل جزء من برنامج العمل، قبل إقرارها وطلب وضع أي من الخطط التفصيلية.

2- محضر اللقاء بين كيري والمالكي

في 23 يونية 2014 التقى وزير الخارجية الأمريكي جون كيري برئيس الوزراء العراقي - في هذا الوقت - نوري المالكي، وجرى بينهما هذا الحوار:

بدأ الحوار بترحيب نوري المالكي، رئيس الوزراء العراقي، بضيفه جون كيري، وزير خارجية الولايات المتحدة، والوفد المرافق له وقال: إنه من دواعي سرورنا وغبطتنا أن يزور العراق معاليكم لتطَّلِعوا بشكل مباشر. على خطر الإرهاب الذي يواجه العراق والمنطقة والعالم ولتستمعوا إلى تفاصيل الجهود التي تبذلها القوات المسلحة العراقية وأجهزته الأمنية لإيقاف تمدد هذه الظاهرة الخطيرة التي تهدد أمن واستقرار وسلامة العراق والمنطقة. إننا كنا ننتظر هذه الزيارة ونرجو أن تكون مبعث فهم أعمق للمشكلة التي نواجهها، وسنكون صريحين معكم كما عهدتمونا. في هذه المقدمة لن أدخل في التفاصيل لأنني على يقين بأن سفيركم الموقر قد شرح لكم التفاصيل كاملةً؛ لأننا ننسق معه ونُطلعه على مجريات الأحداث أولاً بأول.

- السيد جون كيري: كيف حالكم؟

- رئيس الوزراء: الحمد لله بخير.

- السيد جون كيري: أشـكركم على ترحيبكم بنـا، مثلما قلت فإننا عـلى اطلاع كامل على ما يجـري الآن في العراق، ونتابع مجريات الأمور فيـه بدقة متناهيـة واهتمام بالـغ، ولانخفيكم أننا قلقون جـدًّا لما حصل ويحصـل عـلى الأرض. إن هدفنا وهدفكم يلتقيـان في محاربة الإرهاب وعدم السـماح للقـوى المتطرفة بالنجـاح وفرض إرادتها عـلى أي بقعة مـن العالم، وفي هذه المنطقة عـلى وجه الخصوص، وإننا مصممون على عـدم السـماح للقـوى الإرهابية بالسـيطرة عـلى العـراق والقضاء على الديمقراطيـة الوليـدة في هذا البلد، الذي عانى كثـيرًا على مدى عقود، وقدَّمنا وقدمتم من أجل ذلك تضحيات كبيرة.

ولكنني أود أن أشـير، بصراحة، وبعيدًا عن الكلمات الدبلوماسـية، إلى أن بعـض السياسـات التـي مورسـت تحـت ضغـط الأحـداث منذ نهايـة عام 2011 قد أججت مشـاعر شريحة مهمة مـن شرائح المجتمع العراقي، وأقصد هنا السـنة؛ لأنهم يحسُّـون ويشـعرون بأن مسـاهمتهم في بنـاء العراق قد أُضعفت وهُمِّشـت مجتمعيًّا وسياسـيًّا واقتصاديًّا. إننا مع وحدة الأراضي العراقية وسـيادته وإشاعة السلام والأمن والمساواة لـكل أبناء الشـعب العراقـي بمختلـف مكوناتهم، ونبـذل كل الجهود في المحافظـة عـلى أمنه واسـتقراره. إن تحقيق ذلك يتطلـب منكم ومن القوى السياسية في العراق بذل جهود استثنائية للتوحد ونبذ الخلافات السياسـية فيما بينكم من أجل مستقبل بلدكم وشعبكم. ويتطلب منكم

شخصيًّا الابتعاد عن ممارسة بعض السياسات التي تساهم في تأجيج الموقف وتوسيع شُقّة الخلاف بين مكونات الشعب العراقي على أساس عِرقي وطائفي.

نحن على قناعة، ومن خلال حواراتنا المستمرة مع زعماء أطراف العملية السياسية، أن أمام الشعب العراقي الآن فرصة لتجاوز هذه الأزمات والتشنجات لكي يختار قيادة مستعدة ألا تُقصي أحدًا، وأن تتقاسم السلطة مع المكونات الأخرى. هذه القيادة يجب أن توافق عليها الأطراف السياسية جميعًا وتحظى بقبول من الشعب العراقي، ولها القدرة على إخراج العراق من هذه الأزمة وتجد الحلول الجذرية للأزمة السياسية والعسكرية الحالية.. أود أن أؤكد لكم أننا لن ننتقي أو نختار مَنْ يحكم بلدكم، ولكننا قلقون من استياء الأكراد والسنة وبعض الشيعة من القيادة الحالية في العراق، وأننا سنكون سعداء أن يختار العراقيون قيادة مستعدة ألا تُقصي أحدًا وأن تتقاسم السلطة مع الأطراف الأخرى كما ذكرت. إننا على اتصال مباشر مع الأطراف السياسية الأخرى، وهذا هو ما أكدوه لنا. إنني سألتقي بزعماء بعض تلك الأطراف ثم أزور أربيل للالتقاء بالسيد مسعود البارزاني للاستماع منه بشكل مباشر وتقييمه للوضع الحالي ورأيه في تشكيل الحكومة القادمة.

– رئيس الوزراء العراقي: أشكركم معالي الوزير على هذا الإيضاح. أريد أن أؤكد لكم أنني وزملائي بذلنا ونبذل أقصى جهودنا، وعملت شخصيًّا وما زلت لكي أجمع السياسيين العراقيين إلى كلمة سواء لخدمة شعب العراق وتوطيد أمنه واستقراره وبنائه وإعماره، ولكن هناك بعض

القوى السياسـية، لأغراض خاصة، تختلق الأزمات وتثير الحساسيات لأغراض بعيدة عن مصلحة العراق وشعبه.

لقـد أشرتـم إلى وجود بعـض الممارسـات والسياسـات التي تؤجج الموقـف؛ إنني أفهم ما تقصده معالي الوزيـر. ولكن انظر إلى مَنْ في هذه القاعـة، أليـس هذا دليلًا عـلى أننا لا نتبع مثل تلك السياسـات؟ فإنهم يمثلون تقريبًا جميع المكونات العراقية المذهبية والعرقية.

إن الذيـن يروِّجـون لمثـل هـذه الادعـاءات المغرضة لهـم أجنداتهم الخاصة، وربما مدفوعون من الخارج. إننا نعمل على قبر تلك الأجندات مـن أجل العراق ووحدتـه. وإننا بعيدون كل البعد عن النهج الطائفي، ولَكِـنْ هنـاك طائفيـون تكفيريـون يتهموننـا بالطائفيـة للنيـل منَّا ومن سياساتنا التي تخدم جميع شرائح المجتمع العراقي.

كما تعلم معالي الوزير أن الانتخابات التي جرت في نهاية شهر نيسان الماضي كانت انتخابات نزيهة وشفافة، وقد فازت كتلتنا بـ 94 مقعدًا في البرلمان، وإن تكليف مرشـح الكتلة الكبرى بتشـكيل الحكومة الجديدة مسألة دستورية ينبغي الالتزام بها.

■■■

(هذه الفقرة محذوفة من أصل المحضر).

- السـيد جون كيري: السـيد المالكـي.. (لم يخاطبه باسـم منصبه) دعني أكـن صريحًا معك. إننا لا نريد التدخل في شـئون العراق الداخلية وخلافاته المذهبية والسياسية والعرقية، ولكن علينا التزام أخلاقي أمام الشعب العراقي

جميعًا وأمام الشعب الأمريكي والعالم بعد 2003. هذا الالتزام هو أن ندعم ونساند تطلعات الشعب العراقي في الحرية والبناء والازدهار والديمقراطية، وإننا ملتزمون بذلك. ولكي يكون الدعم مكثفًا ومستمرًّا وفعالاً، يجب على القادة العراقيين اتخاذ الخطوات الضرورية من أجل تحقيق تلك التطلعات لا غمطها وتوحيد شرائح المجتمع العراقي لا تفريقها، وإذا ما تم ذلك من قِبل القادة العراقيين، فإن هذا الدعم سيكون فعالاً ومستمرًّا كما قلت. وكما ذكرت لك فإنها لحظة مهمة لمستقبل العراق، ويجب على زعماء العراق أن يتجمعوا بصورة عاجلة، ويتفقوا على تشكيل حكومة وحدة وطنية أو حكومة إنقاذ وطني، والوقوف معًا متحدين ضد المتشددين.

وكما تعلمون، فإن الرئيس أوباما واقع تحت ضغط شديد من الكونجرس. إن أعضاء الكونجرس على اطلاع واسع على الممارسات الطائفية، وتفضيل طائفة على أخرى وإصدار فتاوى تحريضية وتحشيد المدنيين للقتال. إن ذلك لن يكون في صالح الشعب العراقي ولا من صالح دول المنطقة. وستكون يدنا مقيدة إذا استمرت هذه السياسات.

إن الاستمرار بهذه السياسات لن يكون لصالح الشعب العراقي سواء على المدى القصير أو البعيد. إن التخلي عنها ونبذها نعتبره المدخل الصحيح لتوحيد جهود السياسيين العراقيين لتشكيل حكومة وحدة وطنية بمعناه الدقيق ودون إقصاء.

إن ما نشاهده الآن على الساحة العراقية في اعتقادنا هو نتائج لتلك السياسات غير الحصيفة. إننا واضحون معكم كل الوضوح؛ لأننا حلفاء وأصدقاء ويهمنا مصلحة شعب العراق وأمنه بالأساس.

- رئيس الوزراء العراقي: أتفق معكم معالي الوزير في بعض النقاط وأختلف في أخرى.

أولًا: كما تعلمون فإننا منذ انتخابات عام 2008 نبذل كل الجهود لتوحيد الشعب العراقي دون تمييز في العِرق والطائفة والدين. ولكن الإرهابيين لم يتركوا لنا أي مجال لإكمال مهمتنا والتفرغ لبناء العراق، بل واجهونا بالمفخخات والأحزمة الناسفة. إن السياسة التي مارسناها، وأنتم على اطلاع كامل على حيثياتها، كان هدفها هو تنفيذ ما اتفقنا عليه في لقاءاتنا مع المسئولين الأمريكان وبالتنسيق مع سفرائكم في بغداد، و على رأسها محاربة الإرهاب. إننا بحاجة إلى دعم سياسي وعسكري عاجل من بلدكم الصديق. الإرهابيون يحصلون على دعم كبير من بعض دول الجوار، وأنتم تعرفون مَنْ أعني. وإذا استمر هذا الدعم فإننا سنكون في وضع حرج وربما يؤدي ذلك إلى تدخل دول جوار أخرى في الشأن العراقي، وهذا سيُلحق بكم وبنا ضررًا كبيرًا ويوسِّع المواجهة.

ثانيًا: على الولايات المتحدة، كدولة حليفة وصديقة للعراق والتي قدمت تضحيات كبيرة لتحرير العراق من الديكتاتورية، أن تساعدنا في هذه الأوقات الحرجة لمحاربة الخطر المشترك، وأعني به إرهاب «داعش»، هذه القوة الإرهابية التي تريد فرض إرادتها ومنهجها على العراقيين وعلى المنطقة بقوة السلاح. فمن واجب الدول المحبة للسلام والديمقراطية، وبلدكم الصديق في المقدمة منها، مساعدة العراق ومؤازرته لاجتثاث جذور الإرهاب والتكفيريين، ومن يقف وراءهم من البعثيين المجرمين.

- السيد جون كيري: نعم إننا معكم في محاربة الإرهاب في كل مكان وليس في العراق وحده، ودفعنا من أجل ذلك تضحيات كبيرة. وكما قلت لك منذ البداية إنني سأكون صريحًا معك. نعم إن «داعش» منظمة إرهابية، بل متطرفة حتى في الإرهاب. لكن المعلومات الدقيقة والمؤكدة من مصادرنا تفيد بأن المسلحين والمتمردين ليسوا كلهم من «داعش» ولا من المنظمات التكفيرية، وهناك مسلحون من تنظيمات أخرى معتدلة وليست تكفيرية، كما تقول، يدعمها أبناء العشائر العربية في المنطقة الغربية وبعضها قاتل معنا ضد تنظيم القاعدة عام 2006 و2007 .إنهم يطالبون برفع المعاناة عنهم والتهميش والإقصاء، وسبب معاناتهم فيما نعتقد هو نتيجة ممارسة بعض السياسات غير الحصيفة.

إن الولايات المتحدة ملتزمة بمساعدة العراق، لكنها ترغب أولاً أن ترى تشكيل حكومة وحدة وطنية بسرعة تضم المزيد من الأطراف السياسية، وخاصة السنة والأكراد والتخلي عن السياسات غير الحكيمة.

وكما أكد الرئيس أوباما فإنه ليس في نيتنا التدخل عسكريًّا، أعني إرسال قوات مقاتلة للتصدي للمسلحين؛ فهذا شأنكم الداخلي ينبغي أن تعالجوه بأنفسكم. في الوقت نفسه، لا نستبعد خيارات أخرى قد تتطلب الحاجة اللجوء إليها حسب تطور الحالة. إننا في الحقيقة دهشنا من سرعة انهيار القوات العراقية في مدينة الموصل والمدن التي تلتها. وما زلنا ندرس ونقيّم الوضع من جميع جوانبه، خاصة وقوع الأسلحة الأمريكية بيد المتمردين وكيف سيتصرفون بها. كيف تفسرون انهيار الجيش بهذه السرعة؟

ذكرت تدخل دول الجوار في الشـأن العراقي. إنني أعلم مَنْ تقصد. إننـا عـلى اتصال مسـتمر مـع دول الجـوار العراقي، خاصة السـعودية وتركيـا، وهمـا دولتان مسـئولتان ومنضبطتـان وقد أكد لنا مسـئولوهما حياديتهـما وأنهما تحاربان الإرهاب كما نحاربه. ولكن قلقنا الشـديد هو مـن النفوذ الإيراني المتفاقم في الشـأن العراقـي. إننا لا نعتقد أن تدخلها سـيفيد العـراق والمنطقة؛ لأن من شـأنه تأجيج الوضـع لا تهدئته. إنني ربما سأزور بعض دول المنطقة، إذا ما سمحت ظروفي بذلك وسأبحث الموضوع معهم بتفصيل أكثر. وفي كل الأحوال، هناك تنسـيق عالٍ بيننا وبينهم في هذا الصدد.

الأكـراد قلقون جدًّا مـن تطورات الأحداث الجاريـة على الأرض، سـأزور أربيل بعد لقائنا وألتقي الرئيس مسـعود البارزاني لأسـتمع منه مبـاشرة عـما يقلقه. كذلـك سـألتقي بعض القيـادات السـنية وغيرهم لأحيط بالموضوع من جميع جوانبه، كما ذكرت لك قبل قليل.

أؤكـد لكـم أن الحـل الأمثل لهذا الوضـع الخطير الذي يهـدد وحدة الأراضي العراقيـة ومسـتقبله هـو حل الخلافات السياسـية بين أطراف العمليـة السياسـية وسرعة تشـكيل حكومة وحدة وطنيـة، خاصة بعد الانتخابات الديمقراطية التي جرت في نهاية شهر نيسان.

إننـا قلقون جدًّا من وقوع الأسـلحة الأمريكية بيد المسـلحين، ومن إمكانية اسـتخدامها لغـير أغراض الدفاع عن العـراق أو مهاجمة بعض أصدقائنا في المنطقة.

إن اختيار شخصية قيادية تجمع جميع الأطراف العراقية مسألة في غاية الأهمية في هذه المرحلة.

لقد قرر الرئيس أوباما إرسال 300 مستشار عسكري للتنسيق معكم، وإنهم لن يشاركوا في العمليات القتالية ويقتصر عملهم على تقديم المشورة ووضع الخطط العسكرية بالتنسيق مع القادة العسكريين العراقيين.

- رئيس الوزراء العراقي: إننا لن نسمح بأي تدخل خارجي في شئوننا، ولكن من حقنا أن ننسق مع أصدقائنا وحلفائنا لمواجهة الإرهاب وتداعيات الهجمات الإرهابية. نرجوكم أن تقنعوا السعودية وقطر لكي تكفَّا عن دعم الإرهابيين في العراق كما فعلتا في سوريا.لقد ذكرت تدخل إيران في شئوننا، دعني أوضح ذلك لكم. إيران دولة صديقة وجار لنا ينبغي أن نقيم علاقات متميزة معها من أجل أمن المنطقة وسلامها، ولا خشية من جانبها في هذا الصدد، بل هي تريد مساعدة العراق والعراقيين.

إن تراجع الجيش في الموصل كان نتيجة عدم التزام بعض القادة بالأوامر الصادرة إليهم أولاً وتأثير التدخل الخارجي من بعض دول الجوار ثانيًا، والمؤامرة التي اشترك فيها بعض الأطراف المعنيين في العملية السياسية ثالثًا.

- السيد جون كيري: أود أن أؤكد لك أن الولايات المتحدة ستكون في غاية القلق من أي تدخل عسكري إيراني مباشر في العراق، ولدينا

معلومـات أن هنـاك بعض الوحـدات القتالية أو الاستشـارية الإيرانية تعمـل في العـراق، كما لاحظنا أن هناك شـحنًا طائفيًا في إيـران للتطوع للقتال في العراق. هذا العمل لن يكون مريحًا، وسيحفز الدول الأخرى في المنطقـة عـلى اتخـاذ خطـوات مـن جانبهـا أيضًـا لحماية أمـن بلدانها وشعوبها. وهذا سيؤثر سلبًا على جهودنا لتهدئة التشنج في المنطقة.

– رئيس الوزراء العراقي: أود معالي الوزير أن أوضح لكم...

– السيد جون كيري: دعني أكمل حديثي ثم قل ماعندك.

– رئيس الوزراء العراقي: آسف على المقاطعة، تفضل.

– السـيد جون كيري: إننا لانتحدث جزافًـا، ولكن وفق معلومات دقيقـة. إن التدخل الإيراني بهذا الشـكل سـيدفعنا إلى خيارات أخرى؛ لأن من شـأن ذلك إدخال المنطقة في وضع غير مريح، بل مقلق شـديد القلـق. إن ضبـط النفس في مثل هـذه الحـالات ضرورة، ومن الحكمة أن تبتعـد دول الجـوار العراقي عن التدخل المبـاشر وغير المباشر في هذا الـصراع. لقد أوضحنا قلقنا إلى الجانـب الإيراني في اجتماع فيينا، ونحن نعلم بأن إيران دولة مسئولة ونرجو أن يفهموا مصدر قلقنا وأبعاده.

– رئيس الوزراء العراقي: إن الدفاع عن الأماكن المقدسة من صميم واجبـات الشـيعة في كل مكان. إنه ليس شـحنًا طائفيًا بل إنه اسـتعداد استباقي لمنع المحظور من أن يقع – لا سمح الله.

- السيد جون كيري: هل لديكم معلومات استخبارية بأن المتمردين المسلحين أو الإرهابيين من جماعة داعش ينوون الهجوم على العتبات المقدسة لديكم؟

- رئيس الوزراء العراقي: إن تنظيم داعش تنظيم إرهابي طائفي وفرع من تنظيم القاعدة، وإنكم تعلمون كيف فجّروا مرقد الإمامين العسكريين عام 2006. إننا نعتقد أن ضربات جوية ضد مواقع تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) أمر سيكون مفيدًا جدًّا وسيحدُّ من تقدمهم نحو العاصمة أو تمركزهم في المدن التي دخلوها، وسيمنعهم من التقدم نحو بغداد وكربلاء والنجف.

- السيد جون كيري: إن تلك الحادثة كانت مأساوية راح ضحيتها المئات من الأبرياء، ونرجو ألا تتكرر مطلقًا، كما أرجو ألا توقظوا التاريخ الدموي؛ لأن ذلك لن يكون من مصلحة الجميع، بما فيه إيران. إن توجيه الضربات الجوية للمتمردين المسلحين - بمن فيهم داعش - موضوع حساس للغاية، وينبغي أخذ الكثير من الحيطة والحذر لضمان ألا تؤذي هذه الضربات المدنيين ولكيلا يعطي الانطباع بأننا نهاجم السنة والمدنيين.

أشكركم على هذا اللقاء، وكما أكدت لكم فإن الولايات المتحدة ستقف بجانب الشعب العراقي، وهي عازمة على دحر المنظمات الإرهابية، وفي مقدمتها «داعش»، كونها تشكل خطرًا على العراق والمنطقة والعالم. وإن واشنطن ملتزمة باتفاقية الإطار الاستراتيجي مع العراق، ولاسيما التعاون الأمني والتسليحي، وإنها مستعدة لتجسيد

ذلك ميدانيًّا، وهذا لا يتم من طرف واحد فقط، بل إن الاتفاق الشامل علـى حـل الخلافات السياسـية بينكم وبين السـنة والأكراد سـيعزز من موقفنـا في الدفـاع عـن العراقيين واتخـاذ الخطوات الكفيلة ضد توسـع «داعش».

- رئيس الوزراء العراقي: إننا نثق بأصدقائنا وحلفائنا الأمريكان، ونشكركم على هذه الزيارة والمناقشات الصريحة والمفيدة التي أجريناها، وكلنـا أمـل بـأن تترجموا مـا وعدتم به عـلى أرض الواقع. ومـن جانبنا سـنقوم بما يمليه علينا واجبنا. وإن شـاء الله سنشـكل الحكومة الجديدة في مطلع شـهر تموز المقبل خلال اجتماع البرلمان الجديد واختيار الرئيس الجديد للجمهورية.

- السيد جون كيري: أراك متفائلًا جدًّا.

- رئيس الوزراء العراقي: هكذا علَّمتنا تجارب السياسة والحياة.

- السـيد جـون كيري: شـكرًا جزيـلًا، التفـاؤل شيء جيـد، ولكن الواقعية أفضل.

هـذا، وقـد حـضر اللقـاء كل مـن: السـيد هوشـيار زيبـاري وزيـر الخارجية، والسـيد سـعدون الدليمي وزيـر الدفاع بالوكالة، والسـفير ستيوارد جونز سفير الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد.

■■■

الفهرس



الحقيقة والوهم

إن التساؤلات التي تطرح نفسها حول نشأة تنظيم داعش ومساراته وأهدافه الحقيقية وتحالفاته المختلفة ومواقف الأطراف الدولية والإقليمية منه، سوف تبقى ولفترة طويلة مثار حوار وجدل بين المحللين والمعنيين بل والرأي العام أيضًا.

من هنا يأتي هذا الكتاب الذي حاولت من خلاله الإجابة عن بعض التساؤلات المطروحة في الشارع في محاولة للإجابة عنها من خلال قراءة الواقع بأبعاده المختلفة، سعيًا إلى فك طلاسم الكثير من علامات الاستفهام.



تصميم الغلاف: إلهام صلاح



